

أبو محمد التميمي

عثمان بن محمد الخميس

تقديم الدكتور

محمد أحمد إسماعيل المقدم

تقديم الدكتور

السيد محمد نوح



دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

إسكندرية ٥٤٥٧٧٦٩


بسم الله الرحمن الرحيم

حقبة من التاريخ



بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبَّلْ منَّا
إنَّكَ أنتَ السَّميعُ العَليمُ

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ٥٤٥٧٧٦٩

رقم الإيداع ١٤٤٦٠ / ١٩٩٩
الترقيم الدولى
977-331-014-4

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

مقدمة فضيلة الشيخ الدكتور
محمد أحمد إسماعيل المقدم
عفا الله عنه

الحمد لله الذي صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، رسوله الذي هدى به الأنام ، وكشف به شبهات الأوهام ، وعلى آله الطيبين الأطهار ، وأصحابه المجاهدين الأبرار ، الذين أغاظ الله بهم الكفار ، وبسط بهم رحمته في جميع الأقطار .

أما بعد :

فإن التاريخ خميرة المستقبل ، ونحن أمة ذات تاريخ فذ جدير بأن نفخر به ، ونستمد منه المثل العليا ، ونتخذه منطلقاً للنهوض من كبوتنا ، واسترداد مكانتنا. ولما أراد أعداء الإسلام محو ذاكرة الأمة ، وقطع صلتها بتاريخها المجيد أَوْلَوْا هذه الدائرة اهتماماً كبيراً ،واعتبروا التاريخ الإسلامي الرائع أحد« المنابع» التي يجب« تجفيفها » ، ليحولوا بين المسلمين وبين أحد مصادر شموخهم ونهضتهم .

يقول المستشرق « شاتلي » :

[إذا أردتم أن تغزوا الإسلام ، وتخضدوا شوكته ، وتقضوا على هذه العقيدة التي قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة لها ، والتي كانت السبب الأول والرئيسي لاعتزاز المسلمين وشموخهم ، وسبب سيادتهم وغزوهم للعالم ؛ فعليكم أن توجهوا جهود هدمكم إلى نفوس الشباب المسلم ، والأمة المسلمة بإماتة روح الاعتزاز بماضيهم ، وكتابهم « القرآن » وتحويلهم عن كل ذلك بواسطة نشر ثقافتكم وتاريخكم ، ونشر روح الإباحية ، وتوفير عوامل الهدم المعنوي] اهـ [1] .

---

(١) من « غزو العالم الإسلامي » للمستشرق « شاتلي » ص« ٢٦٤ » .

ولقد حظيت حقبة تاريخ الصحابة ﷺ بحظ وافر من التدليس والتزوير ، وانطلق الكيد ضدهم أول ما انطلق من اليهود والفرس .

أما اليهود فإن التحريف مهنتهم التي يحترفونها « سجية تلك فيهم غير محدثة » ، وكان من أخبثهم وشرهم في هذا الأمر رأس الفتنة وأساس البلاء ، المنافق الزنديق « عبد الله بن سبأ » المُلقب « بابن السوداء » ، الذي أسس للرافضة دينهم ، وحرَّض الرعاع والغوغاء من الأعراب وغيرهم حتى خرجوا على أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضي الله عنه ، وسفكوا دمه ، وفتحوا باب الشر على مصراعيه .

وأما المجوس فقد ملأ الحقد على الصحابة قلوبهم ، لأنهم الذين كسروا ظهر الكسروية ، وأطفأوا نار المجوسية ، ومحوا الدولة الفارسية ، ورأوا أن كيد الإسلام على الحيلة أنجع ، فأظهر بعضهم الإسلام ، واستمالوا أهل التشيع ، وأشعلوا نار الفتنة ، وراهنوا على تمزيق الأمة إرباً إرباً .

إن الشيعة أكذب فرقة عرفها التاريخ الإسلامى كله ، وهم في الأصل أخلاط من اليهود والنصارى والمجوس والملاحدة الباطنية الذين اتخذوا « التشيع» ستاراً ليحققوا أغراضهم في تحريف الإسلام وهدمه من الداخل، وهم أكذب الفرق على خصومهم، ولذلك كان لهم «جيش» من الرواة والأخباريين الذين تولوا نشر أكاذيبهم ومفترياتهم .

ولقد تلقف هذا التاريخ المزور فئات من الأدباء والمؤرخين الذين هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ، فراحوا يزيدونه تحريفاً وتدليساً باعتبارهم وكلاء عن أعداء الأمة ونواباً عنهم في « تجفيف منابع الإسلام » .

لقد كان أحد ملامح الصحوة الإسلامية الحديثة المطالبة بتنقيح وتصفية التاريخ الإسلامي ، ليعمل عمله المرتقب في إحياء عز الإسلام ، والتمكين للمسلمين ، وظهرت بواكير الاستجابة في عديد من المحاولات الجادة (*) في هذا المضمار **والتي**

ومن أمثلها : « تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة » للدكتور / محمد أمحزون – طبع دار طيبة – الرياض ، و « مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية » للشيخ / محمد بن عبد الهادي بن رزّان الشيباني – طبعة دار البيارق .

امتازت باعتمادها « منهج المحدثين » **دون غيره ميزاناً للحكم على الروايات التاريخية سنداً ومتناً** ، ومن هذه المحاولات هذا الكتاب المفيد الذي يتناول حقبة من التاريخ شرفت بخير أمة أُخرجت للناس ،كيف لا وهم ثمرة تربية خير البشرﷺ ، وهم أفضل أولياء الله على الإطلاق ؟ .

لقد راجت أكاذيب الشيعة وبخاصة بعد أن قامت لهم دولة جندت كل طاقاتها للتبشير بمذهبهم ، واللعب بعواطف الشباب المسلم الغافل ، فيُظهرون أنهم حماة الدين ، ويستميلونهم ببعض المواقف الاستهلاكية المبهرة ، ويستغلون ما تورط فيه بعض الدعاة من التغزل في رافضة إيران ، وكان من أسوإ عبارات هذا « الغزل » قول بعضهم : « إن الشيعة الإمامية الجعفرية مذهب فقهي خامس ، وإنه لا توجد بيننا وبينهم خلافات في أصول الدين » ، وللرد على هذا التلبيس الفج نقول : هناك حقيقة لابد من الاعتراف بها ، ألا وهي أننا نحن المسلمين المسئولون بالدرجة الأولى عن كثير من مشكلات عالمنا الإسلامي في القديم والحديث ، إننا دائماً نسمح للخلايا الخبيثة بأن تنمو ، وتزدهر ، حتى تتحول إلى سرطان خطير يوشك أن يهد جسدنا الإسلامي من داخله .

إن حُسن النية ، وترك حبل التسامح إلى مداه ، والظن الحسن الذي يصل إلى حد الغفلة .. كل هذه الخصائص – التي يتحلى بها السذج منا – كثيراً ما أعطت الفرص الذهبية لأعداء الإسلام كي يهددوا حصوننا من داخلها .

وأكبر غفلة نقع فيها حين نتغاضى عن المقاييس الواضحة ، والموازيين الفاصلة التي تكشف الدين من الهوى ، وتميز الخبيث من الطيب ، وتظهر الحق من الباطل والهدى من الضلال (*) .

إن موقف بعض المسلمين من أهل الرفض يجسد هذه الغفلة التي أشرنا إليها ،

(*) **انظر** : « الغزو الفارسي للعالم العربي » لعبد الله السعيد ص « ٣ - ٥ » .

لقد قال رسول الله ﷺ : « **قبل الساعة سنوات خدَّاعة ، يُصَدَّق فيها الكاذب ، ويكـذب فيها الصادق ، ويُخَـوَّن فيها الأمين ، ويؤتمن فيها الخائن ، وينطق فيها الرويبضة** » ، قيل : « وما الرويبضة يا رسـول الله ؟ » قال : « **السفيه يتكلم في أمر العامة** » .

وما أصدق هـذا الحديث على واقعنا بعامـة ، وعلى موقفنا من الرافضة بخاصة ، الأمر الذي يعكس شدة غربة الإسلام في هذا الزمان وتفشي الجهل ، وقلة العلم .

إن مقولة : « إن الشيعة الإمامية مذهب فقهي خامس » أحد الشعارات الكاذبة المضلة التي تفتن الناس عن دينهم ، وتسـهل الطريق للغـزو الرافضى الفكري ، وهي أحد « الأفكار الملغمة » التي تهدف إلى نسف « منهج النبوة » وتدمير « ماكان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ » ، كى يُبْنى على أنقاضها أساطير الرافضة وخرافاتهم ، من وراء ستار « التقريب » الذي هو عين «التخريب » لعقائد المسلمين ، فالتقريب في اصطلاحـهم له مـعنى واحـد لا ثاني له ، ألا وهو : تقـريب أهل السُّنة إلى عـقـيـدة الشيعة، وإذابتهم فيهم ، فهو وسيلة إلى « تصدير » دين الرافضة ليس إلا (*) .

وقائل هذه العبارة محل السؤال ، والمروج لها إما أنه جاهل ساذَج ، وإما أنه خائن مُضل .

أما جهله :

[١] فبأصول دينه الذي ينتمي إليه إن كان منتسباً إلى أهل السُّنة والجماعة .

[٢] وجهله بدين الرافضة الذي يقوم على أصول تـخالف دين الإسلام قطعاً ، فالمذهب الشيعي ليس مذهباً خامساً ، ولكنه يكاد يكون ديناً آخر غير دين الإسلام .

[٣] جـهله بوقـائع التـاريخ التي تدين الرافـضـة بالغـدر والخيـانة العظمى لأمـة

(*) **انظر** : « مسألة التقريب بين السُّنة والشيعة » للدكتور / ناصر القفاري ، طبعة دار طيبة ، الرياض ، وهو مرجع نفيس في بابه .

المسلمين ، بطعنهم في ظهورهم ، وممالأة أعدائهم ، فحسن الظن بالشيعة تأباه حتى نظرية الاحتمالات ، وإن تاريخهم المشين عاجز عن أن يقدم مثالاً واحداً لم يقفوا فيه ضد المسلمين في صف أعدائهم من اليهود والنصارى والمنافقين ،**واسألوا التاريخ ينبئكم :**

من الذي تآمر مع التتار حتى استولوا على بغداد ، وقتلوا الخليفة المستعصم ، وقتلوا معه – غدراً وفي ساعة واحدة – مائتي وألف شخصية من العلماء والوجهاء والقضاة ، واستمرت المذابح فيها بضعاً وثلاثين يوماً ، قتل فيها حوالى ثمانمائة ألف مسلم ومسلمة ؟ .

ومن الذي تسبب في انحسار المد الإسلامي العثماني في أرجاء أوروبا، وطعن الخليفة العثماني في ظهره بزحفه على عاصمة الخلافة بينما كان يتغلغل بجيوشه في أحشاء النمسا إلى أن دخل قلب « ڤيينا »، وكادت أوروبا تدخل في حظيرة الإسلام لولا اضطرار الجيش العثمانى إلى الانسحاب والرجوع إلى الرافضة لدحرهم ودفعهم؟ [١] .

ومن الذي تحالف مع ملك المجر ضد الدولة العثمانية المسلمة ؟ ، ومن الذي سلَّم أرض المسلمين في باكستان الشرقية لقمة سائغة للهندوس حتى يقيموا عليها الدولة المسخ « بنجلاديش » ؟

[٤] جهله بالواقع الأليم لأهل السُّنة المحاصرين المستضعفين في داخل الدولة الرافضية الإيرانية ، وما يعانونه من تفرقة عنصرية ، واضطهاد ، وتشريد ، وقهر ، وتعذيب ، وتصفية جسدية ، ويكفى أن طهران العاصمة لم يسمح فيها ببناء مسجد واحد لأهل السُّنة حتى اليوم ، على الرغم من أنها تضم على مرأى ومسمع ورضاً من الحكومة الإيرانية اثني عشر كنيسة ، وأربعة معابد يهودية ، وعدداً من معابد المجوس عبدة النار .

---

(١) **انظر** : « الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوروبا » للدكتور محمد عبد اللطيف هريدي – دار الصحوة – القاهرة .

[٥] جهله بالوقائع المعاصرة التي أسقطت أقنعة النفاق والدجل والتقية عن وجوه الرافضة ، والتي أثبتت أنهم شوكة في ظهر الأمة المحمدية ، وما حدث منهم في أفغانستان ليس ببعيد، وكذا تحالفهم غير المقدس مع حزب البعث النصيرى في سوريا، والقذافي في ليبيا .

أمَّا إن كان قائل هذه العبارة يدري كل هذا وهو يتشدق بهذه الفرية ؛ فالمصيبة أعظم ، ولا يبقى إلا أنه غاشٌ لأهل الإسلام إذ يتغاضى عن هذه الحقائق الصارخة ، ويكذب على المسلمين حين يزعم أن الخلاف مع الرافضة كالخلاف بين الحنبلي ، والشافعي ، والمالكي ، والحنفي ، فهذه المذاهب وإن اختلفت في الفروع الفقهية العملية لكنها تقف جميعاً في مسائل العقيدة والتوحيد تحت مظلة واحدة هي « السُّنة والجماعة » ، وهذا المفتري يحاول دمجها مع الرافضة – وهم فرقة نارية – في الفرقة الناجية ، ويجتهد في ستر عورات مذهبهم الشاذ ، الذي يشذ عن الفرقة الناجية حتى في أصول الدين ، **ومن أمثله ذلك :**

﴿ ١ ﴾ طعنهم في القرآن الكريم ، حيث تصرح بعض كتبهم المعتمدة بأنه حُرِّف وبُدِّل وذهب أكثره ، ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٧] وحين كانت الأندلس تحت سلطان الإسلام كان الإمام محمد بن حزم – رحمه الله – يناظر قساوستهم في نصوص كتبهم ، ويقيم لهم الحجج على تحريفها بل ضياع أصولها ، فكان القساوسة يحتجون عليه بأن الشيعة قرروا أن القرآن المجيد أيضاً محرف ، فأجابهم ابن حزم بأن دعوى الشيعة ليست حجة على القرآن ولا على المسلمين لأن الشيعة غير مسلمين .

﴿ ٢ ﴾ رفض حجية السُّنة النبوية الشريفة ، لأن رواتها من الصحابة – في نظرهم – كفرة زنادقة مرتدون عن الإسلام ، وأعلام الأمة وأئمتها كذلك ، فمن ثم لا يعترفون بصحيح البخارى ولا صحيح مسلم ، ولا كتب السُّنن ، والمسانيد ، وكذا رفض حجية الإجماع بدعوى أن الأمة يجوز أن تجتمع على ضلالة ، وأنها معصومة

بقول الإمام .

﴿ ٣ ﴾ غلوهم في أئمتهم إلى حد رفعهم فوق مقام الأنبياء عليهم السلام ، بل إضفاء صفات الربوبية عليهم ، كقول الخميني مثلاً : « إن للإمام مقاماً محموداً ، وخلافة تكوينية تخضع لولايتها جميع ذرات هذا الكون ، وأن الأئمة علموا ما كان وما يكون ، ولا يخفى عليهم شيء ، وأنهم منزهون عن السهو والخطإ ، وأن لهم حرية التصرف والاختيار في تحليل شيء أو تحريمه » ، ويجوِّزون الاستغاثة بغير الله مطلقاً كقولهم : « يا مهدي ! أدركني ، يا زَهْرا ! نستعين بكِ » ويهجرون المساجد ، ويعمرون المشاهد ، ويعبدون قبور الأئمة ، فيذبحون عندها ، وينذرون لها ، ويحلفون بها ، ويستغيثون بهم في طلب الحاجات وكشف الكربات ، ويسجدون إلى قبورهم ، ويستقبلونها في صلاتهم ، وهذا الخميني يقول في بعض كتبه : « طلب الحاجة من الحجر أو الصخر ليس شركاً ، وإن يكن عملاً باطلاً » ا هـ .

﴿ ٤ ﴾ حقدهم على خير من طلعت عليهم الشمس بعد الأنبياء ، أفضل أولياء الله على الإطلاق أبي بكر وعمر وسائر الصحابة الكرام الذين هم خير أمة أُخرجَتْ للناس ، وزعموا أنهم ارتدوا عن الإسلام عدا خمسة منهم ، وتطاولهم بالسب واللعن لهم ، وتفضيل ذلك على التسبيح والتهليل والتكبير ، ووصفهم بالكفر والزندقة والنفاق والكذب ، لا يستثنون السابقين الأولين ، ولا أصحاب بدر ، وبيعة الرضوان ، ولا المهاجرين والأنصار ممن عاشوا بعد وفاة سيد الأنام ﷺ ، والتفنن في اختلاق الأكاذيب التي تشوه سيرتهم ، وتبدل مناقبهم مثالب ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٢٧] .

قال الإمام أبو زرعة الرازي - رحمه الله تعالى - :

« إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول حق ، وما جاء به حق ، وإنما أدَّى إلينا ذلك كله الصحابة ، وهؤلاء الزنادقة يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسُّنة ، والجرح بهم أولى، وهم

زنادقة » ا هـ .

فتبّاً لوحدة تقوم على حساب أعراض أصحاب رسول الله ﷺ ، وسحقاً لتقريبٍ يبعدنا عن موالاتهم والتقرب إلى الله بحبهم .

فيا قوم :

كيف تؤمنون بأن الفرقة الناجية هي التي وصفها ﷺ بقوله : « **هي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي** » ، وبقوله ﷺ : « **فعليكم بسُنّتي وسُنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي** » ، ثم تلتمسون النجاة في موالاة ومحالفة من يحرِّفون دينه ﷺ ، ويرفضون سُنّته ، ويلعنون أصحابه ، ويكفرونهم ، ويسمون كلابهم بأسمائهم ؟ وكيف تلتمسون التمكين للإسلام في الأرض ، وهو مرهون باتباع منهاج النبوة كما قال ﷺ : « ... **ثم تكون خلافةٌ على منهاج النبوة** » ، وما أبعد الفرق بين منهاج النبوة ودين الشيعة الإمامية الذين زين لهم سوء عملهم فرأوه حسناً ؟!!

﴿ **٥** ﴾ عقائدهم الفاسدة في الإمامة ، والبَدَاء ، والرجعة ، والغيبة ، والعصمة ، والتقية ... إلخ ، وقد نصت عليها مفصلة كتبهم « المقدسة » .

فهل بعد هذا يجرؤه عاقل منصف فضلاً عن سني موحِّد أن يكذب على الله ، ويضلل الناس بدعوى أن الشيعة الإمامية مذهب « فقهي » خامس ؟ وأنهم لا يخالفوننا في أصول الدين ﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾[النور : ١٦] .

ولا زال أهل العلم في كل عصر يفضحون عقائدهم ، ويكشفون زيفهم ، ويدحضون باطلهم ، وهذا الإمام أبو يعلى – رحمه الله – يقول مبيّناً عدم جدوى مناظرتهم لاختلافهم معنا في الأصول ومصادر التلقي : « ... ولو ذهب ذاهب إلى ترك مناظرة الروافض ومكالمتهم لكان قد ذهب مذهباً ليس ببعيد ، وذلك أن المتناظرَيْن إنما يتناظران ويُرَدَّان إلى أصل قد اتُّفقَ عليه ، والأصول التي ترجع إليها الأمة فيما اختلفت فيه إنما هي الكتاب والسُّنَة وإجماع الأمة وحجج العقول ، وهذه الأصول

الأربعة لا يمكن الرجوع إليها على قول الرافضة » ا هـ .

ولما سئل علامة الشام بهجت البيطار عن جواز التعامل مع الشيعة قال رحمه الله :

« يجوز التعامل معهم سياسة واقتصاداً أسوة بالدول والشعوب التي تعاهدت مع اختلاف في الأوطان والأديان ، وبالله المستعان » ا هـ .

وقال الشيخ « محمد رشيد رضا » رحمه الله :

« هذا القول – بأن الخلاف بين السُّنة والشيعة في أراء لا تمس العقائد – إنما يضر أهل السُّنة فقط لأن ذلك معناه أن أهل السُّنة موافقون للشيعة في شذوذهم الذي يهدم الدين والعقيدة ، ولا يعتبرون ذلك الشذوذ ماسّاً بالعقيدة » ا هـ .

وهذا العلامة القرآني محمد الأمين الشنقيطي ، وقد أتاه وفد من آيات الرافضة للمناظرة والتقريب ، فبادأهم بقوله رحمه الله : « لو كنا نتفق على أصول واحدة لناظرتكم ، ولكن لنا أصول ، ولكم أصول، وبصورة أوضح : «لنا دين ، ولكم دين» ، وفوق هذا كله أنتم أهل كذب ونفاق » ، فلله دره من عالمٍ بصيرٍ ، وفقيهٍ نحرير !

وأنَّى لأهل السُّنة أن يجتمعوا مع قوم يتعبدون بمخالفتهم كما تُعُبِّد بمخالفة المشركين ؟!

وأنَّى لأهل السُّنة أن يتحاوروا مع قوم يجعلون الكذب والنفاق تسعة أعشار دينهم وعقيدتهم ؟ ألا ما أبعد الفرق بين مواقف هؤلاء الجهابذة وبين تلك الفتوى الشاذة « الصادرة سنة ١٣٦٨ هـ » بل « الخطيئة التاريخية » التي كانت بمثابة زلة عالِم ضل بها عالَم ، أعنى الفتوى الأزهرية التي اعتبرتها جماعات « التخريب » المسمى بالتقريب قطفاً شهيّاً ، وثمرة مستطابة لجهودها في تضليل أهل السُّنة ، ومما تضمنته هذه الفتوى : جواز انتقال المسلم المقلد من مذهب إلى أي مذهب كان ، « ولو كان مذهب الشيعة الإمامية كما يُفهم من صورة الاستفتاء » ، وتضمنت أيضاً النص الصريح على « أن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السُّنة » ، إلى أن قال : « ... فالكل

مجتهدون مقبولون عند الله تعالى ، يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونه في فقههم ، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات » اهـ .
ولا ندرى لماذا لم يشر المفتي إلى العقائد وأصول الدين ؟ وماذا يقول في نكاح المتعة وغيره من شذوذ الرافضة ؟ ومن الجدير بالذكر أن بعض علماء الأزهر قد تصدوا لفكرة التقريب ، وأنكروا هذه الفتيا المذكورة ، منهم مفتي مصر الأسبق الشيخ / حسنين مخلوف – رحمه الله تعالى – .

إن عبارة : « الشيعة الإمامية مذهب فقهي خامس » ، لها نظائر يروج لها في حلبة السياسة الماكرة ، ولها آثار خطيرة يبوء بإثمها الذين تفوهوا بها دون علم ولا وعى :

● لأنها تدعو إلى تبسيط ما لا يمكن تبسيطه ، والتهوين من شأن مصاب جليل ، وخطب جسيم .

● وفيها فتنة الرافضة بدينهم ، إذ يرون أهل الحق يُقِرون ما هم عليه ، ويسوونه بما أنزل الله عز وجل في قضايا الخلاف بين السُّنة والشيعة ، وبدل أن يدعوهم إلى التوبة من بدعهم وضلاهم، يخلعون على مذهبهم صفة الشرعية ، والحجية ، مما يثبت كيانهم ،كيف لا وقد اعترف بهم قادة الحركات الإسلامية إلا من عصم الله ؟!

● وفيها فتنة للشباب من أهل السُّنة وتغرير بهم ، مما يسهل عملية انتشار سرطان التشيع بينهم ، وتمرير أفكارهم المسمومة في أوساط أهل السُّنة التي تشكو من ضعف بل انعدام المناعة العقيدية ضد هذه السموم ، وقد يتسبب هذا في أن يُهرع العديد منهم إلى جامعات إيران بصدر رحب ، وقلب مفتوح لدراسة عقيدتهم ومنهجهم ، ثم الانطلاق في أرجاء الأرض للتبشير بها ، بعد أن أعطاهم الدعاة المذكورون الضوء الأخضر بمثل هذه المقولات .

ألا إن الذين لا يزالون يصرون على تأييد الرافضة مشاركون عمداً وعن سبق إصرار في خداع الأمة وتضليل الأجيال ، لأنهم – بكتمانهم الحق – يعينون الرافضة

على هـدم الإسلام ، وأولـى بهـم أن يعـملوا بالحكمـة القـائلة : « الرجـوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل » ، تلك الحكمة التي تجلت في بعض المواقف الشجاعة من دعاة خُدعوا أولاً بالسراب الإيراني ، ثـم لما لم يجدوه شيئاً أعلنوا رجوعهـم إلى الحق ، وحذروا الأمة ، وكتبوا ناصحيها ومحذريها ، وأخص بالذكر الأستاذ / سعيد حوى – رحمـه الله – فرسالته الرائعـة :« **الخمينية شـذوذ في العقائد وشذوذ في المواقف** » خير مثال على ذلك .

تنبيهـــان

الأول :

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى :

« اعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم ليست بداخلة في هذا الوعيد – يعني قوله ﷺ : « **إذا التقى المسلمان بسيفيهما ، فالقاتل والمقتول في النار** » ، ومذهب أهل السُّنة والحق إحسانُ الظن بهم ، والإمساك عما شجر بينهم ، وتأويل قتالهم ، وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ، ولا محض الدنيا ، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ، ومخالفه يأثم ، فوجب عليه قتاله ليرجع إلى الله ، وكان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً معذوراً في الخطإ ، لأنه اجتهاد ، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه » ا هـ . [من شرح صحيح مسلم « ١١/١٨ »] .

وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى :

« لا يجوز أن يُنسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به ، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه ، وأرادوا الله عز وجل ، وهم كلهم لنا أئمة ، وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم ، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر ؛ لحرمة الصحبة ، ولنهي النبي ﷺ عن سبِّهم ، وأن الله غفر لهم ، وأخبر بالرضا عنهم.

هذا مع ما قد ورد من الأخبار من طرق مختلفة عن النبي ﷺ أن طلحة شهيد يمشي على وجه الأرض ، فلو كان ما خرج إليه من الحرب عصياناً لم يكن بالقتل فيه شهيداً ،وكذلك لو كان ما خرج إليه خطأ في التأويل وتقصيراً في الواجب عليه ، لأن الشهادة لا تكون إلا بقتل في طاعة ، فوجب حمل أمرهم على ما بيَّناه .

ومما يدل على ذلك ما قد صح وانتشر من إخبار عليّ بأن قاتل الزبير في النار ، وقوله : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **بَشِّر قاتل ابن صفية بالنار** » ، وإذا كان

كذلك فقد ثبت أن طلحة والزبير غير عاصيين ولا آثمين بالقتال ؛ لأن ذلك لو كان كذلك لم يقل النبي ﷺ في طلحة : « شهيد » ، ولم يخبر أن قاتل الزبير في النار .

وكذلك من قعد غيرُ مخطىء في التأويل ، بل صواب أراهم الله الاجتهاد، وإذا كان كذلك لم يوجب ذلك لعنهم والبراءة منهم وتفسيقهم ، وإبطال فضائلهم وجهادهم ، وعظيم غَنائهم في الدين ، رضي الله عنهم .

وقد سئل بعضهم عن الدماء التي أُريقت فيما بينهم ، فقال : ﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [البقرة :١٤١] .

وسئل بعضهم عنها أيضاً فقال : « تلك دماء قد طهر الله منها يدي ؛ فلا أخْضب بها لساني » ، يعني في التحرز من الوقوع في خطإ ، والحكم على بعضهم بما لا يكون مصيباً فيه ... وقال المحاسبي : [فأما الدماء فقد أشكل علينا القول فيها باختلافهم ، وقد سئل الحسن البصري عن قتالهم فقال : « قتال شهده أصحاب محمد ﷺ وغبنا ، وعلموا وجهلنا ، واجتمعوا فاتبعنا ، واختلفوا فوقفنا » ، قال المحاسبي : « فنحن نقول كما قال الحسن ، ونعلم أن القوم كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا ، ونتبع ما اجتمعوا عليه ، ونقف عند ما اختلفوا فيه ، ولا نبتدع رأياً منا ، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله عز وجل ؛ إذ كانوا غير متهمين في الدين ، ونسأل الله التوفيق »] . أ هـ . من « الجامع لأحكام القرآن » (١٦/ ٣٢١ - ٣٢٢) .

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة :

« ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا نُفْرطُ في حب أحدٍ منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونُبغضُ من يُبْغضهم ، وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بخير ، وحبهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كُفر ونفاق وطغيان ، ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ ، وأزواجه الطاهرات من كل دنس ، وذريَّاته المقدَّسين من كل رِجْس ، فقد برىء من النفاق » ا هـ .

التنبيه الثاني :

أن الواجب- كما رأيت - الإمساكُ عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم، والاشتغال بإشاعة فضائلهم ، وإذاعة مناقبهم في العالمين ، فما يقدم عليه بعض الدعاة من تخصيص حلق لعوام الناس موضوعها الخوض فيما شجر بين الصحابة ، مخالف لهدي السلف ، وإنما يشغل العوام والخواص بما ذكرنا من الإشادة بمناقبهم رضي الله عنهم ، إلا إن اضطر الداعية لدفع شبهاتٍ شاعت في الناس ، وتلطخت بها مناهج التعليم ، فيوضح الحق بأسانيده ، ويبطل الباطل ، ذبّاً عن أعراضهم رضي الله عنهم ، فهذا استثناء ، والله أعلم .

وبعد :

فإن هذا المصنف البتارخ قد اجتهد مصنفه - حفظه الله - في توضيح الحقائق ، وتجلية الشبهات ، وبذل وسعه - جزاه الله خيراً - في الدفاع عن صحابة رسول الله ﷺ وذب الافتراء عنهم، وإن كان من إضافة إلى هذا الكتاب النافع فهي محصورة في ثلاثة مواضع من الكتاب :

الأول :

عند مناقشته قضية اتهام الوليد بن عقبة بشرب الخمر ، وأنصح القارىء أن يضيف إلى ما ذكره المصنف هنا ، مزيداً من التفصيل حول هذا الاتهام ، وملابساته في حاشية الأستاذ / محمد مال الله - حفظه الله - على كتاب « ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه » الذي جمعه من « منهاج السُّنة النبوية » لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى - ص « ١٤٦ - ١٤٧ » .

الثاني :

حيث قال المصنف - وفقه الله - : « قول جمهور بل كل المفسرين من أهل السُّنة ... » إلخ ، ولو أن المصنف قال : « المنتسبين إلى أهل السُّنة » ، لما سُلِّم له

ذلك ، فكيف وهو يعمهم بهذا الوصف الشريف ، مع أن من المذكورين من هو من أشد خصوم أهل السُّنة كالزمخشرى المعتزلي الضال ، ومنهم أشاعرة كالنسفي ، ومنهم مضطرب كابن الجوزي ، ومنهم سلفي كالطبري وابن كثير .

الثالث :

حيث ناقش المصنف – وفقه الله – حديث الثقلين ، وأنصح القارئ – لمزيد من الفائدة – الرجوع إلى « سلسلة الأحاديث الصحيحة » لإمام السنة العلامة المجدد أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني ، قدَّس الله روحه ، ونور ضريحه ، وجزاه عن السُّنة وأهلها خير الجزاء – المجلد الرابع ص « ٣٥٥ » حديث رقم « ١٧٦١» .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه

محمد أحمد إسماعيل المقدم

عفا الله عنه

مقدمة فضيلة الشيخ الدكتور

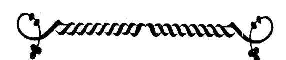
السيد محمد نوح
عفا الله عنه

بسم الله والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه والسالكين سبيله ، والداعين بدعوته إلى يوم الدين .

وبعد :

فمنذ بُعثَ رسول الله ﷺ وحتى يومنا هذا والمؤامرة عليه وعلى المنهاج الذي جاء الناس به من قبل رب العالمين مستمرة ، وقد اتخذت صوراً شتى وأساليب عدة ومنها : الإلتفاف حول عَلَمٍ بارزٍ من أعلام المسلمين ومحاولة تعظيمه ، وتضخيم شأنه ، وتفخيم أمره مع النيل من الآخرين ، والطعن فيهم لأدنى ملابسة ، وفي كل بيئة ، وعند كل مناسبة، وليس ذلك حباً في هذا العلَم، إنما توصلا إلى النيل من الإسلام ، وإسقاط رايته ، وإطفاء نوره على نحو ما صنع الشيعة عندما تعلقوا بفاطمة بنت النبي ﷺ وزوجها عليّ رضي الله عنه ونسلهما ، ورفعوهم فوق ما ينبغي ، مع الطعن والتشويه والتحريف لسيرة باقي الأصحاب الكرام، لا سيَّما الشيخين – أبي بكر وعمر– رضي الله عنهما، وإذا طعن في الصحابة بهذه الصورة طعن في صحة نقل القرآن والسُّنة كما يقول الحافظ الخطيب البغدادي في مقدمة كتابه « الكفاية » إن هؤلاء هم الشهود أن محمداً ﷺ بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الله به الغمة ، وإذا طعن في عدالة الشاهد بطلت الشهادة ، وانقطع نسبنا حينئذٍ بمحمد ﷺ والمنهج الخاتم الذي ختم الله به النبوات والرسالات .

ومن عجب أن هذا التعلق الكاذب بفاطمة وزوجها وأولادهما لم يكن شيئاً يذكر طوال القرنين الأولين من بعثته ﷺ ، ربما لقوة الإسلام في نفوس المسلمين ويقظة الدولة القائمة على هذا الإسلام ، ثم أخذ في الظهور ، وتطور واتسع حتى أصبح

لدعاته ومروجيه دولة تنشره وقوة تحميه ، وهذا هو الخطر الحقيقي والسكوت عنه إثم وأي إثم لأنه يفتح الباب أمام الناشئة ، والشباب أن يعتنقوا هذا الفكر ، وأن يرجوا له ، وربما يأتي يوم لا يجد المسلمون أمامهم شيئاً من دينهم الحق الصحيح ، وحينئذ يكون بطن الأرض خير من ظهرها ، لابد إذن من تفنيد هذا الزيف وإبطاله ، وفضح ناشريه ومروجيه بطريقة أو بأخرى إحقاقاً للحق ، وإبطالاً للباطل ، وفق المنهج النقدي عند المحدثين ، والأخ الشيخ / عثمان بن محمد الخميس ندب نفسه لهذا الأمر من خلال صحائف هذا الكتاب  وأحسب أنه أهل لذلك ، إذ منذ رأيته في الدراسات العليا – مرحلة التخصص – ولديَّ شعور أن الله سيفتح به وعليه الكثير والكثير لحضور ذهنه ، وتمام وعيه ،وسعة إطلاعه، وعذوبة لفظه ، وقوة حجته ، وسيلان قلمه ، أحسبه كذلك والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً .

وقد آن الأوان ليحقق الله – عز وجل – ما حسبته فيه وما ذلك على الله بعزيز ، ووصيتي لمن يقرأ هذا الكتاب : أن يكون منصفاً في حكمه نَصَفَةَ الشيخ عثمان وأن يتأنى في قراءة الكتاب قراءة شمولية قبل إصدار أي حكم عليه كله أو على بعض فصوله ومباحثه ، وفقراته ، وأن يلتمس العذر لما يراه مخالفاً الدليل فكل واحد يؤخذ من كلامه ويُرد عليه إلا المعصوم صاحب الرسالة الخاتمة ، على أن ما في الكتاب من هنات لا يبلغ شيئاً مما فيه من خير وحسنات ، والسعيد من عُدَّت سقطاته .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د / السيد محمد نوح
أستاذ الحديث وعلومه
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الكويت

مقدمة الطبعة الثانية :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فهذه هي الطبعة الثانية من كتابي البتاريخ ، زدت فيها بعض ما فاتنى من أمور مهمة ، رأيت أن أضيفها ، أسأل الله أن يجعل ذلك خالصًا لوجهه الكريم وأن يجعله ذخرًا لي يوم ألقاه ، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وأتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في طباعة هذا الكتاب ، وأخص أخي الدكتور بدر بن محمد الزيد الطريقي ، وأخي السيد جلال الطبطبائي ، وكما أتقدم بالشكر للأخ مرشد الفواز وغيرهم ممن لا يحضرني ذكرهم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه

أبو محمد التميمي

عثمان بن محمد الخميس

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

مقدمة الطبعة الأولى :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١) ﴾[الأحزاب: ٧١,٧٠] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

أما بعد :

فإني كنت أُقدِّمُ رجلاً وأُأَخِرُ أخرى عندما خطر في بالي أن أكتب في هذا الموضوع ، وذلك لكثرة من خاض فيه أحياناً بحق ، وغالباً بباطل ، ولا شك أنه من الموضوعات الحية وإن كان مضى عليه وقت طويل ، ولكنه حيٌّ في نفوسنا ، وإكباراً لذلك الجيل الفريد ، وتلك الكوكبة من المصطفين الأخيار .

ولما كانت كلمة الحق نوراً يهتدى به ، ولما لذلك الجيل من فضل علينا ، كان لزاماً علينا أن نؤدي بعض ما لهم علينا من حق ، فشأنهم ليس كشأن غيرهم ، فَعلمُهم وعملهم لم يسبقوا فيه ولن يلحقوا به ، فبهؤلاء أعز الله الدين وأظهره .

ونحن وإن كنا نلهج بفضائل أصحاب محمد ﷺ ، إلا أننا لا ندعي فيهم العصمة ، فما جعل الله العصمة إلا لأنبيائه وملائكته ، نعم لقد أخطأ بعضهم في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته ، ولكن هذه الأخطاء في جانب حسناتهم كحبات رمل في جبال ، وقطرات ماء في عباب .

ولا شك أن أمر التاريخ مهم جداً ، فهو يشكّل عماد الأمم ، ويحدد لها منهجها وحاضرها ومستقبلها ، وما من أمة تقوم وتسود إلا إذا أحكمت الصلة بماضيها ، واستمدت منه القوة لبناء حاضرها ، واستشراف مستقبلها ، وأمة مثل أمة الإسلام ، أولى من غيرها بذلك ، لما يحمل تاريخها من أمجاد وبطولات وانتصارات يصغر عنده تاريخ أي أمة من الأمم ، ولكن في ظل ضعف أمتنا في وقتها الحاضر ، سلط الله علينا ورثة القردة والخنازير ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرُح بميت إيلام [١]

وفي ظل هذا الضعف ، لابد من العودة لتاريخ أمتنا المجيد المشرق ، كي يسهل علينا تأمل ذاتنا ، والإبصار من حولنا ، وتلمس الخطى لمستقبلنا ، وهذا لن يتم إلا في رجوعنا وتدبرنا لتاريخنا الصحيح ، ولا شيء غير الصحيح .

ولو أمعنا النظر في تاريخنا ، لوجدنا أن أنصع الفترات بياضاً هي الفترة التي عاشها رسول الله ﷺ وأصحابه ، ذلك الجيل الذي حمل على عاتقه نشر رسالة الإسلام ، فهم صفوة خلق الله بعد الأنبياء – عليهم السلام – .

والأمة الإسلامية اعترى تاريخها كثيرٌ من التشويه ، بسبب الفرقَ التي ظهرت إذ تحاول كل فرقة أن تضع من شأن الفرق الأخرى وترفع من شأن ذاتها ، وبذا حدثت ثغرات في تاريخ العظماء .

فإن من الأمة الإسلامية من أحب علياً رضي الله عنه حباً أفسد عليه أمره كله ، فنسب

---

(١) ديوان المتنبي « ١٦٤ » .

إليه ما لا يقبل من الحوادث والأخبار ، ومن خلاله حاول أن يضع من شأن غيره ، ويبعُد الآخرين معتدين على حقه ظالمين له ولأنفسهم ، بل زاد به ذلك الحب حتى عدَّ أحفاد عليّ ﷺ أئمة منصوصاً عليهم ، وأعطاهم العصمة مشبهاً لهم بالأنبياء ، بل زاد على ذلك [١] - ولا حول ولا قوة إلا بالله - وهذا إنما وجد بعد منتصف القرن الثالث الهجري على الصحيح ، ومما يدل على هذا أننا لا نجد الكراهية للصحابة الكبار التي ينسبونها لعليّ في أحوالهم ولا في أخبارهم الصحيحة ، بل اتفق الجميع على تزويج عليّ ابنته أم كلثوم بنت فاطمة لعمر ، وتسمية أولاده بأسماء من سبقه ، كأبي بكر وعمر وعثمان ، وتوليه القضاء على عهد عمر ، وثنائه على أبي بكر وعمر وغيرهما من أصحاب النبي ﷺ ، وإني كما ذكرت في أول الكتاب ، كنت أُقدم رِجلاً وأُأَخرّ أخرى حتى رأيت أن من المصلحة أن أكتب في هذا الموضوع بما ييسر الله لي ، وذلك بعد استشارة من أثق به من أهل العلم فما كان من حق فمن الله ، وما كان من غير ذلك فمن نفسي والشيطان ، وسأتناول في هذا البحث فترة زمنية من تاريخنا الطويل ، أظنها من أهم الفترات ، وهي ما بين وفاة الرسول ﷺ إلى سنة إحدى وستين من الهجرة النبوية المباركة .

ولقد قسمت الكتاب إلى أربعة فصول :

الفصــل الأول :

في بيان كيفية قراءة التاريخ ، وبيان منهج الإمام الطبري وذكر أهمية الإسناد في التاريخ الإسلامي .

الفصل الثانــي :

اعتمدت فيه على السرد التاريخي للأحداث من وفاة النبي ﷺ إلى عام إحدى وستين من الهجرة ، وذكرت الأحداث المهمة في هذه الفترة بالأسانيد الصحيحة بقدر

---

(١) انظر : بحار الأنوار ، الأجزاء (٢٣ - ٢٧) .

المستطاع مع التنبيه على القصص المزورة والأباطيل .

الفصل الثالث :

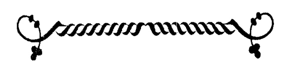
تناولت فيه موضوع عدالة الصحابة مستدلاً بالكتاب والسُّنة مع ذكر أهم الشبهات التي أُثيرت حولهم ، وبيان الحق فيها .

الفصل الرابع :

تناولت فيه قضية الخلافة ، فذكرت أدلة المبتدعة على إمامة عليّ بن أبي طالب مفصلة ، وناقشتها نقاشاً علمياً دقيقاً ، قد لا تجده في غير هذا الكتاب ، ولا أقول هذا من باب الإعجاب ، بل من باب : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١) ﴾ . [الضحى : ١١] .

هذا وأسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

بالله ياقارئاً كتبي وسامعها	أسبل عليها رداء الحكم والكرم
واستر بلطفك ما تلقاه من خطإٍ	أو أصلحنه تثب إن كنت ذا فهم
فكم جواد كبا والسبق عادته	وكم حسام نبا أو عاد ذو ثلم
وكلنا يا أخي خطاء ذو زلل	والعذر يقبله ذو الفضل والشيم [١]



(١) نقلاً عن موارد الظمآن (١/٧) .

تمهيد :

إن من أعظم أكاذيب التاريخ زعم الزاعمين أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يضمرون العداوة لبعضهم ، وهذا باطلٌ وبعيد كل البعد عمّا يفصح به قول الله تعالى لهم : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، وقول رسوله ﷺ : « **خير الناس قرني** »(١) .

وإن من غربة الإسلام بعد القرون الثلاثة المفضلة أن ظهر كُتّابٌ شوّهوا التاريخ وسوّدوه ، وخالفوا الحق وعادوه ، فزعموا أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يكونوا أخوانًا في الله ، ولم يكونوا رحماء بينهم ، وإنما كانوا أعداءً يلعن بعضهم بعضًا ، ويمكر بعضهم ببعض ، وينافق بعضهم بعضًا ، ويتآمر بعضهم على بعض بغيًا وعدوانًا واتّباعًا للهوى . ولَعمْرو الله كذبوا وجاءوا بإفكٍ عظيم وبُهتانٍ مبين .

لقد كان أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وأبو عبيدة وعائشة وفاطمة وغيرهم من السابقين ﷺ والصحابة الميامين أنبل وأطهر من أن يقع منهم شيءٌ من ذلك، وكانت بنو هاشم وبنو أمية أوفى من ذلك لإسلامهما ورحمهما وقرابتهما ، وأوثق صلة وأعظم تعاونًا على الخير ، ومن فُتحت أقطار الأرض على أيديهم ودخلت الأمم بسعيهم ودعوتهم ، وما منهم من أحدٍ إلا ويتصل ببني هاشم بالخؤولة أو الرحم أو المصاهرة ، واعلمَ أن الأخبار الصحيحة التي يرويها أهل الصدق والعدالة هي التي تثبت أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا كلهم خيرة من عرفت الإنسانية من صفوة أهلها بعد الأنبياء ، وأن الأخبار التي تشوّه سيرة الصحابة ﷺ وتوهم أنهم كانوا صغار النفوس هي التي رواها الكذبة والوضّاعون .

---

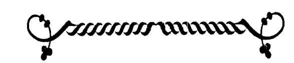
(١) صحيح البخاري ، كتاب الشهادات ، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد ، رقم الحديث (٢٥٠٩)

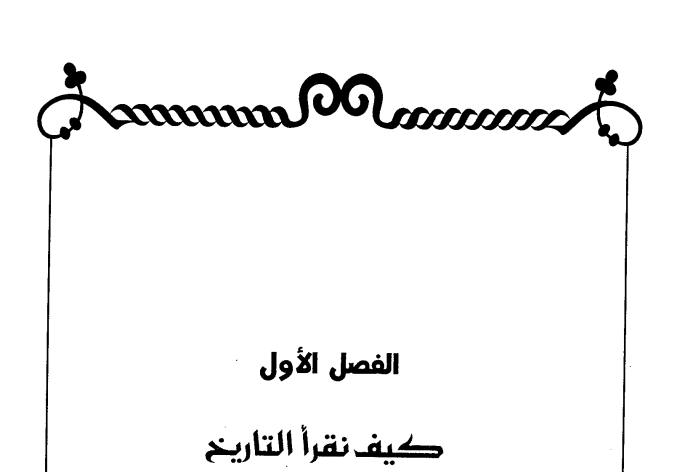
إن تاريخ المسلمين يحتاج إلى كتابة جديدة ، وذلك بأخذه من ينابيعه الصافية ، لا سيما في المواطن التي شوّهها أهل الذم الخربة من ملفقي الأخبار علمًا بأن أمتنا الإسلامية هي أغنى الأمم بمادة تاريخها الذي حفظته بالأسانيد الثابتة ، ولقد تدارك سلفنا الصالح من المؤرخين الأخبارَ قبل ضياعها ، فجمعوا فيها كل ما وصلت إليه أيديهم من غث وسمين منبهين على مصادر الأخبار وأسماء رواتِها ليكون القارىء على بينة من صحيحها وسقيمها .

والآن يأتي دورنا نحن الخلف كي نسير على خطى سلفنا الصالح ، ونصفّي هذه الكتب ونميز السقيم من الصحيح ، والغث من السمين ، فتكون بذلك خير خلف لخير سلف .

لقد باتت الأمة الإسلامية محرومة من أغزر ينابيع قوتها ، وهو الإيمان بعظمة ماضيها ، في حين أنها سليلة سلف لم ير التاريخ سيرة أطهر ولا أبهر ولا أزهر من سيرته .

وحتى يعلم الجميع أن صحائف أصحاب محمد ﷺ كانت كقلوبهم نقاءً وسلامة وطهراً ، ومن أراد أن يكتب في التاريخ يشترط في أن يكون سليم الطوية لأهل الحق والخير عارفًا بهم ولما لَهم من الحق ، بارعًا في التمييز بين حملة الأخبار ، وتمييز الصحيح من السقيم ، أمينًا صادقًا متحرّيًا للحق .





الفصل الأول

كيف نقرأ التاريخ

الفصل الأول

كيف نقرأ التاريخ؟

لابد أن نقرأ التاريخ كما نقرأ أحاديث رسول الله ﷺ ، إذا أردنا أن نقرأ أحاديث رسول الله ﷺ ، لابد لنا أن نتثبت من الخبر أثابتٌ عن رسول الله ﷺ أم لا ؟ .

ولن نستطيع أن نعرف صحة الخبر عن رسول الله ﷺ من بطلانه إلا بالنظر إلى الإسناد مع المتن ، لأن أهل العلم اعتنوا بالحديث ورجاله ، وتتبعوا أحاديثهم ومَحَّصوها ، وحكموا عليها وبينوا الصحيح من الضعيف ، وبالتالي نقيت هذه الأحاديث مما فيها ، أو مما أدخل عليها ، من كذب أو تدليس ، أو ما شابه ذلك .

ولكن التاريخ يختلف فتارة نجد كثيراً من رواياته ليس لها إسنادٌ ، وتارة أخرى نجد لها إسناداً ولكن قد لا نجد للرجال الذين في إسناد تلك الرواية ترجمة ، ولا نجد أحداً من أهل العلم تكلم فيهم جرحاً أو تعديلاً ، مدحاً أو ذمّاً فيصعب علينا عندئذ أن نحكم على هذه الرواية لأننا لا نعرف حال بعض رجال السند .

فالأمر أصعب من الحديث ، ولكن لا يعني هذا أبداً أن نتساهل فيه ، بل لابد أن نتثبت وأن نعرف كيف نأخذ تاريخنا .

وقد يقول قائل :

سيضيع علينا كثير من التاريخ بهذه الطريقة ، فنرد عليه قائلين لن يضيع الكثير كما تتصور .

فإن كثيراً من روايات التاريخ التي نحتاجها خاصة في هذا البحث مذكورة بالأسانيد سواء كانت هذه الأسانيد في كتب التاريخ نفسها كتاريخ الطبري أم في كتب الحديث كصحيح البخاري ومسند أحمد وجامع الترمذي ، والمصنفات كمصنف ابن أبي شيبة ، وفي كتب التفسير التي تذكر بعض الروايات التاريخية

بالأسانيد كتفسير ابن جرير وتفسير ابن كثير وأحياناً في كتب خاصة تكلمت عن أوقات خاصة ككتاب حروب الردة للكلاعي مثلاً ، أو كتاب تاريخ خليفة بن خياط المختصر ، القصد أننا لا نعجز عن أن نجد سنداً لرواية من الروايات .

وإن عجزنا ولم نجد سنداً فعندنا أصل عام نتبعه ، وهو خاص بالنسبة لما وقع في عهد الصحابة ، وهو موضوع حديثنا ، ألا وهو ثناء الله تبارك وتعالى ، وثناء رسوله ﷺ ، كما سيأتي على الصحابة ، فالأصل فيهم العدالة ، وكل رواية جاء فيها مطعن على أصحاب رسول الله ﷺ الأصل النظر في السند ، فإن كان صحيحاً يُنظر بعد ذلك في تأويل هذه الرواية وفيما تدل عليه ، وإن وُجد أن السند ضعيفٌ ، أو لم نجد لها سنداً فعندنا الأصل وهو عدالة أولئك القوم .

إذاً عند قراءة التاريخ لابد أن نقرأه بتمحيص كما نقرأ الحديث ، وأخَصُّ التواريخ هو تاريخ أصحاب رسول الله ﷺ .

لمن نقرأ ؟ :

للأسف شغف الكثيرون الآن في زماننا هذا بقراءة الكتب الحديثة التي أُلِّفت في التاريخ ، والتي تهتم بجمال القصة أو تشويه الصورة أو هما معاً ، بغَضِّ النظر عن صحتها أو عدم صحتها ككتب عباس العقاد [١] ، أو كتب خالد محمد خالد [٢] ، أو كتب طه حسين [٣] ، أو كتب جورجي زيدان « النصراني » [٤] ، أو غيرهم من المحدثين ، فهؤلاء عندما يتكلمون عن التاريخ يهتمون بالسياق وجمال القصة وحُسن السبك ، بغضِّ النظر عما إذا كانت هذه القصة صحيحة أم لا ، وبعضهم يقصد التشويه ، المهم أن يقص عليك قصة جميلة .

---

(١) له كتاب العبقريات .
(٢) له كتاب خلفاء الرسول ، ورجال حول الرسول .
(٣) له كتاب موقعة الجمل، وعليّ وبنوه ، والفتنة الكبرى .
(٤) له كتاب تاريخ التمدن الإسلامي .

إذاً لمن نقرأ ؟

الجواب إذا كنت تستطيع أن تبحث في الأسانيد وتُمحصها فاقرأ للإمام الطبري فهو العمدة بالنسبة للذين يكتبون في التاريخ ، وإذا كنت لا تستطيع أن تمحص الأسانيد فاقرأ لابن كثير في كتابه البداية والنهاية وللذهبي في كتابه تاريخ الإسلام ولأبي بكر بن العربي في كتابه العواصم من القواصم وهو من أفضل الكتب التي تكلمت عن هذه الفترة .

مم نحذر ؟

عندما نقرأ كتب التاريخ علينا أن نحذر من أن نميل مع رأى المؤلف ، إذ لابد أن ننظر إلى أصل الرواية لا إلى رأيه ، وأن نتوخَّى الإنصاف عند القراءة .

ولابد أن نعتقد ونحن نقرأ تاريخ أصحاب رسول الله ﷺ أمرين اثنين :

الأمر الأول : أن نعتقد أن أصحاب النبي ﷺ هم خير البشر بعد أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم ، وذلك لأن الله تبارك وتعالى مدحهم ، والنبي ﷺ كذلك مدحهم ، وبيَّن في أكثر من حديث أنهم أفضل البشر بعد أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم وأمتهم أفضل الأمم .

الأمر الثاني : أن نعلم أن أصحاب رسول الله ﷺ غير معصومين ، نعم نحن نعتقد العصمة في إجماعهم لأن النبي ﷺ أخبرنا أن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة ، فهم معصومون من أن يجتمعوا على ضلالة [(١)] ، ولكنهم كأفراد غير معصومين فالعصمة لأنبياء الله وملائكته ، أما غير الأنبياء والملائكة فلا نعتقد بعصمة أحد ، إذاً لابد أن نعتقد أن الصحابة خير البشر ، وأن نعتقد أنهم غير معصومين .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده من طريق أبي بصرة الغفاري (٣٩٦/٦) رقم (٢٦٦٨٢) وأخرجه ابن ماجة – كتاب الفتن – باب السواد الأعظم – ٣٦٧/٢، حديث رقم ٣٩٩٨ من حديث أنس بن مالك وأخرجه ابن أبي عاصم في السُّنة – باب ما ذكر من أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة ص ٣٩ ، حديث رقم ٨٠ .

فإذا جاءتك رواية فيها طعن في صحابي فلا تُقْدِم على ردها ، ولا تقبلها حتى تنظر فيها ، فإن وجدت السند صحيحاً فهذه من الأشياء التي هم غير معصومين فيها ، فهم يخطئون كسائر البشر ، وإن وجدت السند ضعيفاً فابْق على الأصل ، وهو أنهم خير البشر بعد أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم .

أما مدح الله تبارك وتعالى أصحاب رسول الله ﷺ فهو في قول الله عزَّ وَجَلَّ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾ [الفتح : ٢٩] .

في هذه الآية مدح الله تبارك وتعالى جملة أصحاب رسول الله ﷺ ، إذاً الأصل فيهم المدح وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « **لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه** »[1] ، [متفق عليه] .

فهذا مدح من رسول الله ﷺ لأصحابه رضوان الله تبارك وتعالى عليهم ، وسيأتي تفصيل ذلك في الكلام عن عدالة الصحابة في الفصل الثالث من هذا الكتاب .

قال أبو عبد الله القحطاني في نونيته :

لا تقبلن من التوارخ كل ما	جمع الرواة وخط كل بنان
ارو الحديث المنتقى عن أهله	سيما ذوي الأحلام والأسنان
كابن المسيب والعلاء ومالك	والليث والزهري أو سفيان[2]

(١) **متفق عليه** : صحيح البخاري – كتاب فضائل الصحابة – باب لو كنت متخذاً خليلاً (٣٦٧٣) مسلم ، فضائل الصحابة (٢٥٤٠) .

(٢) نونية القحطاني .

أي إذا أردت تاريخاً صحيحاً ، فهو الذي يرويه هؤلاء وأمثالهم من الثقات لا كما يقول الكثيرون ممن يطعنون في سيرة أصحاب الرسول ﷺ يقولون : إن تاريخنا أسود مظلم قاتم ، لا بل تاريخنا ناصع ، جميل ، طيب يستمتع الإنسان بقراءته .

ومن أراد التوسع فليرجع إلى كتب التاريخ كتاريخ الأمم والملوك المشهور بتاريخ الطبري والبداية والنهاية أو تاريخ الإسلام للذهبي أو غيرها من كتب التاريخ المعتمدة . ويعتبر تاريخ الإمام الطبري أهم كتاب في التاريخ الإسلامي ، وكثيراً ما ينقل الناس عن تاريخ الطبرى، فأهل السُّنة ينقلون ويحتجون بتاريخ الطبري ، وكذا يفعل أهل البدعة .

فلماذا يا ترى يقدم كتاب تاريخ الطبري على غيره من كتب التواريخ ؟

يقدم تاريخ الطبري على غيره لأمور كثيرة منها :

﴿ ١ ﴾ قرب عهد الإمام الطبري من تلك الحوادث .

﴿ ٢ ﴾ أن الإمام الطبري يروي بالأسانيد .

﴿ ٣ ﴾ جلالة الإمام الطبري ومنزلته العلمية رحمه الله تبارك وتعالى .

﴿ ٤ ﴾ أن أكثر كتب التاريخ إنما تنقل عنه .

وإذا كان الأمر كذلك فنحن إذا أردنا أن نقرأ فلنذهب مباشرة إلى الإمام الطّبري ، ولكن كما ذكرت فأهل السُّنة يأخذون من تاريخ الطبري ، وأهل البدع كذلك ، فكيف نوفق بين هذا وهذا ؟ .

تاريخ الطّبري كما قلنا من مزاياه أنه لا يحدث إلا بالأسانيد ، وأهل السُّنة يأخذون الصحيح من أسانيد الطبري ، أهل البدع يأخذون الصحيح والغث والسمين ، المهم أن يوافق أهواءهم ، وإذا كان الأمر كذلك كان من الواجب علينا أن نتعرف على منهج الإمام الطبري في تاريخه .

منهج الإمام الطبري في تاريخه :

لقد أراحنا الإمام الطبري – رحمه الله – في هذه المسألة بمقدمة كتبها في أول كتابه ، ليت الذين يقرأون هذا التاريخ يقرأون هذه المقدمة [١] .

يقول الإمام الطبري في مقدمة تاريخه :

وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه ، إنما هو على ما رُويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها .

فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه ، أو يستشنعه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً من الصحة ، ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا ، وإنما أتي من قِبل ناقليه إلينا ، وإنَّا إنَّما أدينا ذلك على نحو ما أُدِّي إلينا [٢] .

أظن أن الإمام الطبري بهذه المقدمة التي قدَّم لكتابه ألقى العهدة عليك أنت أيها القارىء فهو يقول لك : إذا وجدت في كتابي هذا خبراً تستشنعه ولا تقبله ، فانظر عمن رويناه والعهدة عليه ، وعليَّ أن أذكر من حدَّثني بهذا فإن كان ثقة فاقبل ، وإن لم يكن ثقة فلا تقبل .

وهذا الأمر قام به أكثر المحدِّثين ، فحين ترجع إلى كتب الحديث غير الصحيحين اللذين تعهد البخاري ومسلم بإخراج الصحيح فقط ، كأن ترجع إلى جامع الترمذي ، أو سُنن أبي داود ، أو الدارقطني ، أو الدَّارميّ أو مسند أحمد ، أو غيرها من الكتب تجدهم يذكرون لك الإسناد ولم يتعهدوا بذكر الصحيح فقط ، وإنما ذكروا لك الإسناد ، وواجبك أن تنظر إلى الإسناد ، فإذا كان السند صحيحاً فاقبل وإن لم يكن

---

(١) بل ينبغي لكل إنسان إذا أراد أن يقرأ كتاباً من الكتب أن يقرأ مقدمة الكتاب حتى يعرف منهج المؤلف .

(٢) مقدمة تاريخ الطبري ، (ص ٥) .

صحيحاً فرده .

والطبري هنا لم يتعهد أن ينقل الصحيح فقط ، إنما تعهد أن يذكر اسم من نقل عنه ، فإذا كان الأمر كذلك فلا عهدة على الإمام الطبري رحمه الله تعالى .

وقد أكثر الإمام الطبري في كتابه التاريخ النقل عن رجل اسمه لوط بني يحيى ويكنى بأبي مخنف ، ولوط بن يحيى هذا روى عنه الطبراني خمسمائة وسبعاً وثمانين رواية ، وهذه الروايات تبدأ من وفاة النبي ﷺ وتنتهي إلى خلافه يزيد ، وهي الفترة التي سنتكلم عنها في كتابنا هذا ، فيها سقيفة بني ساعدة ، قصة الشورى ، الأمور التي من أجلها قام البغاة على عثمان رضي الله عنه ثم بعد ذلك مقتله ، خلافة عليّ ، معركة الجمل ، معركة صفين ، التحكيم ، معركة النهروان ، خلافة معاوية ، قتل الحسين ، وفي كل هذه تجد لأبي مخنف رواية وهي التي يعتمدها أهل البدع ، ويحرصون عليها ، وليس أبو مخنف وحده بل أبو مخنف هو أشهرهم ، وإلا فهناك غيره كالواقدي [١] مثلاً ، وهو متروك متهم بالكذب، ولا شك أنه مؤرخ كبير حافظ عالم بالتاريخ ولكنه غير ثقة ، والثالث سيف بن عمر التميمي [٢] ، وهو أيضاً مؤرخ معروف ولكنه متروك متهم بالكذب أيضاً ، وكذلك الكلبي [٣] وهو كذاب مشهور ، فإذاً لابد أن يتثبت المرء من رواية هؤلاء وأمثالهم .

نعود إلى أبي مخنف ، فقد قال عنه ابن معين : ليس بثقة ، وقال أبو حاتم : متروك الحديث ، وسُئل عنه مرة فنفض يده وقال : أحد يسأل عن هذا ، وقال الدارقطني : ضعيف ، وقال الذهبي : إخباري تالف لا يوثق به [٤] .

فأنت إذا فتحت تاريخ الطبري ووجدت رواية فيها مطعن على أصحاب

---

(١) محمد بن عمر بن واقد : انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب (٩/٣٦٣) ، ميزان الاعتدال (٣/٦٦٢) .
(٢) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٤/٢٩٥) ، ميزان الاعتدال (٢/٢٥٥) .
(٣) محمد بن السائب الكلبي : ميزان الاعتدال (٣/٥٥٦) .
(٤) ميزان الاعتدال (٣/٤١٩) ، الجرح والتعديل ، (٧/١٨٢) لسان الميزان (٤/٤٩٢) .

الرسول ﷺ فوجدت أن الطبري إنما رواها عن أبي مخنف فعليك أن تلقيها جانباً ، لماذا ؟ لأنها من رواية أبي مخنف .

وأبو مخنف هذا جمع بين البدعة والكذب وكثرة الرواية ، مبتدع كذاب ، مكثر من الرواية .

وسائل الإخباريين في تشويه التاريخ :

[١] الإختلاق والكذب :

يختلقون قصة ما ، كما اختلقوا مثلاً أن عائشة رضي الله عنها لما جاءها خبر موت عليّ رضي الله عنه سجدت لله شكراً ، وهذه قصة مكذوبة [١] .

[٢] الزيادة على الحادثة أو النقصان منها بقصد التشويه :

هنا يكون أصل الحادثة صحيحًا كحادثة السقيفة ، فقصة السقيفة صحيحة ووقع هناك اجتماع بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة من جانب والحباب بن المنذر وسعد بن عبادة وغيرهما من الأنصار من جانب آخر ، فزادوا عليها أشياء كما سيأتي الآن ذكره مما أرادوا به تشويه هذه الحقيقة .

[٣] التأويل الباطل للأحداث :

وهو أن يجتهد في تأويل الحدث تأويلاً باطلاً يتماشى مع هواه ، ويتماشى مع معتقده وبدعته التي هو عليها .

[٤] إبراز المثالب والأخطاء :

هنا تكون القصة صحيحة ، ولكن يبرزها إبرازاً يركز فيه على الأخطاء ، ويغطي على أية محاسن .

---

(١) ذكرها التيجاني في كتابه « فاسألو أهل الذكر » (ص ٩٧) ولم يعزها لأحد .

[٥] صناعة الأشعار لتأييد حوادث تاريخية :

يصنعون شعراً يؤلفه أحدهم ثم ينسبه إلى أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه ، أو ينسبه إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، أو ينسبه إلى الزبير أو إلى طلحة رضي الله عنهما في الطعن في أحد الصحابة كما نسبوا شعراً لابن عباس أنه قال في حق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :

تَبَغَّلْتِ تجَمَّلْتِ ولَو شِئْتِ تَفَيَّلْتِ[١]

[٦] وضع الكتب والرسائل المزيفة :

كما سيأتينا إن شاء الله تبارك وتعالى في قصة مقتل عثمان رضي الله عنه حين زُيفت كتب على لسان عثمان ، وزُيفت كتب على لسان عائشة ، وزيفت كتب على لسان عليّ ، وطلحة والزبير ،وهذا غير الكتب التي تؤلف وتزيف ككتاب نهج البلاغة ونسب إلى علي بن أبي طالب ، وكتاب الإمامة والسياسة الذي نسبوه للإمام ابن قتيبة [٢] .

متى بدأ منهج التثبت عند أهل السُنَّة ؟ .

بدأ لما وقعت الفتنة كما يقول الإمام محمد بن سيرين التابعي الجليل رحمه الله تعالى ورضي عنه : « لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السُّنة فيؤخذ حديثهم، ينظر إلى أهل البدعة فلا يؤخذ حديثهم » [٣] .

وذلك أن الأصل في الناس الثقة ، ولأن ابن سيرين من كبار التابعين ، وأدرك حياة الصحابة وعاش مع كبار التابعين ومع صغارهم ، ولأن الفتنة المقصودة هنا هي خروج أهل البدع ، كالشيعة [٤] ، والخوارج [٥] والقدرية [٦] .

---

(١) أي : ركبت البغل ثم الجمل ، وإن شئت ركبت الفيل ، أى للقتال وإثارة الفتنة .

(٢) **انظر** : مقدمة كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر (ص ٣٢) .

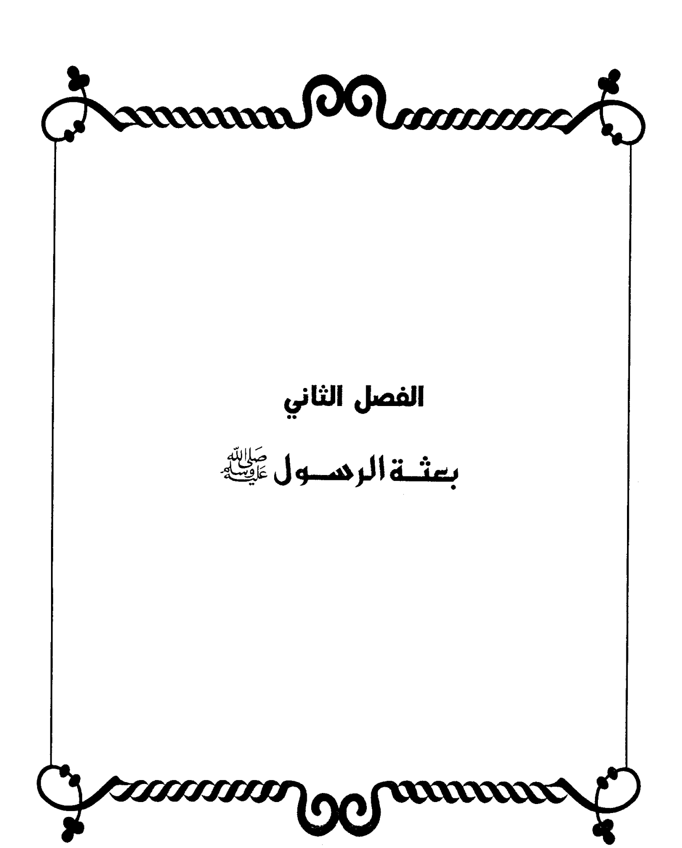
(٣) مقدمة صحيح مسلم ، باب الإسناد من الدين .

(٤) **الشيعة** : هم الذين ادعوا التشيع لعليّ بن أبي طالب وأولاده وادعوا أن الإمامة فيهم وكفّروا أكثر الصحابة ، انظر غير مأمور كتاب أصول مذهب الشيعة ، وكتاب الشيعة والتشيع .

(٥) **الخوارج** : هم الذين خرجوا على عليّ بن أبي طالب بعد معركة صفين وقاتلهم فى النهروان .

(٦) **القدرية** : هم الذين ينفون القدر السابق ويقولون إن الأمر أنف أي جديد مستأنف . انظر غير مأمور كتاب.





الفصل الثاني

بعثة الرسول ﷺ

الفصل الثاني

بعثة الرسول ﷺ

في يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول [(١)] ، امتن الله تبارك وتعالى على البشرية أجمع بولادة سيد البشرية [(٢)] وهاديها محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي .

وُلِدَ يتيم الأب ، وعاش بعد السادسة يتيم الأب والأم ، إذ مات أبوه وهو في بطن أمه وماتت أمه وهو في السادسة من عمره ، فكفله جده عبد المطلب ، ولكنه مات بعد سنتين فكفله عمه أبو طالب .

ولما بلغ الأربعين من عمره بعثه الله مُبشراً ونذيراً ، فقام برسالته خير قيام وبلَّغ ما أمره به ربه أن يبلغه ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور ، فعاداه كبراء قومه وآذوه وآذوا من تبعه من الناس ، وقد تبعه أقوامٌ باعوا الدنيا واشتروا الآخرة وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ونصروا الله ورسوله ، قال تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) ﴾ [الحشر : ٨] .

واستمر في دعوته صلوات الله وسلامه عليه زهاء ثلاث عشرة سنة حتى أمره الله بالهجرة إلى المدينة التي نورها الله تبارك وتعالى برسوله محمد ﷺ وهاجر معه أصحابه وتركوا الأموال والأولاد والدور وذلك في سبيل الله تبارك وتعالى .

ولما وصل إلى المدينة آوَاهُ أهلها ونصروه وعزروه وعادوا الناس كلهم لأجله صلوات الله وسلامه عليه ، وواسوا المهاجرين بأموالهم ودورهم بل وأزواجهم فكان الأنصاري

(١) هناك اختلاف في تحديد يوم مولد النبي ﷺ .

(٢) قال رسول الله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر » مسند أحمد (٣/٢) ، رقم (١١٠٠٠) .

الذي له زوجتان يقول للمهاجر : اختر أيهما شئت أطلقها فتتزوجها ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) ﴾ [الحشر : ٩] .

واستمر النبي ﷺ في دعوته خارج المدينة حتى شملت الجزيرة كلها إلى أن جاء اليوم العظيم الذي فتح الله فيه لرسوله ﷺ مكة المكرمة ودخل أهلها في الإسلام ودانت بعد ذلك الجزيرة العربية كلها لرسول الله ﷺ .

وبعد ثلاث وعشرين سنة من الدعوة والجهاد جاء القدر المحتوم المصدق لقوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

وكأنما أظلمت الدنيا عند هذا الحادث الجلل ، وكيف لا يكون كذلك والرسول ﷺ يقول : « **إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبته بي ، فإنما هي أعظم المصائب** » [١] .

فلم يصب العالم منذ خلق الله الخليقة بمصيبة أعظم من مصيبة موت رسول الله ﷺ ، فهذه فاطمة رضي الله عنها بنت النبي ﷺ لما مات تقول : « يا أبتاه أجاب رباً دعاه ، يا أبتاه في جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه » [٢] .

وهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : « لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء » ،

---

(١) الطبقات الكبرى (٢/٢٧٥)، وصححه الألباني- رحمه الله- في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١١٠٦) .
(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي ، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، رقم الحديث (٤٠٤١٩٣/١٦١٩) .

وقال ﷺ: « وما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا » [(١)] .

وهذا أبو بكر يقول لعمر رضي الله عنهما بعد وفاة النبي ﷺ : انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها فلما انتهينا إليها بكت ، فقالا لها : ما يبكيك ؟ ما عند الله خير لرسوله قالت: والله ما أبكى أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ، ولكن أبكي أن الوحي انقطع من السماء ، فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان [(٢)] ، وهكذا انتقلت هذه النسمة الطيبة إلى بارئها ، وبقي دين الله في الأرض .

---

(١)ابن ماجه كتاب الجنائز ، باب وفاة النبي ﷺ ، حديث رقم (١١٦٣) .
(٢)أخرجه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، رقم (٢٤٥٤).

خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
[من سنة ١١ هـ إلى ١٣ هـ]

لما أُعلن أن رسول الله ﷺ قد توفي جاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه من السُّنْح « أي العوالي » فكشف عن وجه رسول الله ﷺ فقبل بين عينيه وقال : بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً ، وغطى رسول الله ﷺ ثم قام أبو بكر رضي الله عنه فصعد المنبر فقال : من كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت ، قال تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

فنشج الناس يبكون ، وخرج أصحاب رسول الله ﷺ في الشوارع يرددون هذه الآية ، يقول أنس رضي الله عنه : وكأننا لم نسمعها إلا في ذلك الوقت [(١)] ، مع أن القرآن قد كمل في زمن رسول الله ﷺ وقبل وفاته ، ومع هذا فإن هذه الآية بدت وكأنها جديدة عليهم كأنهم لم يسمعوها قبل ذلك من شدة الصدمة ، وهي خبر وفاة النبي ﷺ .

وقام العباس بن عبد المطلب وعليّ بن أبي طالب والفضل بن العباس رضي الله عنهم بتغسيل وتكفين رسول الله ﷺ حتى يُصلَّى عليه ويدفن « بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه » ، وذلك لأن العباس هو عم النبي ﷺ وعلياً ابن عمه ، والفضل ابن عمه رضي الله عنهم ، فكانوا هم أولي الناس برسول الله ﷺ .

سقيفة بني ساعدة :

في هذه الفترة التي انشغل فيها عليّ والعباس والفضل رضي الله عنهم بتجهيز رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب لو كنت متخذاً خليلاً ، رقم (٣٤٦٧) .

اجتمع بعض الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وسأذكر هذه الرواية من تاريخ الإمام الطبري أولاً من رواية أبي مخنف الكذاب، ثم أذكرها من رواية الإمام البخاري ثم نقارن بين الروايتين حتى نعرف الزيادات التي زادها أبو مخنف .

ولعل كثيراً من هذه الزيادات الآن عند الكثيرين أمور مسلمة ، وهذا أيضاً سيأتينا أيضاً في حادثة الشورى .

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى : « حدثنا هشام بن محمد عن أبي مخنف قال : حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرو بن أبي عمرة الأنصاري أن النبي ﷺ لما قبض اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا : نولي هذا الأمر بعد محمد ﷺ سعد بن عبادة ، قام أحدهم فقال : قد دانت لكم العرب بأسيافكم وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنكم راضٍ وبكم قرير عين ، استبدوا بهذا الأمر دون الناس فأجابه الجميع أن قد وفقت في الرأي ، فقال قائل منهم : فإن أبت مهاجرة قريش نقول منكم أمير ومنا أمير ، فقال سعد بن عبادة : هذا أول الوهن .

ثم بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن بعض الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة يقولون منا أمير ومنكم أمير [(١)] ، فذهب إلى أبي بكر فأخبره ، فقال : إن إخواننا الأنصار اجتمعوا ويقولون كذا ، فهلم بنا إليهم .

فخرج عمر وأبو بكر رضي الله عنهما فوجدا أبا عبيدة فقالا : معنا ، فذهب الثلاثة إلى الأنصار ، يقول عمر : فَزَوَّرت كلاماً في نفسي [(٢)] ، فلما أردت أن أتكلم أشار إليَّ أبو بكر أن اسكت فبدأ أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله بعث محمداً وذكر خطبة طويلة لأبي بكر وذكر منها أن المهاجرين أولى بالخلافة .

فقال الحباب بن المنذر : يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم فإن الناس في

---

(١) أي : بلّغه أحد الأنصار .
(٢) أي : جهزت كلاماً في نفسي .

فيئكم ، وفي ظلكم ، ولن يتجرئ مجترئ على خلافكم ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم أنتم أهل العز والثروة وأولوا العدد والمنعة فإن هم أبوا عليكم ما سألتموه فأجلوهم عن هذه البلاد ، وتولوا عليهم هذه الأمور فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم ، فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين ، أنا جديلها المحكك وعذيقها المرجب [١] .

فقال عمر وأبو عبيدة لأبي بكر : ابسط يدك نبايعك ، فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه ، قال : فقام أسيد بن حضير وكان أحد النقباء قال : « والله لئن وليتّها عليكم الخزرج مرة لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة » [٢] .

فقال سعد : « أما والله لو أن بي قوة ما أقوى على النهوض لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيراً يجرحك وأصحابك ، أما والله إذن لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع ، احملوني من هذا المكان » .

فحملوه فأدخلوه في داره ، فترك أياماً رضي الله عنه وأرضاه ثم قال : « أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبلي ، وأخضب سنان رمحي ، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي وأقاتلكم بأهل بيتي ، ومن أطاعني من قومي » .

فكان سعد بعد ذلك لا يصلي بصلاتهم ولا يجمّع معهم ، ويحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم ، فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر رحمه الله تعالى » [٣] .

هذه رواية أبي مخنف لقصة السقيفة ونورد الآن رواية الإمام البخاري لهذه القصة نفسها ونقارن .

---

(١) هذه تعني أنا أولى بها من غيري ، والجديل المحكك : هو العمود الذى كان يوضع للإبل التى كان يصيبها الجرب فتتحكك فيه حتى تشفى من هذا الجرب ، وكذلك عذيقها المرجب : هو عذق النخلة الذى يرجى ، انظر النهاية في غريب الحديث ١٩٧/٢ .

(٢) يعني أن أسيد بن حضير حسد سعد بن عبادة لأن سعد بن عبادة من الخزرج .

(٣) تاريخ الطبري ٤٥٥/٢ بتصرف .

قال الإمام البخاري : حدثنا إسماعيل بن عبد الله حدثنا سليمان بن بلال عن هشام بن عروة قال : أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي قالت : « إن رسول الله ﷺ لما مات اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا : منا أمير ، ومنكم أمير ، فذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر ، وكان عمر يقول : والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاماً قد أعجبني خشيت ألا يبلغه أبو بكر ، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس ، فقال في كلامه نحن الأمراء وأنتم الوزراء .

فقال حباب بن المنذر : لا والله لا نفعل ، منا أمير ومنكم أمير .

فقال أبو بكر : لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء ، هم أوسط العرب داراً – يقصد قريشاً – وأعزهم أحساباً ، بايعوا عمر أو أبا عبيدة .

فقال عمر : بل نبايعك أنت ، فأنت سيدنا وخيرنا ، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس (١) .

هذه رواية الإمام البخاري وهي كما نرى مختصرة وقصيرة،وهذه حقيقة السقيفة ، أما ما زاده أبو مخنف من أن سعد بن عبادة قال : أقاتلكم ، وكان لا يصلي معهم ، ولا يجمع بجمعتهم ولا يفيض بإفاضتهم ، وأن الحباب بن المنذر رد على أبي بكر وزيادات أخرى كلها أباطيل .

قصة السقيفة لم تستغرق نصف ساعة ، في ظاهرها وانظر كيف أصبحت الرواية أكبر مما هي عليه .

وأما سعد بن عبادة فقد أخرج أحمد في مسنده عن حميد بن عبد الرحمن قال : تكلم أبو بكر ولم يترك شيئاً أنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله ﷺ في شأنهم

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب لو كنت متخذاً خليلاً رقم (٣٤٦٧)

إلا وذكره ، وقال : ولقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال : « **لو سلك الناس وادياً ، وسلكت الأنصار وادياً سلكت وادي الأنصار** » .

ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد : « **قريش ولاة هذا الأمر ، فبَرُّ الناس تبعٌ لبَرِّهم ، وفاجرهم تبعٌ لفاجرهم** » ، فقال سعد عند ذلك : صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء [١] .

هذه الرواية أخرجها أحمد في مسنده بسند صحيح مرسل من رواية حميد بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ورحمه ، وهي وإن كانت مرسلة ، ولكنها أقوى بكثير من رواية ذلك الكذاب أبي مخنف .

---

(١) مسند أحمد (١٨/١) تحقيق الشيخ أحمد شاكر .

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

اسمه : عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لوئ بن غالب بن فهر [١] ، وفهر هو قريش .

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : إن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق [٢] .

إسلامه :

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه ، فقال النبي ﷺ : « **أما صاحبكم فقد غامر** » ، فسلّم وقال : يا رسول الله إني كان بيني وبين عمر بن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت ، فسألته أن يغفر لي فأبى عليَّ فأقبلت إليك ، فقال رسول الله ﷺ : « **يغفر الله لك يا أبا بكر** » [ثلاثاً] . ثم إن عمر ندم فأتي منزل أبي بكر فسأل : أثمَّ أبو بكر ؟ فقالوا : لا ، فأتى النبي ﷺ فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر ، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال : يا رسول الله والله أنا كنت أظلم [مرتين] .

فقال النبي ﷺ : « **إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر** : **صدق وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي** ؟ » [مرتين] ، فما أوذي بعدها [٣] .

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر [٤] .

---

(١) معرفة الصحابة ، أبو نعيم ، (١٥٠/١) .
(٢) أخرجه الطبراني (٥٥/١) ، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/٧) ، وقال : رجاله ثقات .
(٣) ، (٤) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً » ، حديث رقم (٣٦٦١) .

هجرته :

عن أبي بكر رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ في الغار ، فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم فقلت : يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا ، قال : « **اسكت يا أبا بكر ، اثنان الله ثالثهما** » [١] .

فضائله :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعيَ من أبواب** « يعني الجنة » **يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان** » ، فقال أبو بكر : ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة » .

قال : وهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله ؟ .

قال ﷺ : « **نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر** » [٢] .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « صعد النبي أُحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم ، فقال : « **اثبت أُحد فإن عليك نبي وصديق وشهيدان** » [٣] .

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : إن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت : أي الناس أحب إليك ؟ قال : « **عائشة** » ، قلت : من الرجال ؟ قال :

---

(١) أخرجه البخارى ، كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة،حديث رقم (٣٩٢٢) ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة حديث رقم (٢٣٨١) .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ : « لو كنت مُتخذاً خليلاً » ، حديث رقم (٣٦٦٦) .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ : « لو كنت مُتخذاً خليلاً » ، حديث رقم (٣٦٧٥) .

« أبوها » ، قلت : ثم من ؟ قال : « **عمر بن الخطاب** » [(١)] .

علمه :

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : خطب رسول الله ﷺ وقال : « **إن الله خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله** » ، قال : فبكى أبو بكر ، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله عن عبدٍ خُيِّر ، فكان رسول الله هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا .

فقال رسول الله ﷺ : « **إن أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر** » [(٢)] .

ملازمته للنبي ﷺ :

عن عبد الله بن عمرو ﷺ وقد سئل عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ فقال : رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي فوضع رداءً في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً ، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم [(٣)] .

إشارات النبي ﷺ إلى استخلافه :

﴿ ١ ﴾ عن عائشة ﷺ قالت : إن رسول الله ﷺ قال في مرضه : « مروا أبا بكر يصلي بالناس » [(٤)] .

---

(١) أخرجه البخارى ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبى ﷺ : « **لو كنت متخذاً خليلاً** » ، حديث رقم (٣٦٦٢) ، مسلم فضائل الصحابة حديث رقم (٢٣٤٨) .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ سدوا الأبواب ، حديث رقم (٣٦٥٤) .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ : « **لو كنت متخذاً خليلاً** » ، حديث رقم (٣٦٧٨) .

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب الأذان ، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة ، حديث رقم (٦٧٨) .

﴿ ٢ ﴾ عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : أتت امرأة للنبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه ، قالت : أرأيت إن جئت ولم أجدك - كأنها تقول الموت - قال ﷺ : « **إن لم تجديني فأتي أبا بكر** » [1] .

﴿ ٣ ﴾ عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ في مرضه : « **ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتاباً ، فإني أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول قائل : أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر** » [2] .

أهم الأحداث في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

كان النبي ﷺ قد جهز جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه لغزو الروم في الشام ، فمات رسول الله ﷺ قبل أن يخرج الجيش ، فتردد الصحابة رضي الله عنهم في إرسال هذا الجيش خوفًا على المدينة خاصة بعد أن جاءهم الخبر عن ردة كثير من العرب ، وأصر أبو بكر الصديق رضي الله عنه على إرساله ، وقال : والله لا أحل عقدةً عقدها رسول الله ﷺ ولو أن الطير تخطفنا ، والسباع من حول المدينة ، ولو أن الكلاب جَرَتْ بأرجل أمهات المؤمنين ، لأجهزنَّ جيش أسامة وآمر الحرس يكونون حول المدينة . فكان خروج الجيش في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك ، فصاروا لا يمرّون بحي من أحياء العرب إلا أُرعبوا منهم ، وقالوا : ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة ، فأقاموا أربعين يومًا ، ويقال سبعين ثم قفلوا سالمين غانمين .

قتال المرتدين ومانعي الزكاة :

عزم أبو بكر الصديق رضي الله عنه على قتال المرتدين ومانعي الزكاة ، وقد تكلم الصحابة رضي الله عنهم مع الصديق في هذا وطلبوا منه أن يترك قتال المرتدّين خوفًا على المدينة

(١) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً » ، حديث رقم (٣٦٥٩) ، مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، حديث رقم (٢٣٨٦) .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، حديث رقم (٢٣٨٧) ، واللفظ له ، وأخرجه البخاري ، كتاب المرض ، باب ما رخص للمريض أن يقول إني وجع ، حديث رقم (٥٦٦٦) .

وأهلها ، فأبى وكلموه أن يترك مانعي الزكاة وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم ، ثم هم بعد ذلك يزكون ، فامتنع الصديق رضي الله عنه من ذلك وأباه ، وقد روى الجماعة في كتبهم سوى ابن ماجه عن أبي هريرة أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال لأبي بكر : علام تقاتل الناس ؟ وقد قال رسول الله ﷺ : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ؟** » ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : « والله لو منعوني عناقًا – وفي رواية : عقالاً – كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعها ، إن الزكاة حق المال والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة ، قال عمر رضي الله عنه : فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق [(١)] .

قلت : وقد قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥) ﴾ [التوبة : ٥] .

ولقد ارتد كثير من العرب عند وفاة رسول الله ﷺ :

- فارتدت أسد وغطفان وعليهم طليحة الأسدي .
- وارتدت كندة ومن يليها وعليها الأشعث بن قيس الكندي .
- وارتدت مذحج ومن يليها وعليهم الأسود العنسي .
- وارتدت بنو حنيفة وعليهم مسيلمة الكذاب .
- وارتدت سليم وعليهم الفجاءة .
- وارتدت بنو تميم من سجاح التَّغْلبية .

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الاعتصام ، باب الاقتداء بسُنن رسول الله ﷺ رقم (٧٢٨٤) .

وهناك من منع الزكاة ولم يرتد حتى قال قائلهم :

أطعنا رسـول الله مـا كـان وسطنا ... فيـا لعبـاد الله مـا بال أبي بكر

أيورثهـا بكرا إذا مـات بعـده ... وتلك لعمـرو الله قاصمـة الظهـر

■ وعقد أبو بكر الصديق لخالد بن الوليد الراية ، وأمره بطليحة بن خويلد الأسدي ، فإذا فرغ منه سار إلى مالك بن نويرة بالبطاح إن أقام له .

■ وعقد لعكرمة بن أبي جهل وأمره بمسيلمة ، ثم أتبعه بشرحبيل بن حسنة في أثره ، وعقد لخالد بن سعيد بن العاص إلى مشارف الشام ، وعقد لعمرو بن العاص إلى قضاعة ووديعة والحارث ، وعقد للعلاء بن الحضرمي وأمره بالبحرين [(١)] .

■ وعقد لحذفة بن محصن الغطفاني وأمره بأهل دبا وبعرفجة وهرثمة . ولطرفة بن حاجب وأمره ببني سليم ومن معهم من هوازن ، ولسويد بن مقرن وأمره بتهامة اليمن، ورجع الصديق رضي الله عنه إلى المدينة وقد كتب لكل منهم كتابًا وهذه نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابي هذا ، من عامة وخاصة ، أقام على إسلامه أو رجع عنه ، سلام على من اتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والهوى ، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله لا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن مُحمدًا عبده ورسوله ، نقر بما جاء به ، ونكفر من أبى ذلك ونجاهده أما بعد : فإن الله أرسل بالحق من عنده إلى خلقه بَشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، لينذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين فهدى الله بالحق من أجاب إليه ، وضرب رسول الله ﷺ من أدبر عنه حتى صار إلى الإسلام طوعًا أو كرهًا ، ثم توفى الله رسوله لله وقد نفذ أمر الله ونصح لأمته ، وقضى الذي عليه وكان الله قد بين له ذلك ، ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل فيه فقال ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر : ٣٠] ، وقال تعالى:

(١) البداية والنهاية (٦/٣٢٠ ، ٣٢١) .

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) ﴾[الأنبياء: ٣٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

فمن كان يعبد مُحمداً ﷺ فإن مُحمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ولا تأخذه سنةٌ ولا نوم ، حافظ لأمره ، منتقم من عدوه ، وإني أوصيكم بتقوى الله ، وحظكم ونصيبكم وما جاءكم به نبيكم وأن تهتدوا بهداه ، وأن تعتصموا بدين الله ، فإن كل من لم يهده الله ضال ، وكل من لم يعنه الله مخذول ، ومن هداه غير الله كان ضالاً، قال الله : ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧) ﴾ [الكهف : ١٧] .

ولن يقبل له في الدنيا عمل حتى يقر به ، ولم يقبل له في الآخرة صرف ولا عدل ، وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام ، وعمل به ، اغْتراراً بالله وجهلاً بأمره ، وإجابة للشيطان ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً (٥٠) ﴾ [الكهف : ٥٠] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) ﴾ [فاطر : ٦] .

وإني بعثت إليكم في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، وأمرته أن لا يقبل من أحد إلا الإيمان بالله ، ولا يقتله حتى يدعوه إلى الله عز وجل ، فإن أجاب وأقر وعمل صالحاً قُبِلَ منه وأعانه عليه، وإن أبى حاربه حتى يفيء إلى أمر الله ، ثم لا يبقي على أحد منهم قدر عليه ، وأن يحرقهم بالنار وأن يقتلهم كل قتلة ، وأن

يسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد غير الإسلام ، فمن اتبعه فهو خير له ، ومن تركه فلن يعجز الله ، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابه في كل مجمع لكم ، والداعية الأذان ، فإن أذن المسلمون فكفوا عنهم ، وإن لم يؤذنوا فسلوهم ما عليهم ، فإن أبوا عاجلوهم ، وإن أقروا حمل منهم على ما ينبغي لهم » [١] .

الأسود العنسي « عبهلة بن كعب » :

ادّعي النبوة وخرج في سبعمائة مقاتل زمن رسول الله ﷺ ، فقصد صنعاء وغلب عليها ، واستوثقت اليمن بأكمالها له ، وجعل أمره بستطير استطارة الشرارة ، واستغلظ أمره وارتد خلق من أهل اليمن ، وتوفي رسول الله ﷺ وهو على ذلك .

قتله فيروز الديلمي زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وكان الأسود نائمًا وهو في حالة سُكر شديد ، فضربه رضي الله عنه ضربة بالسيف فخار كأشد خوار ثور سُمِع قط ، فابتدر الحرس إلى المقصورة فقالوا : ما هذا ؟ ، ما هذا ؟ فقالت زوجته – وكانت امرأة صالحة – النبي يوحى إليه ، فرجعوا ، فاجتمع المسلمون والكافرون الذين لم يتابعوه حول الحصن الذي فيه الأسود العنسي ، فنادى منادي المسلمين : أشهد أن مُحمدًا رسول الله وأن عبهلة كذاب ، وألقى إليهم رأسه فانهزم أصحاب الأسود ، وتبعهم الناس يأخذونهم في كل طريق [٢] .

طليحة الأسدي :

كان طليحة الأسدي قد ارتد في حياة النبي ﷺ فلما مات رسول الله ﷺ ارتد عُيينة بن حصن عن الإسلام وقام بمؤازرته ، وقال لقومه : والله لنبي من بني أسد أحب إليّ من نبي من بني هاشم ، وقد مات مُحمد وهذا طليحة فاتبعوه ، فوافق قومه بنو فزارة على ذلك .

---

(١) البداية والنهاية (٦/٣٢٠) .
(٢) البداية والنهاية (٦/٣١٥) .

فلما كسرهم خالد بن الوليد هرب طليحة بامرأته إلى الشام ، ثم رجع بعد ذلك إلى الإسلام ، وذهب إلى مكة معتمرًا زمن الصديق رضي الله عنه ، واستحيى أن يواجه الصديق حياته ، ورجع فشهد القتال مع خالد في اليرموك وغيرها .

وكتب الصديق إلى خالد رضي الله عنهما استشر طليحة في الحرب ولا تؤمّره [(١)] .

أسد وغطفان :

لما قدم وفد أسد وغطفان على أبي بكر يسألونه الصلح خيّرهم بين حرب مُجلية أو حطة مُخزية فقالوا : يا خليفة رسول الله أما الحرب المجلية فقد عرفناها ، فما الحطة المخزية ؟ .

قال : تؤخذ منكم الحلقة [(٢)] والكراع [(٣)] وتتركون أقوامًا يتبعون أذناب الإبل حتى يُري الله خليفة نبيه والمؤمنين أمْرًا يعذرونكم به ، وتؤدون ما أصبتم منا ولا نؤدي ما أصبنا منكم ، وتشهدون أن قتلانا في الجنة ، وأن قتلاكم في النار[(٤)] ، فقال عمر : أمّا قولك تدون – من الدّية – قتلانا : فإن قتلانا قُتلوا على أمر الله لا ديات لهم .

سجاح وبنو تميم :

كانت بنو تميم قد اختلفت آراؤهم أيام الردة فمنهم من ارتد ، ومنهم من منع الزكاة ، من بقي على الإسلام ومنهم من هو متردد ، وبينما هم كذلك إذ أقبلت إليهم سجاح بنت الحارث التغلبية [(٥)] ، وهي من نصارى العرب فادعت النبوة ومعها جنود من قومها ومن التف معهم ، وقد عزمت على غزو المدينة ، فلما مرت ببلاد بني

---

(١) وفي هذا الرأي من الحكمة وبُعد النظر ما فيه ، فأبو بكر كان يعلم ما يملك طليحة من خبرة ودراية بشؤون الحرب والقيادة ، ولكن بسبب ارتداده عن دين الإسلام أصبح من غير الممكن أن يقود جيشًا للمسلمين، وعليه فيستفاد منه فى المشورة فقط .

(٢) **الحلقة** : السلاح عامة ، وقيل : هي الدروع خاصة . لسان العرب (١٠/٦٥).

(٣) **الكراع** : السلاح ، وقيل : اسم يجمع الخيل والسلاح ، لسان العرب (٨/٣٠٧).

(٤) البداية والنهاية (٦/٣٢٣).

(٥) وقيل إنها من بني تميم .

تميم دعتهم إلى أمرها فاستجاب لها أكثرهم ، واصطلحت معهم على أن لا تكون حرب بينهم ، ثم إن مالك بن نويرة ثناها عن غزو المدنية وحرضها على قتال بني اليربوع وبقية الناس وأن تؤخر غزو المدينة ، ثم قصدت سجاح بجنودها اليمامة لتأخذها من مسيلمة الكذاب ، فلما سمع مسيلمة بمسيرها إليه خافها لأنه مشغول بقتال المسلمين وذلك أثناء مناوشاته معهم قبل معركة اليمامة ، فأرسل إلى سجاح يطلب الصلح معها فتصالحت معه على أن يعطيها نصف الأرض .

ثم أرسل إليها يطلب الزواج منها قائلاً : هل لك أن أتزوجك وآكل بقومي وقومك العرب ؟ ، قالت : نعم .

ولما سمعت بقدوم خالد رجعت إلى بلادها ، وأقامت في بني تغلب وقيل رجعت إلى الإسلام [١] .

معركة اليمامة :

أرسل أبو بكر خالد بن الوليد إلى اليمامة لقتال بني حنيفة ، وقد كان أبو بكر أرسل قبل ذلك عكرمة بن أبي جهل وشرحبيل بن حسنة ، وكان عدد جيش بني حنيفة أربعين ألفًا ، ولما وصل خالد جعل على المقدمة شرحبيل بن حسنة وعلى الميمنة زيد بن الخطاب ، وعلى الميسرة أبا حذيفة .

وتقدم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كثيب يشرف على اليمامة فضرب به عسكره ، وراية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة ، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس ، واشتد القتال حتى حفر ثابت بن قيس لقدميه في الأرض إلى أنصاف ساقيه بعدما تحنط وتكفن فلم يزل ثابتًا حتى قُتل .

وقال بعض المهاجرين لسالم مولى أبي حذيفة : أتخشى أن نؤتى من قبلك ؟ ، فقال : بئس حامل القرآن أنا إذاً .

---

(١) البداية والنهاية (٦/٣٢٤) .

وحمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم ثم رجع ، ثم وقف بين الصفين ودعا إلى البراز ، وجعل لا يبرز إليه أحد إلا قتله ، ولما اشتد القتال ميّز خالد المهاجرين من الأنصار من الأعراب ، وجعل كل قبيلة تحت راية حتى يعرف الناس من أين يؤتون ، وصبر المسلمون صبرًا لم يعهد مثله .

ولم يزالوا يتقدمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم وولى الكفار الأدبار ، حتى دخلوا إلى مكان يسمى حديقة الموت ، وأغلقت بنو حنيفة الحديقة عليهم وأحاط بهم الصحابة ﷺ ، وقال البراء بن مالك : يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة ، فاحتملوه فوق رءوس الرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها ، فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه ، ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها وأبوابها ، يقتلون من فيها من المرتدين من أهل اليمامة حتى خلصوا إلى مسيلمة ، فتقدم إليه وحشي بن حرب رضي الله عنه فرماه بحربته فأصابه فقتله [(١)] ، وكان من جملة من قتل قريبًا من عشرة آلاف ، وقتل من المسلمين ستمائة .

ولجأ الباقون إلى القلعة فصالحهم خالد رضي الله عنه ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا عن آخرهم ، وكان قد سبي منهم من أدركه قبل الدخول في الحصن ، ومنهم المرأة التي تسرى بها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فأنجبت له محمدًا الذي يقال له محمد ابن الحنفية .

ردة أهل البحرين :

ارتد أهل البحرين وملكوا عليهم المنذر بن النعمان ، وقال قائلهم : لو كان محمدًا نبيًا ما مات ، ولم يبق منهم أحد على الإسلام سوى قرية يقال لها جواثا ، وكانت أول قرية أقامت الجمعة من أهل الردة .

---

(١) هذه الحربة قتل فيها وحشيٌّ أسد الله ورسوله حمزة بن عبد المطلب ، عم رسول الله ﷺ وقتل فيها أعدى أعداء الله مسيلمة الكذاب .

وقد حاصر المرتدون أهل جواثا وضيقوا عليهم حتى جاعوا جُوعًا شديدًا فقال قائلهم :

ألا أبلغ أبا بكر رسولا ... وفتيان المدينة أجمعينا

فهل لكُمُ إلى قوم كرامٍ ... قعود في جواثا محصرينا

كأن دماءهم في كل فج ... شعاع الشمس يغشى الناظرينا

توكلنا على الرحمن إنا ... وجدنا الصبر للمتوكلينا

وقد قام فيهم رجل منهم يقال له الجارود بن المعلى خطيبًا فقال : يا معشر عبد القيس ، إني سائلكم عن أمر فأخبروني إن علمتموه ولا تجيبوني إن لم تعلموه ، فقالوا : سل ، قال : أتعلمون أنه كان لله أنبياء قبل مُحمد ؟ ، قالوا : نعم ، قال : تعلمونه أو ترونه ؟ ، قالوا : نعلمه ، قال : فما فعلوا ؟ ، قالوا : ماتوا ، قال : فإن مُحمدًا مات كما ماتوا ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحمدًا رسول الله .

فقالوا : ونحن أيضًا نشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحمدًا رسول الله ، وأنت أفضلنا وسيدنا وثبتوا على إسلامهم .

وأرسل أبو بكر رضي الله عنه إلى أهل البحرين العلاء بن الحضرمي ، وانضم إليه ثمامة بن أثال ولما اقترب من جيوش المرتدين نزل ونزلوا فبينما المسلمون في الليل إذ سمع العلاء أصواتًا عالية في جيش المرتدين ، فقال : من رجل يكشف لنا خبر هؤلاء ؟ ، فقام رجل فدخل فيهم فوجدهم سكارى لا يعقلون من الشراب ، فرجع إليه فأخبره فركب العلاء من فوره والجيش معه فقتلوهم وقلَّ من هرب منهم .

بعث خالد رضي الله عنه إلى العراق « غزوة ذات السلاسل »[1] :

كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد رضي الله عنهما أن يسير إلى العراق ، فمضى خالد إلى

(١) سمّيت ذات السلاسل لكثرة من سلسل بها من فرسان فارس . البداية والنهاية (٣٤٩/٦) ، وهي غير ذات السلاسل التي كانت « زمن رسول الله ﷺ » .

العراق ، وكان هرمز قد جمع جُمُوعًا كثيرةً لقتال المسلمين ، وقدم خالد بمن معه ونزلوا تجاه الفرس في كاظمة [1] ، فترجل خالد وتقدم إلى هرمز فاختلفوا ضربتين واحتضنه خالد ، وجاءت حامية هرمز حتى لا يقتله خالد فحمل عليهم القعقاع بن عمرو فأنامهم ، وانهزم أهل فارس وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل ، واستحوذ المسلمون على أمتعتهم وسلاحهم .

غزو الشام :

وكتب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه : قد أحببت أبا عبد الله أن أفرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك منه ، إلا أن يكون الذي أنت فيه أحب إليك .

فكتب إليه عمرو بن العاص رضي الله عنه : إني سهم من سهام الإسلام ، وأنت عبد الله الرامي بها والجامع لها ، فانظر أشدها وأخشاها فارم بي فيها .

عند ذلك بدأ أبو بكر رضي الله عنه **بعقد الألوية وتولية الأمراء وهم كما يأتي :**

﴿ **١** ﴾ يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه ومعه أكثر الناس وجعل له دمشق .

﴿ **٢** ﴾ أبو عبيد بن الجراح رضي الله عنه وجعل له حمص .

﴿ **٣** ﴾ عمرو بن العاص رضي الله عنه وجعل له فلسطين .

ثم أرسل مَدَدًا ليزيد بن أبي سفيان شرحبيل بن حسنة وأرسل عكرمة بن أبي جهل .

من شارك في معركة اليرموك من كبار الصحابة رضي الله عنهم :

أبو عبيدة بن الجراح ، الزبير بن العوام ، عبد الله بن مسعود ، أبو الدرداء ، أبو هريرة ، شرحبيل بن حسنة ، عمرو بن العاص ، أبو سفيان بن حرب ، يزيد بن أبي سفيان ، عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنهم .

---

(١) موقع في دولة الكويت حاليًا .

وقعة اليرموك :

كان عدد جيش المسلمين سبعة وعشرين ألفًا ، وعدد جيش النصارى عشرين ومئة ألفًا ، وأرسل الأمراء إلى أبي بكر يُعلمونه بما وقع من الأمر العظيم وطلبوا منه مَدَدًا ، فكتب إليهم أن اجتمعوا وكونوا جندًا واحدًا ، فأنتم أنصار الله ، والله ينصر من ينصره ، ويخذل من يكفره ، ولن يؤتى مثلكم عن قلة ، ولكن من تلقاء الذنوب فاحترسوا منها .

ثم قال أبو بكر رضي الله عنه :والله لأشغلن النصارى عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد ، وبعث إليه بالعراق ليقدم إلى الشام وإن وصل إلى الشام فهو الأمير على الجميع ، فاستناب خالد المثنى بن حارثة وتوجه إلى الشام مُسرعًا في تسعة آلاف وخمسمائة ، وسلك طرقًا لم يسلكها أحد قبله اختصارًا للطريق ، فاجتاب البراري والقفار وقطع الأودية ، وأخذ معه دليلاً وهو نافع بن عَميرة الطائي .

وكانت أرضًا معطشة فلما فقدوا الماء نحروا الإبل وسقوا ما في أجوافها للخيل ووصل في خمسة أيام ، وكان قد قال له أحد الأعراب قبل مسيره : إن أنت أصبحت عند الشجرة الفلانية في يوم كذا نجوت أنت ومن معك ، وإن لم تدركها هلكت أنت ومن معك ، فأصبحوا عندها فقال : عند الصباح يحمد القوم السرى .فصارت مثَلاً .

وخرج رجلاً من نصارى العرب يجس أمر الصحابة رضي الله عنهم فقال : وجدت قَوْمًا رُهْبَانًا بالليل ، فُرْسَانًا بالنهار ، والله لو سرق فيهم ابن ملكهم لقطعوه ، أو زنى لرجموه ، فقال له قائد الروم : والله لئن كنت صَادقًا لبطن الأرض خير من ظهرها .

ولما أقبل خالد رضي الله عنه من العراق لقيه رجل من نصارى العرب فقال له : ما أكثر الروم وأقل المسلمين . فقال خالد رضي الله عنه : ويلك أتخوفني بالروم ؟ ، إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال ، والله لوددت أن الأشقر برأ من وجه وأنّهم أضعفوا العدد « وكان اسم فرسه الأشقر وقد اشتكى في مجيئه من العراق » .

وطلب ماهان قائد الروم أن يقابل خالد بن الوليد فخرج إليه خالد ، فقال ماهان : إنّا قد علمنا أن الذي أخرجكم من بلادكم الجهد والجوع ، فهلموا إليّ أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطَعامًا وترجعون إلى بلادكم ، فإذا كان العام المقبل بعثنا لكم بمثلها ، فقال خالد رضي الله عنه : إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت ، غير أنا قوم نشرب الدماء وأنه بلغنا أن لا دم أطيب من دم الروم فجئنا لذلك .

ثم تفارقا وتنازل الأبطال وتجاولوا في الحرب ، وقامت الحرب على ساق ، وأقبلت الروم رافعة صلبانها ولهم أصوات مزعجة كالرعد ، والقساوسة والبطارقة تحرضهم على القتال وهم في عدد وعُدة لم يُر مثلها ، وحمل المسلمون على الروم حملة رجل واحد ، فانكشف الروم وفروا وانتهت المعركة بنصر ساحق للملسمين .

مواقف بطولية :

وقام عكرمة بن أبي جهل يوم اليرموك فقال : قاتلت رسول الله ﷺ في مواطن وأفر منكم اليوم ؟ ، ثم نادى من يبايع على الموت ، فبايعه عمه الحارث بن هشام ، وضرار بن الأزور ، ومعهما أربعمائة من فرسان المسلمين وقاتلوا قتَالاً مريرًا حتى قتل كثير منهم ، وقد ذكر المؤرخون أنّهم لما صُرِعوا استسقوا الماء فجيء إليهم بشربة فصار كل واحد منهم يؤثر أخاه على نفسه ، حتى ماتوا جَميعًا ولم يشرب منهم أحد .

وأخذ المسلمون كنيسة يوحنا فقسموها نصفين ، وجعلوا نصفها مسْجَدًا ونصفها الآخر كنيسة ، والمسجد يسمى اليوم بجامع دمشق .

وفاة أبي بكر رضي الله عنه :

في جمادى الآخرة من السنة الثالثة عشرة من الهجرة ، مرض أبو بكر الصديق رضي الله عنه مرض الموت ، وجاءته سكراته ، وكانت عنده ابنته ، أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت :

لعمــرك ما يغني الثراء عن الفتى　　　إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

فرفع بصره إليها وقال : هلا قلت : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ⁽١٩⁾ ﴾ [ق : ١٩] .

فقيل له : ألا نحضر لك الطبيب ؟ ، فقال : قد رآني الطبيب وقال لي : إني فعّال لما أريد « يريد أن الطبيب هو الله » ، وأسلم الروح لباريها وغادر هذه الحياة إلى جنة عرضها السموات والأرض كما كان قد بشره بذلك حبيبه رسول الله ﷺ ودفن بجانب رسول الله ﷺ .

خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
[من سنة ١٣ إلى ٢٣ هـ]

استمرت خلافة أبي بكر سنتين وثلاثة أشهر ، ثم توفي أبو بكر ، وقد ترك الخلافة بعد ذلك لعُمر وبايعه الناس .

وقد رأى أبو بكر أن عمر بن الخطاب هو أصلح الناس لتولي هذا الأمر فولاه بالنص من بعده ، فتولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه الخلافة ، وكانت مدة خلافته عشر سنين تعد من أجمل السنوات في عمر الإسلام بعد حياة رسول الله ﷺ وبعد حياة أبي بكر الصديق رضي الله تبارك وتعالى عنه .

تولى عمر رضي الله عنه الخلافة في بداية القتال العنيف في الشام حيث تجمع المسلمون في اليرموك أمام جموع الروم الهائلة وانتصر المسلمون في هذه المعركة انتصاراً مؤزراً ، وفُتحت دمشق وحمص وقنسرين وأجنادين ، ثم كان الفتح العظيم وهو فتح بيت المقدس .

وصار المسلمون يجولون في أرض الروم كما يحلو لهم ، ثم بعد ذلك اتجه عمرو ابن العاص إلى مصر وفتحها ، واتجه سعد بن أبي وقاص في الشرق حيث بلاد فارس فأوطأ الخيل ديارهم وكبدهم خسائر عظيمة .

ثم كانت معركة القادسية العظيمة بقيادة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وكانت من المعارك الفاصلة ، ثم فتحت خراسان ، وكانت الفتوحات كثيرة جداً في عهد عمر ، وكان عمر يراقب الولاة مراقبة شديدة ، وكان يسأل الناس عنهم ويستطلع أخبارهم ، وكان محمد بن مسلمة رسول عمر يستطلع أحوال الولاة .

وكان عمر رضي الله عنه يعس بالليل ويحرص على أمن المدينة حرصاً شديداً ، ولم يكن يسمح لكبار الصحابة بالخروج من المدينة ليستشيرهم في أموره [١] .

(١) التاريخ الإسلامي (٢١/٣) وما بعدها .

وأظهر العدل حتى قال فيه رسول كسرى لما رآه نائماً تحت شجرة وهو أمير المؤمنين : حكمت فعدلت فأمنت فنمت .

- عن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه قال : بينما نحن عند عمر فقال : أيُّكم يحفظ قول النبي ﷺ في الفتنة التي تموج كموج البحر ؟ .
- قال حذيفة : ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً .
- فقال عمـر : أيكسر الباب أم يفتح .
- قال حذيفة : لا بل يكسر .
- فقال عمـر : إذاً لا يغلق أبداً .
- قال حذيفة : أجل لا يغلق أبداً .
- قيل لحذيفة : عمر كان يعرف الباب ؟ .
- قال حذيفـة : نعم إني حدَّثته حديثاً ليس بالأغاليط .
- قيل لحذيفة : من الباب ؟ قال عمر [1] .

هذا الباب هو عمر نفسه ، وكسر الباب هو قتله رضي الله عنه لما قتله أبو لؤلؤة المجوسي قبَّحه الله تبارك وتعالى ولعنه .

نسبه :

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رياح بن عبد الله بن قرط ابن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر [2] ، وفهر هو قريش .

إسلامه :

قال ابن مسعود رضي الله عنه : « ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر ، وأسلم عمر بعد أربعين

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الفتن ، باب الفتنة التي تموج كموج البحر ، رقم (٧٠٩٦) ، مسلم كتاب الإيمان ([illegible]) .
(٢) معرفة الصحابة لأبي نعيم ([illegible]) .

رجلاً وإحدى عشر امرأة في السنة السادسة من البعثة » .

ملازمته للنبي ﷺ :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : وضع عمر على سريره [١] فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع – وأنا فيهم – فلم يرعني إلا رجل يقول : ما خلفت أحداً أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك ، وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وحسبت أني كثيراً أسمع النبي ﷺ يقول : « **ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر** » [٢] .

والرجل هو عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

فضائله رضي الله عنه :

﴿ ١ ﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس مُحَدَّثون فإن يك في أُمتي أحد فإنه عمر** » [٣] .

﴿ ٢ ﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال : « **بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن هذا القصر ؟ فقيل لي : لعمر ، فذكرت غيرته فوليت مدبراً** » ، فبكى عمر ، وقال : أعليك أغار يا رسول الله » [٤] .

﴿ ٣ ﴾ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : صعد النبي ﷺ أُحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله وقال : « **اثبت أُحد فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان** » [٥] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر رضي الله عنه ، حديث (٣٦٨٤) .

(٢) أي بعد أن طعنه أبو لؤلؤة المجوسي .

(٣) أخرجه البخاري كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر رضي الله عنه ، حديث (٣٦٨٩) .

(٤) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر رضي الله عنه ، حديث (٣٦٨٩) ، مسلم كتاب فضائل الصحابة حديث (٢٣٩٨) .

(٥) أخرجه البخاري كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر رضي الله عنه ، حديث (٣٦٧٩) ، مسلم كتاب فضائل الصحابة حديث (٢٣٩٤) .

﴿٤﴾ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لعمر : « **إيهاً يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجا قط ، إلا سلك فجًا غير فجك** » [1] [2] .

أهم أعمال عمر رضي الله عنه :

القادسية محرم [١٤ هـ] :

وعزم عمر رضي الله عنه على غزو العراق بنفسه ، واستخلف على المدينة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : إني أخشى إن كُسرت أن يضعف المسلمين في سائر أقطار الأرض ، وإني أرى أن تبعث رجلاً وترجع أنت إلى المدينة ، فاستصوب عمر وباقي الصحابة رضي الله عنهم رأي عبد الرحمن بن عوف ، وقال عمر : فمن ترى أن نبعث ؟ فقال عبد الرحمن بن عوف : الأسد في براثنه سعد بن أبي وقاص ، فرضي عمر ، وخرج سعد إلى العراق في أربعة وقيل ستة آلاف .

وقال عمر رضي الله عنه : والله لأرمين ملوك العجم بملوك العرب ، وأمر سعْدًا أن يجعل الأمراء على القبائل وأن يواعدهم القادسية .

وكان في هذا الجيش من الصحابة رضي الله عنهم ثلاثمائة وبضعة عشر ، منهم سبعون بدريًا ، ومعهم أكثر من سبعمائة من أبناء الصحابة ، واجتمع رأي الفرس على رستم ، فخرج ومعه ثمانون ألفًا وقيل أكثر ومعه ثلاثة وثلاثون فيلاً ، وبعث سعد ربعي بن عامر إلى رستم فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحريرية ، وأظهروا اليواقيت واللآلئ الثمينة والزينة العظيمة ، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة ، وقد جلس على سرير من ذهب ، ودخل ربعي بثياب صفيقة ، وسيف وترس وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض

---

(١) الفج هو : الطريق الواسع بين جبلين . لسان العرب (٢/٣٣٨) .

(٢) أخرجه البخاري كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر رضي الله عنه رقم (٣٦٨٣) .

تلك الوسائد ، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه ، فقالوا له : ضع سلاحك ، فقال: إني لم آتكم، وإنّما دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت ، فقال رستم : ائذنوا له ، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامّتها ، فقالوا له : ما جاء بكم ؟ فقال : الله ابتَعَثَنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل ذلك قلبنا منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله .

قالوا : وما موعود الله ؟ ، قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقي . فقال رستم : قد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا ؟ ، قال : نعم ! ، كم أحب إليكم ؟ ، يومًا أو يومين ؟ ، قال : لا ، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا . فقال : ما سنَّ لنا رسول الله ﷺ أن نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث ، فانظر في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل ، فقال : أسيدهم أنت ؟ ، قال : لا ! ، ولكن المسلمين كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم ، فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال : هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل ؟ ، فقالوا : معاذَ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك إلى هذا الكلب ، أما ترى إلى ثيابه ، فقال : ويلكم لا تنظروا إلى الثياب ، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة ، إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل ، ويصونون الأحساب .

قال ابن كثير - رحمه الله - :

كانت وقعة القادسية وقعة عظيمة لم يكن بالعراق أعجب منها ، وذلك أنه لما تواجه الصفان كان سعد قد أصابه عرق النسا وخرجت دمامل في جسده ، فهو لا يستطيع الركوب وإنما هو في قصر متكئ على صدره فوق وسادة وهو ينظر إلى

الجيش ويدبر أمره وقد جعل أمر الحرب إلى خالد بن عرفطة . ا هـ [١] .

وبدأت المعركة وصار القواد يحثون الجنود على القتال ، واقتتل الفريقان قتالاً شديداً وأبلى جماعة من الشجعان بلاءً حسنًا مثل – عمرو بن معدي كرب – القعقاع بن عمرو – جرير بن عبد الله البجلي – خالد بن عرفطة – ضرار بن الخطاب – طليحة الأسدي – واستمر القتال ثلاثة أيام بلياليها ، وأباد المسلمون الفيلة ومن عليها ، وهبت رياح شديدة فرفعت خيام الفرس عن أماكنها ، وانتصر المسلمون فبادر رستم فركب بغلته يريد الهرب فأدركه المسلمون وقتلوه .

أجنادين :

وهي من المعارك الفاصلة مع الروم ، وذلك أن عمرو بن العاص رضي الله عنه سار بجيشه إلى أجنادين ، وخرجت الروم وقائدها الأرطبون ، ولما وصل الخبر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب فانتظروا عما تنفرج .

وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأرطبون على سقطة ، ولا تشفيه الرسل فقرر أن يذهب بنفسه ، فدخل عليه كأنه رسول من قبل عمرو بن العاص حتى ينظر إلى حال الأرطبون ، فسمع منه وأسمعه وخرج بما يريد ، فشكّ فيه الأرطبون فدعا حارسًا عنده فأسرَ إليه وظن عمرو بن العاص أنه كشف أمره وأنه أمر بقتله ، فقال للأرطبون : أيّها الأمير إني قد سمعت كلامك وسمعت كلامي ، وإني واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب لنكون مع عمرو بن العاص لنشهد أموره ، وقد أحببت أن أتيك بهم لتسمع منهم ويسمعوا منك .

قال الأرطبون : نعم فاذهب فأتني بهم ، ثم دعا حَارِسًا آخر وسارَّه كما سارَّ الأول ، وخرج عمرو سالمًا ، وبعدها تحقق الأرطبون أن الذي دخل عليه هو عمرو بن العاص ، وقال : خدعني الرجل ، هذا والله أدهى العرب .

---

(١) البداية والنهاية (٧/٤٤) .

وبعد ذلك كان القتال بأجنادين وكتب الله النصر للمسلمين ، فخرج الأرطبون إلى إيلياء وتحصن بها « وهي بيت المقدس » .

فتح بيت المقدس :

خرج أبو عبيدة رضي الله عنه بجيش الإسلام فحاصر بيت المقدس وضيّق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه [(١)] .

ولما وصل عمر إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورُءُوس الأمراء ، كخالد بن الوليد ، ويزيد بن أبي سفيان، فترجّل أبو عبيدة وترجّل عمر ، فأشار أبو عبيدة ليقبِّل يد عمر ، فهمّ عمر بتقبيل رِجل أبي عبيدة ، فكفّ أبو عبيدة فكفّ عمر ، ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس ، واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث ثم دخلها ، فدخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء .

ويقال إنه لبى حين دخل بيت المقدس فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود ، وصلى المسلمين فيه صلاة الغداة من الغد ، فقرأ في الأولى بسورة « ص » وسجد فيها والمسلمون معه ، وفي الثانية بسورة « بني إسرائيل » ، ثم جاء إلى الصخرة فاستدل على مكانها من كعب الأحبار ، وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه فقال ضاهيت اليهودية ، ثم جعل المسجد في قبلي بيت المقدس –وهو العمري اليوم– ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف ردائه وقبائه ، ونقل المسلمون معه في ذلك ، وسَخَّر أهل الأردن في نقل بقيتها ، وقد كانت الروم جعلوا الصخرة مزبلة لأنها قبلة اليهود ، حتى إن المرأة كانت ترسل خرقة حيضها من داخل الحوز [(٢)] لتلقى في الصخرة ، وذلك مكافأة لما كانت اليهود عاملت به القمامة ، وهي المكان الذي كانت اليهود صلبوا فيه المصلوب الذي كانوا يظنون أنه عيسى عليه السلام ، فجعلوا يلقون على

---

(١) البداية والنهاية (٥٧/٧) .
(٢) مرافق الدار ومنافعها ، لسان العرب (٣٤٢/٥) .

قبره القمامة ، فلأجل ذلك سمي ذلك الموضع القمامة ، وانسحب هذا الاسم على الكنيسة التي بناها النصارى هنالك .

فتح تستر والسوس وأسر الهرمزان سنة (١٧ هـ) :

وكان سببها أن يزدجرد ملك الفرس كان يحرض أهل فارس على العرب ، حتى نقضوا العهود التي بينهم بعد القادسية وغيرها من المعارك الصغيرة ، وتعاقدوا على قتال المسلمين ، ولما بلغ الخبر عمر بن الخطاب أمر سعد بن أبي وقاص أن يبعث جيْشًا إلى الأهواز بإزاء الهرمزان ، فبعث سعد النعمان بن مقرن ، فلما وصل النعمان إلى رامهرمز خرج إليه الهرمزان ، وتقاتل معه فهُزم الهرمزان وفرَّ إلى تستر ، ولحق به المسلمون حتى حاصروه هناك ، وكثر القتل من الفريقين حتى قال المسلمون للبراء « وكان مجاب الدعوة » [١] يا براء أقسم على ربك ليهزمنهم لنا ، فقال : اللهم اهزمهم لنا واستشهدني ، وكان البراء رضي الله عنه يومئذ قتل أكثر من مئة رجل مبارزة ، فهزم الله الهرمزان وقومه حتى ضاقت عليهم بلادهم ، وطلب رجل من الفرس الأمان من أبي موسى الأشعري فأعطاه الأمان ، فصار يدل المسلمين على مكان يدخلون منه إلى البلدة وهو مدخل الماء إليها ، فندب الأمراءُ الناس إلى ذلك ، فانتدب جماعة من الشجعان فدخلوا مع الماء وذلك في الليل ، وجاؤا إلى البوابين فقتلوهم وفتحوا الأبواب ، وكبَّر المسلمون فدخلوا البلاد ، وذلك قريبًا من وقت الفجر ، وانشغلوا بالقتال حتى طلعت عليهم الشمس ولم يصلوا الفجر ، قال أنس رضي الله عنه : شهدت فتح تستر وذلك عند صلاة الفجر ، فاشتغل الناس بالفتح فما صلوا الصبح إلى بعد طلوع الشمس ، فما أحب أن لي بتلك الصلاة حمر النعم [٢] .

---

(١) عُرف أنه مُجاب الدعوة من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « **كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره ، منهم البراء بن مالك** » أخرجه الترمذي (٣٨٥٤) وقال : صحيح حسن .

(٢) رواه البخاري معلقًا ، كتاب الخوف ، باب : الصلاة عن مناهضة الحصون .

وفر الهرمزان إلى القلعة فتبعه جماعة من الأبطال ، فصار يرمى بالسهام ، فأصاب البراء بن مالك ومجزأة بن ثور فقتلهما ، وقال لهم الهرمزان : إن معي مئة سهم وإنه لا يتقدم إليَّ أحد منكم إلا رميته فما ينفعكم أسري إذا قتلت منكم مئة رجل، قالوا : فماذا تريد ؟ قال : تأمنوني حتى أسلمكم يدي فتذهبوا بي إلى عمر بن الخطاب فيحكم فيَّ بما شاء . فأجابوه إلى ذلك ، ولما ذهبوا إلى عمر قصدوا منزله فلم يجدوه وأخبروهم أنه في المسجد ، فلما ذهبوا إلى المسجد وجدوه نائماً في ناحية منه .

فقال الهرمزان : أين عمر ؟ ، فأشاروا إليه وخفضوا أصواتهم حتى لا يُوقظُوهُ . فقال : أين حجّابه وأين حرسه ؟ ، قالوا : ليس له حاجب ولا حارس ، فاستيقظ عمر من أصواتهم واستوى جَالساً ، فقيل له : هذا الهرمزان فقال عمر : ما حجتك وما عذرك في نقضك العهد مرة بعد مرة ؟ ، فقال الهرمزان : أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك . قال : لا تخف ذلك ، فطلب الهرمزان الماء ليشرب فأتي بالماء فأخذه وجعلت يده ترعد ، وقال : إني أخاف أن أُقتل وأنا أشرب ، فقال عمر : لا بأس عليك حتى تشرب ، فألقى القدح والماء فيه ولم يشرب . فقال عمر : احضروا له ماء ولا تجمعوا عليه القتل والعطش ، فرفض أن يشرب الماء . فقال له عمر : إني قاتلك ، فقال الهرمزان : إنك أمنتني حتى أشرب ولم أشرب بعد ، فقال أنس بن مالك رضي الله عنه : صدق يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : ويحك يا أنس أؤمّن من قتل مجزأة والبراء ؟ ، ثم أقبل عمر رضي الله عنه على الهرمزان وقال له : خدعتني ، والله لا أنخدع إلا أن تُسلم . فأسلم الهرمزان .

ولما قيل له: لِمَ لَمْ تُسلم من قبل. قال: خشيت أن يُقال أسلَمَ خوفاً من السيف .

عام الرَمادة (سنة ١٨هـ) :

سمي بعام الرمادة لأن الأرض اسودت من قلة المطر حتى عاد لونها شبيهاً بالرماد، واستمر هذا الحال تسعة أشهر ، فكتب عمر إلى أبي موسى بالبصرة ، وإلى عمرو ابن العاص يقول : « يا غوثاه لأمة مُحمد » ، وخرج الناس للاستسقاء ، وأخرج عمر معه

العباس رضي الله عنه عمَّ النبي ﷺ ليستسقي للناس ، فقام العباس فخطب وأوجز وصلى ، ثم جثى على ركبتيه وقال : اللهم إياك نعبد وإياك نستعين ، اللهم اغفر لنا وارحمنا وارض عنا ، ثم انصرف ، فما بلغوا المنازل راجعين حتى خاضوا بالغدران .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : إن عمر خرج يستسقي وخرج بالعباس معه يستسقي يقول : اللهم إنا كنا إذا قحطنا على عهد نبينا توسلنا إليك بنبينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا [(١)] .

معركة نهاوند :

المسلمون ثلاثون ألفًا بقيادة النعمان بن مقرن ، وكان الفُرس قد تحصنوا ولم يخرجوا لقتال المسلمين ، وتكلم طليحة الأسدي فقال : إني أرى أن تبعث سرية فتحدق بهم ويناوشوهم بالقتال ويحمشوهم ، فإذا برزوا فليفروا إلينا هربًا ، فإذا استطردوا وراءهم وانتموا إلينا عزمنا أيضًا على الفرار كلنا ، فأنهم حينئذ لا يشكون في الهزيمة فيخرجون من حصونهم عن بكرة أبيهم ، فإذا تكامل خروجهم رجعنا إليهم فجالدناهم حتى يقضى الله بيننا ، فاستجاد الناس هذا الرأي ، وأمر النعمان على المجردة القعقاع بن عمرو ، وأمرهم أن يذهبوا إلى البلد فيحاصروهم وحدهم ويهربوا بين أيديهم إذا برزوا إليهم ، ففعل القعقاع ذلك ، فلما برزوا من حصونهم نكص القعقاع بمن معه فاغتنمها الأعاجم ، ففعلوا ما ظن طليحة ، وقالوا : هي هي ، فخرجوا بأجمعهم ولم يبق بالبلد من المقاتلة إلا من يحفظ لهم الأبواب ، حتى انتهوا إلى الجيش ، والنعمان بن مقرن على تعبئته ، وذلك في صدر نهار جمعة ، فعزم الناس على مصادمتهم ، فنهاهم النعمان وأمرهم أن لا يقاتلوا حتى تزول الشمس وتهب الأرواح ، وينزل النصر كما كان رسول الله ﷺ يفعل ، وألح الناس على النعمان في الحملة فلم يفعل – وكان رجلاً ثابتًا – فلما حان الزوال صلى

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الاستسقاء ، باب : سؤال الإمام الاستسقاء رقم (١٠١٠) .

بالمسلمين ثم ركب برذونا له أحوى [١] قريبًا من الأرض ، فجعل يقف على كل راية ويحثهم على الصبر ويأمرهم بالثبات ، ويقدم إلى المسلمين أنه يكبِّر الأولى فيتأهب الناس للحملة ويكبِّر الثانية فلا يبقى لأحد أهبة ، ثم الثالثة ومعها الحملة الصادقة ، ثم رجع إلى موقفه وتعبأت الفرس تعبئة عظيمة ، واصطفوا صُفُوفًا هائلة ، في عَدَدٍ وعُدَدٍ لم يُر مثله ، وقد تغلغل كثير منهم بعضهم في بعض ، وألقوا حسك الحديد وراء ظهورهم حتى لا يمكنهم الهرب ولا الفرار ولا التحيز ، ثم إن النعمان بن مقرن رضي الله عنه كبَّر الأولى وهز الراية فتأهب الناس للحملة ، ثم كبَّر الثانية وهز الراية فتأهبوا أيضًا ، ثم كبَّر الثالثة وحمل الناس على المشركين ، وجعلت راية النعمان تنقضُّ على الفرس كانقضاض العقاب على الفريسة ، حتى تصافحوا بالسيوف فاقتتلوا قتالاً لم يعهد مثله في موقف من المواقف المتقدمة ، ولا سمع السامعون بوقعة مثلها ، وكتب الله النصر للمسلمين .

وفاة خالد بن الوليد رضي الله عنه (سنة ٢١ هـ) :

قال خالد رضي الله عنه وهو على فراش الموت : لقد حضرت كذا وكذا زَحْفًا ، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء .

وقال أيضًا : ما ليلة يُهدى إليَّ فيها عروس أو أُبشر فيها بغلام ، بأحب إليَّ من ليلة يصبح فيها العدو .

استشهاد عمر رضي الله عنه :

قتل عمر أمير المؤمنين على يد أبي لؤلؤة المجوسي حيث طعنه وهو يصلي الفجر في الناس طعنتين بخنجر مسموم وقال عمر رضي الله عنه لما عرف قاتله : « الحمد لله الذي لم يجعل قاتلي مسلمًا يحاجني عند الله بسجدة سجدها » .

---

(١) الأحوى : الذي اشتد احمراره حتى قرب من السواد . لسان العرب (١٤/٢٠٦).

خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

[من سنة ٢٣هـ إلى ٣٥ هـ]

قصة الشورى :

لما طعن عمر رضي الله عنه وأرضاه جعل الخلافة في ستة نفر هم عثمان بن عفان ، عليّ بن أبي طالب ، طلحة بن عبيد الله ، الزبير بن العوام ، عبد الرحمن بن عوف ، سعد بن أبي وقاص ، وقصة الشورى رواها الإمام البخاري في صحيحه حتى نعلم أن التاريخ لا يضيع ، فهذا الإمام البخاري روى لنا أعظم قضيتين كثر حولهما الجدل ، فعندما نقول إننا لابد أن نتثبت فالحمد لله نستطيع أن نتثبت ونستطيع أن نجد روايات صحيحة لأمثال هذه القصص .

ولقد ذكر البخاري قصة طويلة في مقتل عمر رضي الله عنه حتى وصل إلى أنه قيل لعمر رضي الله تبارك وتعالى عنه أوصِ يا أمير المؤمنين ، استخلف ، قال : ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ ، فسمى علياً وعثماناً والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن بن عوف .

وقال : « يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك وإلا فليستعن به أيكم ما أُمِّر فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة » .

عند ذلك اجتمعوا رضي الله عنهم وأرضاهم فقال عبد الرحمن : اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم :

فقال الزبير : جعلت أمري إلى عليّ [١] .

وقال طلحة : جعلت أمري إلى عثمان .

---

(١) هذه الرواية تبين لنا حقيقة الأمر بصورة دامغة وهو أن الزبير بن العوام رضي الله عنه لم يكن من مبغضي عليّ رضي الله عنه كيف وهو أنه ابن عمته صفية ، وقد رشحه للخلافة كما هو ظاهر من هذه الرواية .

وقال سعد : جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف .

وهكذا تنازل ثلاثة : تنازل طلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص .

المرشحون إذاً ثلاثة عليّ بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف .

فقال عبد الرحمن : أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه فأسكت الشيخان .

فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : أفتجعلونه إليّ والله عليّ أن لا آلو عن أفضلكما ، قالا : نعم ، قال : فأخذ بيد أحدهما فقال : لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن ، ثم خلا بالآخر وهو عثمان فقال مثل ذلك .

فلما أخذ الميثاق قال : ارفع يدك يا عثمان فبايعه وبايع له علي وولج أهل الدار فبايعوه [(١)] .

هذه رواية البيعة لعثمان رضي الله عنه كما في صحيح البخاري .

وهناك تفصيلات أخرى في الصحيح أن عبد الرحمن بن عوف جلس ثلاثة أيام يسأل المهاجرين والأنصار حتى قال رضي الله عنه : والله ما تركت بيتاً من بيوت المهاجرين والأنصار إلا وسألتهم فما رأيتهم يعدلون بعثمان أحداً [(٢)] .

أي أن هذا الأمر لم يكن مباشرة في البيعة وإنما جلس بعد أن أخذ العهد عليهما ثلاثة أيام ثم بعد ذلك اختار عثمان .

ومن المحزن أننا نرى كتب التاريخ الحديثة التي تتكلم عن حياة الصحابة تُعرض عن رواية البخاري وتأخذ رواية أبي مخنف المكذوبة في تاريخ الطبري ، وهذا نصها :

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قصة البيعة رقم (٣٧٠٠) .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأحكام ، باب كيف يبايع الإمام الناس رقم (٧٢٠٧) .

لما طعن عمر بن الخطاب قيل له : يا أمير المؤمنين لو استخلفت، قال: من أستخلف؟ لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً استخلفته ، فإن سألني ربي قلت سمعت نبيك يقول : إنه أمين هذه الأمة ، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً استخلفته ، فإن سألني ربي قلت سمعت نبيك يقول إن سالماً شديد الحب لله ، فقال له رجل أدلك عليه عبد الله بن عمر ، فقال : قاتلك الله والله ما أردت الله بهذا ، ويحك كيف استخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته ، لا أرب لنا في أموركم ، ما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي ، إن كان خيراً فقد أصبنا منه وإن كان شراً فشر عنا [1] إلى عمر بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسأل عن أمر أمة محمد ، أما لقد جهدت نفسي وحرمت أهلي وإن نجوت كفافاً لا وزر ولا أجر ، إني لسعيد وأنظر فإن استخلفت فقد استخلف من هو خير مني وإن أترك فقد ترك من هو خير مني ولن يضيع الله دينه .

فخرجوا ثم راحوا فقالوا : يا أمير المؤمنين لو عهدت عهداً فقال : قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأولي رجلاً أمركم هو أحراكم أن يحملكم على الحق وأشار إلى عليّ .

ووهقتني غشية فرأيت رجلاً دخل جنة قد غرسها فجعل يقطف كل غضة ويانعة فيضمه إليه ويصيره تحته فعلمت أن الله غالب أمره ومتوف عمر فما أريد أن أتحملها حياً وميتاً ، عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله ﷺ إنهم من أهل الجنة ، سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل منهم ولست مدخله ولكن الستة علي وعثمان ابنا عبد مناف وعبد الرحمن وسعد خالا رسول الله ﷺ والزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ وابن عمته وطلحة الخير بن عبيد الله فليختاروا منهم رجلاً فإذا ولوا والياً فأحسنوا مؤازرته وأعينوه وإن ائتمن أحداً منكم فليؤد إليه أمانته .

فخرجوا فقال العباس لعليّ رضي الله عنهما : لا تدخل معهم قال : أكره الخلاف ، قال : إذاً ترى ما تكره ، فلما أصبح عمر دعا علياً وعثمان وسعداً وعبد الرحمن بن عوف

(١) هكذا في الأصل ، ولعل معناه : فشر يبعد عنا .

والزبير بن العوام فقال : إني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم ، وقد قبض رسول الله ﷺ وهو عنكم راضٍ ، إني لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم ، ولكني أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم فيختلف الناس ، فانهضوا إلى حجرة عائشة بإذن منها فتشاوروا واختاروا رجلاً منكم ، ثم قال : لا تدخلوا حجرة عائشة ولكن كونوا قريباً ووضع رأسه وقد نزفه الدم .

فدخلوا فتناجوا ثم ارتفعت أصواتهم فقال عبد الرحمن بن عوف : سبحان الله إن أمير المؤمنين لم يمت بعد ، فأسمعه فانتبه فقال : ألا أعرضوا عن هذا أجمعون ، فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام وليصلِّ بالناس صهيب ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم ، ويحضر عبد الله بن عمر مشيراً ولا شيء له من الأمر ، وطلحة شريككم في الأمر ، فإن قدم في الأيام الثلاثة فأحضروه أمركم وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا أمركم .

من لي بطلحة ؟ ، فقال سعد بن أبي وقاص : أنا لك به ولا يخالف إن شاء الله ، فقال عمر : أرجو أن لا يخالف إن شاء الله وما أظن أن يلي هذا الأمر إلا أحد هذين الرجلين علي أو عثمان ، فإن ولي عثمان فرجل فيه لين ، وإن ولي عليٌّ ففيه دعابة وأحرى به أن يحملهم على طريق الحق ، وإن تولوا سعداً فأهلها هو وإلا فليستعن به الوالي فإني لم أعزله عن خيانة ولا ضعف ، ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف مدد رشيد له من الله حافظ فاسمعوا منه .

وقال لأبي طلحة الأنصاري : يا أبا طلحة إن الله عز وجل طالما أعز الإسلام بكم فاختر خمسين رجلاً من الأنصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم .

وقال للمقداد بن الأسود : إذا وضعتموني في حفرتي فأجمع هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم .

وقال لصهيب رضي الله عنه : صلِّ بالناس ثلاثة أيام وأدخل علياً وعثمان والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف وطلحة إن قدم ، وأحضر عبد الله بن عمر ولا شيء له من

الأمر ، وقم على رؤوسهم فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد فاشدخ رأسه أو اضرب رأسه بالسيف،وإن اتفق أربعة فرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما، فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم وثلاثة رجلاً منهم فحكموا عبد الله بن عمر فأي الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس [١] .

قلت : سبحان الله ! كيف يستحل عمر رضي الله عنه رقاب أولئك الصحابة الأجلة عثمان وعليّ وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ، وهو قد قال : أولئك القوم الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ صلوات الله وسلامه عليه ، فهذا يظهر لك كذب هذه الرواية ، ثم من سيجرؤ على التنفيذ ؟ وهل سيترك ؟ إنه التلفيق ولا شيء غير التلفيق .

عودة إلى الرواية الصحيحة :

فاجتمع الناس على عثمان وبايعوه وهو أفضل أصحاب رسول الله ﷺ بعد أبي بكر وعمر لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : ما كنا نعدل بعد رسول الله ﷺ بأبي بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان ثم نترك بقية أصحاب رسول الله ﷺ لا نفاضل بينهم [٢] .

وفي رواية عند الطبراني أنه قال : وكان رسول الله ﷺ يسمعنا ولا ينكره [٣] .

قال عبد الله بن مسعود عن بيعة عثمان : ولينا أعلاها ذا فوق [٤] .

ولذلك قال الإمام أيوب بن أبي تميمة السختياني والإمام أحمد والإمام الدارقطني من قدَّم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار .

---

(١) تاريخ الطبري (٢٩٢/٣) .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عثمان رقم (٣٦٩٧) .
(٣) معجم الطبراني الكبير ١٣١٣٢/١٢ ، السنّة للخلال (ص ٣٩٨)، والسنّة لابن أبي عاصم (٥٥٣)، وقال الألباني إسناده صحيح .
(٤) السنّة للخلال ص ٣٢٠ .

وذلك لأن عبد الرحمن بن عوف قال : ما تركت بيتاً من بيوت المهاجرين والأنصار إلا طرقته فما رأيت أحداً يعدل بعثمان أحداً ، كلهم يفضلون عثمان رضي الله عنه وأرضاه ، وبويع عثمان بن عفان بالخلافة بيعة عامة .

قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - :

ما كان في القوم أوكد بيعة من عثمان كانت بإجماعهم [١] .

اسمه ونسبه :

وهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، فهو يلتقي مع النبي ﷺ في عبد مناف ، أمه أروى بنت كريز بن ربيعه ، وجدته أم حكيم بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ [٢] .

لقب رضي الله عنه بذي النورين ، لأنه تزوج بنتي النبي ﷺ رقية وأم كلثوم رضي الله عنهما [٣] .

كنتيه : أبو عبد الله وأبو عمرو أسلم قديمًا على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه [٤]، هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة .

والذي عليه أهل السُّنة أن من قدّم علياً على أبي بكر وعمر فإنه ضال مبتدع ومن قدّم عليّاً على عثمان فإنه مخطئ ولا يضللونه ولا يبدعونه ، وإن كان بعض أهل العلم قد تكلم بشدة على من قدم عليّاً على عثمان بأنه قال:من قدم عليّاً على عثمان فقد زعم أن أصحاب الرسول ﷺ خانوا الأمانة حيث اختاروا عثمان على عليٍّ رضي الله عنهما .

فضله رضي الله عنه :

لقد كان عهد عثمان مليئاً بالفتوحات واستمرت لمدة عشرة أعوام وكانت من أجلِّ السنوات ، وتم خلال هذه السنوات نشر بساط الدولة الإسلامية ففيها غزا معاوية

(١) السُّنَّة للخلال ص ٣٢٠ .
(٢) معرفة الصحابة (٢٣٥٠/١) .
(٣) معرفة الصحابة (٢٤٥٠/٢) .
(٤) الإصابة (٤٤٥/٢) .

قبرص وكان عمر قد منع الغزو عن طريق البحر وأذن عثمان به ، وفُتحت أذربيجان وأرمينية وكابل وسجستان وغيرها كثير ، وفي خلافته كانت الغزوة العظيمة ذات الصواري .

وقام عثمان بتوسعة المسجد النبوي والمسجد الحرام ، وأكبر توسع للإسلام في عهد الخلافة الراشدة كان في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه .

﴿ ١ ﴾ عن عبد الرحمن بن سمرة قال : جاء عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي ﷺ جيش العسرة قال : فصبها في حِجْرِ النبي ﷺ قال فجعل النبي ﷺ يُقلِّبها وهو يقول : « **ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم** » يردد ذلك مراراً [(١)] .

﴿ ٢ ﴾ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : استفتح عثمان على النبي ﷺ فقال : « **افتح وبشره بالجنة على بلوى تكون** » أخرجه الشيخان [(٢)] .

﴿ ٣ ﴾ عن أنس رضي الله عنه قال : صعد النبي ﷺ أُحُداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف فقال: « **اسكن أُحُد فليس عليك إلا نبي وصدّيق وشهيدان** » [(٣)] .

﴿ ٤ ﴾ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : خرج إلينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : « **رأيت آنفاً كأني أعطيت المقاليد والموازين فأما المقاليد فهى المفاتيح ، فوُضِعتُ في كفة ووضعت أمتى في كفة فرجحت بهم ثم جيء بأبي بكر فرجح بهم ، ثم جيء بعمر فرجح بهم ، ثم جيء بعثمان فرجح ، ثم رفعت** » ، فقال

---

(١) أخرجه أحمد (٦٣/٥)، وفيه كثير بن أبي كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة مجهول ، وقد حسَّنه الألباني –رحمه الله – فى المصابيح (٦٠٦٤) .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب المناقب ، باب مناقب عثمان رقم (٣٦٩٥٠)، وأخرجه مسلم : كتاب فضائل الصحابة رقم (٢٤٠٣).

(٣) سبق تخريجه في فضائل عمر رضي الله عنه .

له رجل : فأين نحن ، قال : « **أنتم حيث جعلتم أنفسكم** » [(١)] .

ومن علامات صدق نبوة النبي ﷺ أنه أخبر بما سيحدث لعثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه .

عن مرة بن كعب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يذكر الفتن فَقَرَّبها فَمَرَّ رجل مُقَنَّع في ثوب فقال ﷺ : « **هذا يومئذ على الهدى** » ، يقول مرّة بن كعب : فقمت إليه فإذا هو عثمان [(٢)] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **يا عثمان إن ولاك الله هذا الأمر يوماً فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمَّصك الله فلا تخلعه** » [(٣)] .

وقد حكم عثمان رضي الله عنه بعد عمر بن الخطاب اثنتي عشرة سنة وكان عمره سبعين سنة عندما أمسك الحكم وقتل في الثانية والثمانين من عمره رضي الله عنه وأرضاه ، وكانت الفتنة في آخر خلافته .

إن عهد الخليفة عثمان بن عفان يعتبر العصر الذهبي للخلافة الراشدة على الرغم من تشويهه من قبل المفترين والمضللين والجهلة ، ففي زمنه امتدت رقعة الإسلام امتداداً عظيماً ففُتحت شمال أفريقية والإسكندرية ، وأُنشأ أول أسطول إسلامي ، وفتحت أرمينية وأذربيجان ، واكتمل فتح بلاد فارس في زمنه ، وعمّ الرَّخاء والأمن وزادت الأعطيات ، واستمر هذا الرخاء وهذه الفتوحات مدة خلافة عثمان رضي الله عنه زهاء اثنتي عشرة سنة ، ثم كانت الفتنة سنة خمس وثلاثين من الهجرة حين خرج جماعة من المجرمين الظلمة عدواناً وظلماً فقتلوه في بيته صائماً يقرأ القرآن .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/٧٦) ، وفيه عبيد الله بن مروان مجهول ، والحديث صححه أحمد شاكر رقم (٥٤٦٩) .

(٢) أخرجه الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب عثمان بإسناد صحيح (٣٧٠٤) .

(٣) سنن ابن ماجة المقدمة باب فضائل أصحاب النبي ﷺ رقم (٩٧) .

غزو إفريقية (سنة ٢٧ هـ) : [(١)]

أمر عثمان رضي الله عنه عبد الله بن سعد بن أبي السرح أن يغزو بلاد أفريقية فإذا افتتحها الله عليه فله خمس الخمس من الغنيمة نفلاً .

فسار إليها في عشرة آلاف فافتتحها سهلها وجبلها ودخل أهلها في الإسلام ، وأخذ عبد الله بن سعد خمس الخمس من الغنيمة وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان وقسم أربعة أخماس الغنيمة بين الجيش ، فأصاب الفارس ثلاثة آلاف ألف له وألفان لفرسه وأصاب الراجل ألف دينار .

ذات الصواري (سنة ٣١ هـ) :

جمع قسطنطين بن هرقل الروم ومعهم البربر لقتال عبد الله بن سعد بن أبي السرح ، وساروا إلى المسلمين في جمع لم ير مثله ، وقد خرجوا في خمسمائه مركب ، وقصدوا عبد الله بن أبي السرح في أصحابه ببلاد المغرب .

فلما تراءى الجمعان، بات الروم يصلّبون وبات المسلمون يصلون ويقرءون القرآن ، فلما أصبحوا صف عبد الله بن أبي السرح أصحابه صُفُوفًا في المركب ، وأمرهم بذكر الله وتلاوة القرآن .

وكانت الريح مع الروم والبربر ثم سكنت الريح ، فقال لهم المسلمون إن شئتم نزلنا إلى البر فلم يقبلوا ، فدنا المسلمون منهم ، والتحمت السفن ، واستمر القتال، ثم أنزل الله نصره على المسلمين، فهرب قسطنطين وجيشه، وأقام عبد الله بن أبي السرح بذات الصواري أيامًا ، ثم رجع منْصُوراً مُظَفَّرًا .

وقعة جرجير والبربر مع المسلمين :

لما قصد المسلمون وهم عشرون ألفًا إفريقية ، وعليهم عبد الله بن أبي السرح ،

---

(١) البداية (١٥٧/٧) .

وفي جيشه عبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن الزبير ، صمد إليهم ملك البربر جرجير في عشرين ومئة ألف ، وقيل مئتي ألف ؛ فلما تراءى الجمعان أمر جيشه فأحاطوا بالمسلمين هالة ، فوقف المسلمون في موقف لم ير أشنع منه ، ولا أخوف عليهم منه ، قال عبد الله بن الزبير : فنظرت إلى الملك جرجير من وراء الصفوف وهو راكب على برذون [1] ، وجاريتان تظلانه بريش الطواويس ، فذهبت إلى عبد الله بن سعد بن أبي السرح ، فسألته أن يبعث معي من يحمي ظهري فأقصد الملك ، فجهز معي جماعة من الشجعان ، قال : فأمر بهم فحموا ظهري ، وذهبت حتى خرقت الصفوف إليه – وهم يظنون أني في رسالة إلى الملك – فلما اقتربت منه أحس مني الشر ففر على برذونه ، فلحقته فطعنته برمحي ، وذففت عليه بسيفي ، وأخذت رأسه فنصبته على رأس الرمح وكبّرت ، فلما رأى ذلك البربر فرقوا [2] ، وفروا كَفرار القطا ، وأتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ، فغنموا غنائم جمة وأموالاً كثيرة ، وسبياً عظيماً ، وذلك ببلد يقال له سبيطلة – على يومين مع القيروان – فكان هذا أول موقف اشتُهر فيه أمر عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وعن أبيه وأصحابهما أجمعين .

ومن أهم أعمال عثمان رضي الله عنه :

﴿ ١ ﴾ توسعة المسجد النبوي .

﴿ ٢ ﴾ بناء أول أسطول بحري .

﴿ ٣ ﴾ جمع القرآن مرة ثانية ، ولكن في هذه المرة جمعه في مصحف واحد ، ونسخه ثم أرسله إلى البلاد الإسلامية ، وأبقى واحداً عنده وسمي بالمصحف الإمام ، وإلى اليوم ينسب المصحف إلى عثمان فيقال : المصحف العثماني ، لأنه كان له شرف جمعه .

---

(١) **برذون** : أي الخيل غير العربي . لسان العرب (١٣/٥١).

(٢) **فرقوا** : أي خافوا . لسان العرب (١٠/٣٠٤).

بدء الفتنة

بدأت الفتنة في (سنة ٣٤هـ) من الهجرة عندما حاول بعض الجهلة الطغام أن يخرجوا على عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأمسك بهم ثم أنّبهم على فعلهم وتركهم ، ولكنهم لم يصبروا بل استعدوا أكثر وخرجوا مرة ثانية في (سنة ٣٥) من الهجرة من ديارهم كأنهم يريدون الحج ، ومروا على مدينة رسول الله ﷺ ثم حاصروا أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في بيته حتى قتلوه شهيداً بعد حصار دام أربعين يومًا ، ومنع خلالها من كل شيء حتى الصلاة في المسجد .

أسباب الفتنـة ؟ :

السبب الأول : وهو سبب رئيسي : رجل يهودي يقال له عبد الله بن سبأ : [١]

وقد تسالم المتقدمون على إثبات هذه الشخصية بل ونسبوا فرقة من فرق المبتدعة إلى عبد الله بن سبأ فسموها السبئية أو السبائية ، ونسبوا إليها معتقدات خاصة بها ولكنها لا تخرج عن دائرة التشيع ، والذي تولى كبر إنكار هذه المسألة رجل يقال له مرتضى العسكري في كتاب له أسماه عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى ، وممن أنكر ابن سبأ أيضاً طه حسين في كتابه علي وبنوه وغيرهما ، أما طـه حسين فلم يزد على طريقته في إنكار اليقينيات والمسلمات كما في كتابه في الشعر الجاهلي[٢] ، « حيث أنكر أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قد بنيا الكعبة قائلاً : للقرآن أن يحدثنا عن هذا ولكن لا يلزم أنه وقع » فهو قد سار على طريقة الشك في كل شيء .

وأما العسكري فحاول أن يلبس على الناس حيث زعم أن طريقته علمية وأنه جمع الأحاديث والروايات التي ذكرت ابن سبأ وثبت عنده أنها من طريق سيف بن

---

(١) عبد الله بن سبأ ، هل هو حقيقة أم خيال ؟ .
(٢) انظر : صفحة (٢٦) .

عمر ، وسيف كذاب ، فلا وجود إذن لابن سبأ ، **وهذا باطل من وجوه :**

﴿١﴾ أثبت كثير من مؤرخي الشيعة وجامعي مقالاتهم ومحدثيهم هذه الشخصية في كتبهم .

■ فهذا النوبختي في كتابه فرق الشيعة بعد أن ذكر أقوال ابن سبأ قال : وهذه الفرقة تسمى السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ [(١)] ، « وقد توفي النوبختي في القرن الثالث الهجري » .

■ روى الكشي في كتابه رجال الشيعة عن أبي جعفر عليه السلام أن عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله [(٢)] ، وروى رواية أخرى عن جعفر الصادق عليه السلام في ذكر ابن سبأ حتى ذكر أكثر من خمس روايات .

■ الصدوق في كتابه من لا يحضره الفقيه [(٣)] .

■ الطوسي شيخ الطائفة [(٤)] .

■ المجلسي باقر علوم الأئمة عندهم [(٥)] .

■ النوري الطبرسي [(٦)] .

■ وغيرهم كثير تركتهم لعدم الإطالة [(٧)] .

وعبد الله بن سبأ هو يماني يهودي أظهر الإسلام ثم انتهج التشيع لعليٍّ رضي الله عنه وهو الذي تنسب إليه فرقة السبئية الذين قالوا بألوهية عليّ رضي الله عنه وهم الذين جاؤا لعليّ

---

(١) فرق الشيعة (ص ٢٢) .
(٢) رجال الكشي (ص ٩٨) .
(٣) رواية رقم (٩٩٥) .
(٤) في كتابه رجال الطوسي (ص ١) .
(٥) في كتابه بحار الأنوار (ص ٢١٠/٥١ - ١٤٦/٤٢) .
(٦) في كتابه مستدرك الوسائل (١٦٩/١٨) .
(٧) وأما أهل السُّنة فكل من أرخ هذه الحقبة ذكر ابن سبأ وأثره فيها ، لم ينكر وجود ابن سبأ إلا المتأخرون من كتّاب الشيعة ، وتابعهم عليه كتّاب السُّنة الذين يجهلون ما يرمي إليه الشيعة في إنكارهم لهذه الشخصية .

ابن أبي طالب فقالوا له : أنت هو ، قال : ومن هو ؟ ، قالوا : أنت الله ، فأمر مولاه قنبراً بأن يحفر حفرة ويشعل فيها النار ، وقال :

لمّا رأيت الأمر أمراً منكراً   أججت ناري ودعوت قنبراً [١]

وقال : من لم يرجع عن هذا القول أحرقته بالنّار ، فأحرق الكثيرين منهم وفرّ من فر منهم ، ومنهم عبد الله بن سبأ وقيل إنه قُتل والعلم عند الله تبارك وتعالى.

وأظهر ابن سبأ بعض العقائد اليهودية كالقول بالرجعة والوصي وأن الإمامة تكون في بيت واحد وغير ذلك .

واستغل الأعراب فأخذ يشيع عندهم الأكاذيب مُدَّعياً أن عثمان فعل كذا وكذا ، وكتب كتباً مزورة هو ومن ساعده على أصحاب النبي ﷺ كالزبير وعليّ وطلحة وعائشة وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ ويختمونها بأختامهم المزورة كلها فيها الإنكار على عثمان والتذمر من سياسته ، وفي السابق لا توجد أجهزة اتصالات حديثة كما هو الآن والمتلقون أعراب تأتيهم هذه الأخبار فيقبلون ويصدقون ، فصبأ إليه غير واحد من ذوي الشقاق والشقاء ، وكان يقول لحديثي السّن وقليلي التجربة : « عجبًا لمن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع وقد قال عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص : ٨٥] ، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى » .

وكان يقول : « كان فيما مضى ألف نبي ولكل نبي وصي ، وإن عليًا وصي محمد » ، فاستجاب له ناسٌ في مختلف الطبقات فاتخذ بعضهم دعاة فهموا أغراضه ودعوا إليها ، وبعضهم صدق قوله فصار يدعو إليه عن عماية .

ومن دعاته الذين ساهموا في نشر دعوته :

الغافقي بن حرب ، عبد الرحمن بن عديس البلوي ، كنانة بن بشر ، سودان بن

(١) أصله في البخاري كتاب استتابة المرتدين ، باب أثم من أشرك رقم(٦٩٢٢) وتفصيل القصة ذكرها الحافظ ابن حجر وقال : رويناه في الجزء الثالث من حديث أبي طاهر المخلص وسنده حسن .

حمران ، عبد الله بن زيد بن ورقاء ، عمرو بن الحمق الخزاعي ، حرقوص بن زهير ، حكيم بن جبلة ، قتيرة السكوني وغيرهم [١] .

قال مسروق : قالت عائشة رضي الله عنها : تركتموه « أي عثمان » كالثوب النقي من الدنس ثم قربتموه تذبحونه كما يذبح الكبش .

فقال لها مسروق : هذا عملك كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه ، فقالت عائشة رضي الله عنها : والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سواداً في بياض حتى جلست مجلسي هذا .

قال الأعمش : فكانوا يرون أنه كتب على لسانها [٢] .

فكُتبت كتب مزورة على ألسنة أصحاب رسول الله ﷺ كلها تذم عثمان بن عفان فعبد الله بن سبأ هذا له أتباع في شتى الولايات وكانوا يرسلون إليه ويرسل إليهم ويرسل بعضهم إلى بعض : فعل بنا الوالي كذا بأمر عثمان ، فعل بنا الوالي كذا بأمر عثمان ، ذهبنا إلى المدينة وفعل عثمان بنا كذا ، عثمان فعل بأصحاب محمد كذا ، وجاءتنا رسالة من الزبير بن العوّام ، جاءنا خطاب من عليّ بن أبي طالب ، جاءنا كتاب من عائشة ، جاءنا كذا ، فصار الأعراب الذين لا يفقهون من دين الله تبارك وتعالى إلا الشيء اليسير يتأثرون بهذه الأمور ، فغلت قلوبهم على عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه .

السبب الثاني : الرخاء الذي أصاب الأمة الإسلامية في زمن عثمان رضي الله عنه :

حتى قال الحسن البصري : قلما يأتي على الناس يوم إلا ويقتسمون فيه خيراً حتى إنه ينادي تعالوا عباد الله خذوا نصيبكم من العسل ، تعالوا عباد الله خذوا نصيبكم من المال [٣] .

---

(١) مختصر التحفة الإثني عشرية (٣١٨).
(٢) البداية والنهاية (٧/٢٠٤)، قال ابن كثير : إسناده صحيح.
(٣) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (١/٣٦٠).

وذلك لأن الجهاد كان في أوجه في زمن عثمان رضي الله عنه والرخاء من عادته أن يورث مثل هذه الأشياء وهي التذمر وعدم القبول وذلك لبطر الناس وعدم شكرهم .

السبب الثالث : الاختلاف بين طبع عثمان وطبع عمر رضي الله عنهما :

كان عمر رضي الله عنه شديداً وكان عثمان رضي الله عنه حليماً رءوفًا ، غير أنه لم يكن ضعيفاً كما يدعي كثير من الناس ، بل كان حليماً ، ولذلك عندما حاصروه في البيت قال : « أتدرون ما جرأكم عليَّ ؟ ما جرأكم عليَّ إلا حلمي » .

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : والله لقد نقموا على عثمان أشياء لو فعلها عمر ما تكلم منهم أحد .

إذن لماذا نقموا على عثمان ؟ ، لأن عثمان كان يسامح ويترك ويُفوِّت لهم تلك الأخطاء ويعفو رضي الله عنه وأرضاه .

السبب الرابع : استثقال بعض القبائل لرئاسة قريش :

القبائل العربية التي دخلت في الإسلام وبخاصة تلك التي ارتد بعض رجالها عن دين الله تبارك وتعالى ثم رجعوا بقوة السيف بعد أن قوتلوا فرجع بعضهم إلى الإسلام عن قناعة وبعضهم من غير قناعة وبعضهم رجع وفي القلب شيء ، أولئك استثقلوا أن تكون الرئاسة دائماً في قريش ، لماذا الرئاسة في قريش ؟ ولذلك يقول ابن خلدون : « وَجَدَتْ بعض القبائل العربية الرئاسة على قريش وأنفت نفوسهم فكانوا يظهرون الطعن في الولاة [1] ، ووجدوا في لين عثمان فرصة لذلك .

هذه أهم الأسباب ، وهناك أسباب أخرى أدت إلى تلك الفتنة ، تركتها مخافة الإطالة .

المآخذ التي أخذت على عثمان رضي الله عنه :

أما المآخذ التي أُخذت على حكم عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه ، أُجملها

(١) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (١/٣٦٥) .

ثم أفصلها إن شاء الله تعالى :

الأول: تولية أقاربه .

الثاني : نفي أبا ذر إلى الربذة [١] .

الثالث : إعطاء مروان بن الحكم خمس أفريقية .

الرابع : إحراق المصاحف وجمع الناس على مصحف واحد .

الخامس : ضرب ابن مسعود حتى فتقت أمعاؤه ، وضرب عمار بن ياسر حتى كسرت أضلاعه .

السادس : الزيادة في الحمى .

السابع : الإتمام في السفر .

الثامن : الفِرار من المعركة يوم أُحد .

التاسع : الغياب عن غزوة بدر .

العاشر : الغياب عن بيعة الرضوان .

الحادي عشر : عدم قتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان .

الثاني عشر : زيادة الأذان الثاني يوم الجمعة ، ولم يكن على عهد النبي ﷺ ولا أبي بكر ولا عمر إلا أذان واحد .

الثالث عشر : نفي النبي ﷺ الحكم – والد مروان – ورده عثمان .

وهناك أشياء أخرى كقولهم إنه صعد إلى درجة رسول الله ﷺ في المنبر فكان النبي ﷺ يخطب على الدرجة الأولى فلما جاء أبو بكر نزل إلى الثانية ولما جاء عمر نزل إلى الثالثة ولما جاء عثمان صعد إلى الأولى ، وهكذا استمر الأمر إلى يومنا هذا ، وقالوا كذلك كان عمر يضرب بالدرة فصار هو يضرب بالسوط وقالوا آذى أبا الدرداء

---

(١) الربذة تبعد عن المدينة مسيرة ثلاثة أيام عن طريق مكة « معجم البلدان » (٣/ ٢٤) .

من أصحاب النبي ﷺ وغيرها من الأمور التي أكثرها كذبٌ على عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه ، وفيما يأتي تفصيل هذه الأمور .

المأخذ الأول : توليته لأقاربه :

مَنْ أقارب عثمان الذين ولّاهم رضي الله عنه ؟ :

أقارب عثمان الذين ولأهم رضي الله تبارك وتعالى عنه ، أولهم معاوية ، الثاني عبد الله بن سعد بن أبي السرح ، الثالث الوليد بن عقبة ، الرابع سعيد بن العاص ، الخامس عبد الله بن عامر ، هؤلاء خمسة ولأهم عثمان وهم من أقاربه ، وهذا في زعمهم مطعن عليه ، فلننظر أولاً إلى باقي ولاة عثمان رضي الله عنه .

أبو موسى الأشعري ، القعقاع بن عمرو ، جابر المزني ، حبيب بن مسلمة ، عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، أبو الأعور السلمي ، حكيم بن سلامة ، الأشعث بن قيس ، جرير بن عبد الله البجلي ، عتيبة بن النهاس ، مالك بن حبيب ، النسير العجلي، السائب بن الأقرع ، سعيد بن قيس ، سلمان بن ربيعة ، خنيس بن خبيش .

هؤلاء هم ولاة عثمان رضي الله عنه وبنظرة سريعة نجد أن عدد الولاة من أقارب عثمان أقل بكثير من غيرهم ، وبخاصة إذا علمنا أن النبي ﷺ كان يولّي بني أمية أكثر من غيرهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: لا نعرف قبيلة من قبائل قريش فيها عمال لرسول الله ﷺ أكثر من بني أمية ، لأنّهم كانوا كثيرين ، وفيهم شرف وسؤدد [١] .

والـولاة الذين وَلّاهُم النبي ﷺ واستعملهم من بنـي أمية هم عتاب بن أسيد ، أبو سفيان بن حرب ، خالد بن سعيد ، عثمان بن سعيد ، أبان بن سعيد ، هؤلاء خمسة كعدد الذين وَلّاهُمْ عثمان رضي الله عنه .

---

(١) منهاج السنة (١٩٢/٦) .

ثم يقال بعد ذلك أن هؤلاء الولاة لم يتولوا كلهم في وقت واحد ، بل كان عثمان رضي الله عنه قد ولّى الوليد بن عقبة ثم عزله فولّى مكانه سعيد بن العاص فلم يكونوا خمسة في وقت واحد ، وأيضاً لم يُتوف عثمان إلا وقد عزل أيضاً سعيد بن العاص [١] فعندما تُوفي عثمان لم يكن من بني أمية من الولاة إلا ثلاثة ، وهم معاوية وعبد الله بن سعد بن أبي السرح وعبد الله بن عامر بن كريز فقط ، وعبد الله بن عامر أيضاً خرج من الولاية قبل موت عثمان [٢] .

وهنا أمر يجب التنبه إليه وهو أن عثمان عزل الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص من الكوفة ! ، الكوفة التي عزل منها عمر سعد بن أبي وقّاص ! ، الكوفة التي لم ترض بوالٍ أبداً .

إذاً عزل عثمان رضي الله عنه لأولئك الولاة لا يعتبر مطعناً فيهم بل مطعن في المدينة التي وُلّوا عليها ثم هل أثبتَ هؤلاء الولاة كفاءتهم أو لا ؟ .

وستأتي شهادات أهل العلم في أولئك الولاة الذين وَلاهُمْ عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه .

ثم يقال كذلك : إن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ولّى أقاربه [٣] ولم ينقم عليه أحد ولا ننقم عليه نحن أيضاً ، لأن هذا الأمر – وهو تولية عثمان لأقاربه – الذي ينقمه على عثمان اثنان إما سنّي وإما شيعي .

فأما الشيعي فيرد عليه بأن عليّ بن أبي طالب ولّي أقاربه أيضاً ، فالأمر سواء فإذا كانت تولية عثمان لأقاربه تعد مطعناً عليه فكذلك تولية عليٍّ لأقاربه لابد أن تكون مطعناً عليه رضي الله عنه وإن لم تكن مطعناً على عليٍّ فليست بمطعن على عثمان بل إن

---

(١) تاريخ الطبري (٣/٤٤٥) .
(٢) تاريخ الطبري (٣/٤٤٥) .
(٣) ولى عبد الله وعبيد الله وقثم وتمام أبناء العباس ، وربيبه محمد بن أبى بكر ، تاريخ خليفة بن الخياط ص (٢٠٠ ، ٢٠١)

الذين ولاهم عثمان أفضل من الذين ولاهم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين باستثناء عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

وأما إذا كان الذي ينكر على عثمان رضي الله عنه سنياً فنقول له: أنت بين أمرين اثنين:

أحدهما: أن عثمان رضي الله عنه ولاهم محاباة لهم ولم يكونوا أهلاً للولاية .

وثانيهما أن تقول: إن عثمان كان يظن أنهم يستحقون الولاية ولذلك ولاهم والأصل إحسان الظن في أمثال عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه ، ثم بعد ذلك كله ننظر في سير أولئك الولاة الذين ولاهم عثمان رضي الله عنه .

وهذه شهادات أهل العلم في أولئك الولاة :

الأول : معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما :

لا يختلف أحد من المسلمين على أن معاوية بن أبي سفيان كان من خير الولاة ، بل إن أهل الشام كانوا يحبونه حباً شديداً رضي الله تبارك وتعالى عنه ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد ولاه عليها وكل الذي فعله عثمان أنه أبقاه على تلك الولاية وزاده ولايات أخرى .

ثم هو كاتب للوحي زمن رسول الله ﷺ وكان من خير الولاة، وقد قال النبي ﷺ: « **خيار أئمتكم من تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم** »[1] ، وكان معاوية كذلك رضي الله تبارك وتعالى عنه .

الثاني : عبد الله بن سعد بن أبي السرح رضي الله عنه :

كان من أصحاب رسول الله ﷺ ثم ارتد عن دين الله تبارك وتعالى ، ثم بعد ذلك تاب إلى الله جلّ وعلا ورجع ليبايع النبي ﷺ فقال عثمان : يا رسول الله بايعه فإنه جاء تائباً فلم يبايعه النبي ﷺ ، ثم كلّم النبي ﷺ الثانية والثالثة ، فمدّ رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإمارة رقم (١٨٥٥) .

يده فبايعه [١] ، فرجع عما كان عليه وتاب إلى الله تبارك وتعالى وكان من خير الولاة وهو الذي فتح أفريقية .

قال الذهبي عنه : لم يَتَعَدَّ ولا فعل ما يُنقم عليه بعد أن أسلم عام الفتح ، وكان أحد عقلاء الرجال وأجوادهم [٢] ، والفتوحات الكثيرة في أفريقية كلها كانت على يده رضي الله عنه .

الثالث : سعيد بن العاص رضي الله عنه :

كان من خيار أصحاب رسول الله ﷺ حتى قال الذهبي عنه : كان أميراً شريفاً جواداً ممدحاً حليماً وقوراً ذا حزم وعقل يصلح للخلافة [٣] .

الرابع : عبد الله بن عامر بن كريز رضي الله عنه :

هو الذي فتح بلاد كسرى وخراسان ، وانتهت دولة فارس في زمن عثمان على يده وفتح سجستان وكرمان وغيرهما من البلاد ، قال عنه الذهبي : كان من كبار ملوك العرب وشجعانهم وأجوادهم [٤] .

الخامس : الوليد بن عقبة رضي الله عنه :

ذُكر عند الشعبي حبيب بن مسلمة وجهاده وما كان من فتوحاته فقال : لو أدركتم الوليدَ وغزوَه وإمارته ، وقد بقي الوليد بن عقبة أميراً على الكوفة خمس سنين ليس على بيته باب ، من يريده يأتي ويكلمه وكان الناس يحبونه ولكنهم أهل الكوفة كما يقال ، وقد نقم على الوليد بن عقبه أمران اثنان :

الأول : قالوا : نزل فيه قول الله تباركَ وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) ﴾ . [الحجرات : ٦] .

---

(١) أخرجه أبو داود ، كتاب الحدود ، باب الحكم في من ارتد (٤٣٥٩) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٣/٣٤) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٣/٤٤٥) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٣/٢١) .

على المشهور في كتب التفسير أن هذه الآية نزلت عندما أرسل النبيﷺ الوليد بن عقبة ليجبي صدقات بني المصطلق فلما ذهب إليهم وجدهم قد قدموا عليه فخاف ورجع إلى النبي ﷺ وقال : إنهم أرادوا قتلي فغضب النبي ﷺ عليهم وأرسل خالد بن الوليد ثم أمر النبي ﷺ بالتثبت من الأمر عندما أنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية ، فلما تبينوا الأمر قالوا : لم نأت لنقاتل وإنما جئنا بصدقاتنا لما تأخر علينا رسول الله ﷺ .

الثاني : قالوا كان يصلي الفجر وهو سكران وصلى بهم الفجر أربع ركعات ، ثم سلّم ، وقال : أزيدكم ، فقالوا له : أنت منذ اليوم في زيادة ثم ذهبوا إلى عثمان واشتكوه فجلده عثمان حد الخمر [1] ، وقد ثبت في صحيح مسلم أن عثمان جلده في حد الخمر .

فالذي نُقم على الوليد بن عقبة أمران أما الأمر الأول فهو المشهور عند أهل التفسير وجاء عند أحمد ، بسند حسن [2] أن الوليد بن عقبة هو الذي نزلت فيه هذه الآية ولكن لا يلزم أن يكون هو فاسقاً لأن الله تبارك وتعالى إنما أعطى حكماً عاماً لكل من جاء بخبر وإن كان الله تبارك وتعالى سمّاه فاسقاً فهل يعني هذا أن يظل فاسقاً طوال عمره ؟ إن الله تبارك وتعالى قال : ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤)** ﴾ [النور : ٤] ، ثم قال : ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥)** ﴾ [النور : ٥] ، ولو فرضنا أن هذه الآية نزلت في الوليد ابن عقبة أليست له توبة ؟!! .

أما شربه الخمر فهذه أولاً علمها عند الله تبارك وتعالى لا تكذيباً لصحيح مسلم ، فهو قد جُلد على الخمر ، ولكن هل ثبت عنه أنه شرب الخمر أم لا؟ ، هذا أمر آخر

---

(١) مسلم ، كتاب الحدود رقم (١٧٠٧) .

(٢) أحمد (٢٧٩/٤) ، والحديث ضعفه الشيخ عبد الله السعد ، انظر كتاب « الإبانة لما للصحابة من المنزلة والمكانة » ، تأليف حمد الحميدى (ص ٣٩) .

فالوليد بن عقبة لما كان والياً على الكوفة خرج اثنان من أهل الكوفة وذهبا إلى عثمان ابن عفان في المدينة وقالا له : رأينا الوليد بن عقبة يصلى بنا الفجر وهو سكران ، قال أحدهما : رأيته سكران وقال الآخر رأيته يتقيأها .

فقال عثمان : ما تقيأها إلا بعد أن شربها .

وكان عليٌّ رضي الله عنه حاضرا ومعه الحسن بن عليّ وعبد الله بن جعفر رضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين، فأمر عثمان بجلد الوليد بن عقبة، ثم عزله عن الكوفة ، ولكن شكك بعض أهل العلم في شهادة الشاهدين ، لا في صحة القصة ، نعم هو جلد كما في صحيح مسلم ، ولكن هل كان الشاهدان صادقين أو لا ؟ .

من أراد التوسع في هذه المسألة فليرجع إلى كتاب العواصم من القواصم بتحقيق محب الدين الخطيب، فإنه طعن في شهادة الشاهدين وبيَّن أنهما ليسا من الثقات[(١)] .

وإن ثبتت فهذه ليست بمطعن على عثمان ، فقد ثبت عنده أنه شرب الخمر فجلده وعزله ، هل أخطأ عثمان ؟ واقع الأمر أنه لم يخطئ بل هذه منقبة له رضي الله عنه فقد عزل وجلد قريبه وواليه ولم يحابه ، وهل الوليد بن عقبة معصوم ؟ .

ونحن قد ذكرنا في بداية حديثنا أننا لا ندَّعي العصمة في أصحاب النبي ﷺ وقد وقع في زمن عمر رضي الله عنه شيء من هذا حين شرب ابن مظعون الخمر وتأول قول الله تبارك وتعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣) ﴾ [المائدة : ٩٣] فبين له عمر الصواب ثم عزله رضي الله عنهما .

فهؤلاء هم ولاة عثمان ، الوحيد الذي يمكن أن يُطعن فيه على عثمان هو الوليد بن عقبة وليس فيه مطعن على عثمان وإن كان هناك مطعن فهو على الوليد بن عقبه نفسه .

---

(١) العواصم من القواصم (١٠٧ ، ١٠٨) ، الحاشية .

المأخذ الثاني : قالوا : نفي أبا ذر إلى الربذة :

الرواية التي عند الطبري وغيره من رواية سيف بن عمر ، أن معاوية وقع بينه وبين أبي ذر كلام فأرسل إلى عثمان أن أبا ذر قد أفسد الناس علينا ، فقال له عثمان أرسله إليّ ، فأرسله معاوية إلى عثمان فأنّبه عثمان ثم خرج إلى الربذة (١) .

هذه رواية سيف بن عمر ، ولقد ذكرنا من قبل أن لدينا رواياتنا الصحيحة التي نقبلها وهنا ما أخرجه البخاري في صحيحه في هذه المسألة :

عن زيد بن وهب قال : مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر قلت : ما أنزلك هذا المنزل ؟ قال : كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في الذين يكنزون الذهب والفضة فقال معاوية : نزلت في أهل الكتاب ، وقلت أنا : نزلت فينا وفيهم (٢) .

وكان بيني وبينه في ذلك فكتب إلى عثمان يشكوني أنّي أتكلم في هذه المسائل وأُثير الناس .

فكتب إليَّ عثمان أن أقدم إلى المدينة فقدمتها فكثر عليَّ الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال عثمان : إن شئت تنحَّيتَ ، فكنت قريباً فذاك الذي أنزلني ذاك المنزل ، ولو أمَّروا عليَّ حبشياً لسمعت إذاً وأطعت (٣) .

فعثمان بن عفان رضي الله عنه لم يطرد أبا ذر إلى الربذة ولم يرسله معاوية مهاناً من الشام إلى المدينة ، كل هذا من الكذب عليهم رضي الله عنهم أجمعين ، فهذه قصة أبي ذر

---

(١) تاريخ الطبرى (٣ / ٣٣٥) .

(٢) ومعلوم مذهب أبي ذر في مسألة الذهب والفضة ، لا يرى أن يبقي الإنسان عنده شيئاً فوق حاجته ، وخالفه جماهير الصحابة ، والمسألة الآن فيها شبه إجماع بين المسلمين بأنه لا يجوز للإنسان أن يكون عنده شيء من الذهب والفضة إذا أخرج زكاتها ، ولذلك بوب البخارى باب ما أخرج زكاته فليس بكنز ، وذكر هذه الرواية في ذلك الباب وهذا المشهور عن عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة ، المهم في هذا أن مذهب أبى ذر رضي الله عنه أن الإنسان لابد له أن يتصدق بكل ما زاد عن حاجته ولا يجوز له أن يبقي عنده ذهباً ولا فضة زيادة على حاجته وإن كان قد أخرج زكاتها وخالفه في هذا معاوية رضي الله عنه .

صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب ما أدى زكاته فليس بكنز رقم [illegible] .

عند البخاري ، بل قد ورد عند ابن سعد بسند جيد أنه لما خرج إلى الربذة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إذا بلغ البناء سلعاً فاخرج منها** » [١] ، فهو أمر من نَبِيِّ الله ﷺ ، ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال : « **رحم الله أبا ذر يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث يوم القيامة وحده** » [٢] ، رضي الله عنه وأرضاه .

المأخذ الثالث : قالوا : أعطى مروان خمس أفريقية :

وهذا كذب لم يثبت أن عثمان فعل هذا .

المأخذ الرابع : قالوا : أحرق المصاحف :

أرسل حذيفة بن اليمان إلى عثمان رضي الله عنه أن الناس قد افترقوا في القرآن واختلفوا اختلافاً شديداً حتى أنه يخشى عليهم من الكفر بالقرآن فطلب من عثمان أن يجمع الناس على قراءة واحدة وأن يجمع القرآن مرة ثانية [٣] .

فأمر عثمان رضي الله عنه بجمع القرآن مرة ثانية .

والمصاحف التي أحرقها عثمان فيها أشياء من منسوخ التلاوة وقد أبقاه بعض الصحابة وفيها ترتيب السور على غير الترتيب الذي في العرضة الأخيرة التي عرضها جبريل على النبي ﷺ ، وفي بعض المصاحف تفسيرات لبعض الصحابة ، لذلك أمر عثمان رضي الله عنه بإحراق تلك المصاحف وكتب المصحف الوحيد وفيه القراءات ولم يلغ القراءات الثابتة عن النبي ﷺ ، وقال بعض أهل العلم : بل ترك حرفًا واحداً فقط ، وهو ما كان على لسان قريش .

قال ابن العربي عن جمع القرآن وإحراق بقية المصاحف : تلك حسنته العظمى وخصلته الكبرى فإنه حسم الخلاف وحفظ الله القرآن على يديه [٤] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٤/٢٢٦) .
(٢) أخرجه الحاكم ([illegible]) وصححه ، وقال الذهبي : فيه إرسال وفيه بريد بن سفيان وهو ضعيف جداً .
(٣) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن رقم ([illegible]) .
(٤) العواصم من القواصم ([illegible]) .

فهذه منقبة لعثمان جعلوها من مساوئه ومثالبه ، رضي الله عنه وأرضاه .

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

المأخذ الخامس : قالوا : ضرب ابن مسعود حتى فتق أمعاءه وضرب عمار ابن ياسر حتى كسر أضلاعه :

وهذا كذب ولو فتق أمعاء ابن مسعود ما عاش فما فتق أمعاء ابن مسعود ولا كسر أضلاع عمار .

المأخذ السادس : قالوا استزاد في الحمى : [١]

كان الرسول ﷺ له حمى وقال : « **إنما الحمى حمى الله ورسوله** » [٢] .

وقد وضع عمر حمى لإبل الصدقة ووضع لهم منطقة خاصة لا يرعى فيها إلا إبل الصدقة ، حتى تسمن ويستفيد منها الناس فلما جاء عثمان وكثرت الصدقات وسع هذا الحمى فنقموا عليه ذلك ، حتى قيل له أرأيت ما حميت من الحمى آلله أذن لك أم على الله تفتري ؟ .

فقال عثمان رضي الله عنه : إن عمر حمى الحمى قبلي لإبل الصدقة فلما وليت زادت إبل الصدقة فزدت في الحمى [٣] .

المأخذ السابع : قالوا : أتم في السفر :

فلقد صلَّى الرسول ﷺ في السفر ركعتين ، وصلَّى أبو بكر في السفر ركعتين وصلى عمر في السفر ركعتين ، وصلَّى عثمان صدراً من خلافته في السفر ركعتين ثم أتم في السفر .

والجواب هو : أولاً هذه مسألة فقهية اجتهادية ، اجتهد فيها عثمان فأخطأ فكان

---

(١) وهي تحويط المكان حتى لا يدخله أحد .
(٢) أخرجه البخاري ، كتاب المساقات ، باب لا حمى إلا لله ولرسوله رقم (٢٣٧٠) .
(٣) أخرجه أحمد بسند صحيح في فضائل الصحابة (٤٧٠/١) رقم (٧٦٥) .

ماذا ؟ هذا إذا كان قد أخطأ فعلاً ، وهل هذا الأمر يبيح دم عثمان ؟ ، ومن المعصوم غير رسول الله « ﷺ » ؟ .

ثم إن في هذه المسألة خلافاً بين أهل العلم ، وأكثر أهل العلم على أن القصر في الصلاة سُنَّة مستحبة [(١)] .

فإذا كان عثمان فعل شيئاً فهو أنه ترك المستحب فقط ، وفعل الجائز ، أو تَرَكَ الرخصة وفَعلَ العزيمة ، أما لماذا أتم عثمان ؟ **فقد قيل لأحد أمرين :**

﴿ ١ ﴾ لأنه تأهل أي تزوج في مكة فكان يرى أنه في بلده في مكة ولذلك أتم هناك.

﴿ ٢ ﴾ إنه خشي أن يفتن الأعراب ويرجعون إلى بلادهم فيقصرون الصلاة هناك فأتم حتى يبين لهم أن أصل الصلاة أربع ركعات ، والعلم عند الله تبارك وتعالى .

ولما أتمت عائشة رضي الله عنها في السفر قالوا لعروة : ماذا أرادت عائشة ؟ قال : تأولت كما تأول عثمان رضي الله عنهم أجمعين ، فالقصد أن عثمان أول [(٢)] .

المأخذ الثامن والتاسع والعاشر : لم يحضر بدراً ، وفرّ يوم أحد ، ولم يحضر بيعة الرضوان :

والرد على هذه في صحيح البخاري أن عثمان بن موهب رحمه الله قال : جاء رجل من أهل مصر فقال : من القوم ؟ قالوا : قريش ، قال : من الشيخ فيكم ؟ ، قالوا : عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، فجاء لعبد الله بن عمر فقال : يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني عنه .

هل تعلم أن عثمان فرّ يوم أُحد ؟ ، قال : نعم .

هل تعلم أنه تغيب عن بدر ؟ ، قال : نعم .

قال : تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان ؟ ، قال : نعم .

---

(١) به قال مالك والشافعي والأوزاعي وأحمد ، والمغني ٢/٥٤ .

(٢) جاء في كتاب الكافي للكليني ٤/٥٢٤ عن أبي عبد الله جعفر الصادق أن الإتمام أفضل في الحرمين .

فقال المصري : الله أكبر – يعني ظهر الحق الذي يريده – فقال له عبد الله بن عمر : تعالَ أُبيِّن لك : أما فراره يوم أُحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له كما قال تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥) ﴾ [آل عمران: ١٥٥] ، وأما تغيبه عن بدر ، فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال النبي ﷺ : « **إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه** » ، إذاً لم يحضرها بأمر النبي ﷺ وأعطاه النبي سهماً في هذه المعركة .

وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعزَّ ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه [١] ، فبعثه الرسول ﷺ وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى : « **هذه يد عثمان** » ، فقال ابن عمر : اذهب به الآن معك [٢] .

المثال الحادي عشر : قالوا : لم يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان :

والمشهور في كتب التاريخ أنه بعدما قتل أبو لؤلؤة المجوسي عمرَ بن الخطاب قتل نفسه لما ألقوا العباءة عليه [٣] ، فلما أصبح الناس قام عبيد الله بن عمر فقتل رجلاً يقال له الهرمزان كان مجوسياً فأسلم فلما قيل له قال : كان مع أبي لؤلؤة المجوسي قبل مقتل عمر بثلاثة أيام [٤] ، وبينهما الخنجر الذي قتل به عمر فظن أن الهرمزان مشارك لأبي لؤلؤة في هذه الجريمة فذهب إليه وقتله .

---

(١) أى لبعثة النبي ﷺ بدل عثمان لأنه أرسله النبي ﷺ لأهل مكة حتى يبين لهم أن النبي ﷺ إنما جاء ليؤدي عمرته صلوات الله وسلامه عليه ، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة ، ولم يكن حاضراً وإنما ذهب بأمر النبى ﷺ إلى مكة فبيعة الرضوان ما تمت إلا انتقاماً لعثمان لما بلغ النبي ﷺ أن عثمان قد قتل فبايع النبي ﷺ بيعة الرضوان أن أصحابه على الانتقام لعثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه إن كان قد صح قتله .

(٢) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عثمان رقم (٣٦٩٨).

(٣) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة باب قصة البيعة رقم (٣٧٠٠).

(٤) وكان عبد الرحمن بن أبي بكر قد رآهما وأخبر عبد الله بذلك ، انظر الطبري (٣٠٣/٣)القصة من طريق سيف بن عمر وهو كذاب .

عن سعيد بن المسيب قال : « إن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال حين قُتل عمر : قد مررت على أبي لؤلؤة قاتل عمر ومعه جفينة والهرمزان وهم نجيٌّ « أي يتناجون » ، فلما بغتُّهم ثاروا « أي قاموا » فسقط من بينهم خنجر له رأسان ونصابه وسطه فانظروا ما الخنجر الذي قتل به عمر ، فوجدوه الخنجر الذي نعت عبد الرحمن ابن أبي بكر فانطلق عبيد الله بن عمر ، حين سمع ذلك من عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه السيف حتى دعا الهرمزان فلما خرج إليه قال : انطلق معي حتى ننظر إلى فرس لي ، وتأخر عنه حتى إذا مضى بين يديه علاه بالسيف ، قال عبيد الله : فلما وجد حرَّ السيف قال : لا إله إلا الله ، قال عبيد الله : ودعوت جفينة وكان نصرانياً من نصارى الحيرة ، فلما علوته بالسيف صلَّب بين عينيه ، ثم انطلق عبيد الله فقتل ابنة لأبي لؤلؤة صغيرة تدَّعي الإسلام ، وأراد عبيد الله ألا يدع سبيًا بالمدينة إلا قتله ، فاجتمع المهاجرون الأولون عليه فنهوه وتوعدوه فقال : والله لأقتلنهم وغيرهم ، وعرَّض ببعض المهاجرين ، فلم يزل عمرو بن العاص به حتى دفع إليه السيف فلما دفع إليه السيف أتاه سعد بن أبي وقاص فأخذ كل واحد منهما برأس صاحبه يتناصيان حتى حجز بينهما ، ثم أقبل عثمان قبل أن يبايع له في تلك الليالي حتى واقع عبيد الله فتناصيا وأظلمت الأرض يوم قتل عبيد الله جفينة والهرمزان وابنة أبي لؤلؤة على الناس ، ثم حجز بينه وبين عثمان ، فلما استخلف عثمان دعا المهاجرين والأنصار فقال : أشيروا عليَّ في قتل هذا الرجل الذي فتق في الدِّين ، فاجتمع المهاجرون على كلمة واحدة يشايعون عثمان على قتله ، وجُلُّ الناس الأعظم مع عبيد الله يقولون لجفينة والهرمزان أبعدهما الله : لعلكم تريدون أن تتبعوا عمر ابنه ؟، فكثر في ذلك اللغط والاختلاف ، ثم قال عمرو بن العاص لعثمان : يا أمير المؤمنين : إن هذا الأمر قد كان قبل أن يكون لك على الناس سلطان ، فأعرض عنهم وتفرق الناس عن خطبة عمرو ، وانتهى إليه عثمان وودي الرجلان والجارية [(١)] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/٣٥٥) بسند صحيح .

وهنا ثلاث توجيهات لعدم قتل عبيد الله بالهرمزان :

الأول : أن الهرمزان تمالأ مع أبي لؤلؤة على قتل عمر كما رآهما عبد الرحمن ابن أبي بكر وبهذا يكون مستحقاً القتل كما قال عمر : لو تمالأ أهل صنعاء على قتل رجل لقتلتهم به [١] ، فهنا يكون دم الهرمزان مباحاً لأنه شارك في قتل عمر .

الثاني : أن النبي ﷺ لم يقتل أسامة بن زيد لما تأول في عهده وذلك أنه في إحدى المعارك رأي رجلاً من المشركين قد قتل من المسلمين الكثير فذهب إليه فلما رآه المشرك فرّ منه ثم اختبأ خلف شجرة وقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقتله أسامة ، فلما بلغ النبيﷺ هذا الأمر استدعى أسامة فقال: « **أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟** » ، قال : إنما قالها تعوُّذاً – يعني خائفاً من السيف – فقال النبي ﷺ : « **هلا شققت عن قلبه** » يقول : فما زال يرددها عليّ قتلته بعد أن قال لا إله إلا الله ؟! حتى تمنيت أني لم أُسلم إلا الآن [٢] .

فالنبي ﷺ لم يُقم الحد على أسامة لأنه كان متأوِّلاً ، فكذلك الحال بالنسبة لعثمان لم يُقم الحدَّ على عبيد الله بن عمر لأنه كان متأوِّلاً .

الثالث : قيل إن الهرمزان لم يكن له وليّ والمقتول الذي لا وليّ له وليُّه السلطان فتنازل عن القتل ، وقيل إن له ولداً يقال القامذبان ، وأنه تنازل عن دم عبيد الله بن عمر [٣] .

المأخذ الثاني عشر : زاد الأذان الثاني يوم الجمعة :

إن النبي ﷺ قال: « **عليكم بسُنتي وسُنة الخلفاء الراشدين من بعدي** » [٤] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الديات ، باب إذا أصاب قوم من رجل رقم (٦٨٩٦) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب بعث النبي ﷺ أسامة إلى الحرقات رقم (٤٢٦٩) ، مسلم كتاب الإيمان رقم (١٥٩) .

(٣) قصة تنازل القامذبان عن قتل عبيد الله في تاريخ الطبري (٣٠٥/٣) ولكنها من طريق سيف بن عمر الكذاب .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة رقم (٤٦٠٧) ، سُنن الترمذي ، كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسُّنة رقم (٢٦٧٦) .

وهذه الزيادة من سُنة الخلفاء الراشدين ولا شك أن عثمان من الخلفاء الراشدين ورأى مصلحة أن يزاد هذا الأذان لتنبيه الناس عن قرب وقت صلاة الجمعة بعد أن اتسعت رقعة المدينة فاجتهد في هذا ووافقه جميع الصحابة واستمر العمل به لم يخالفه أحد حتى في زمن عليّ وزمن معاوية وزمن بني أُمية وبني العباس ، وإلى يومنا هذا لم يخالفه أحد من المسلمين فهي سُنة بإجماع المسلمين . ثم هو له أصل في الشرع وهو الأذان الأول في الفجر فلعل عثمان قاس هذا الأذان عليه .

المأخذ الثالث عشر : رد الحكم وقد نفاه الرسول ﷺ :

وهذه الفرية يرد عليها من ثلاثة أوجه :

أولاً : أنها لم تثبت ولا تُعرف بسند صحيح .

ثانياً : الحكَم كان من مُسلمة الفتح وكان من الطلقاء، والطلقاء مسكنهم مكة ولم يعيشوا في المدينة فكيف ينفيه النبي ﷺ من المدينة وهو ليس من أهلها أصلاً .

ثالثاً : النفي المعلوم في شريعتنا أقصاه سنة ولم يعلم في شرع الله تبارك وتعالى أن هناك نفياً مدى الحياة وأي ذنب هذا الذي يستحق به الإنسان أن يُنفى مدى الحياة ؟ .

فالنفي عقوبة تعزيرية من الحاكم فلو فرضنا أن النبي ﷺ فعلاً نفاه واستمر منفيّاً في حياة النبي ﷺ ثم في خلافة أبي بكر وعمر ثم أعاده عثمان بعد كم؟، بعد أكثر من خمس عشرة سنة ، أين البأس هنا ؟، هذا إن صحت وهي لم تصح ، ثم إن النبي ﷺ قبل شفاعة عثمان في عبد الله بن سعد بن أبي السرح ، وكان قد ارتد ولا شك أن الحكَم لم يأت بجرم أعظم من هذا، فكيف يسامح النبي ﷺ ذاك ولا يسامح هذا .

هذه هي المآخذ على عثمان رضي الله عنه ، بعضها أمور مكذوبة عليه ، وبعضها محاسن له جعلت مساوئ ، وبعضها أمور اجتهادية أخطأ أو أصاب ، وبعضها أخطاء وقعت منه فعلاً ولكنها أخطاء مغفورة ، وأخطاء مغمورة في بحر حسناته رضي الله تبارك وتعالى عنه .

مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه

بعد أن أُثيرت هذه الأمور على عثمان خرج أُناسٌ من أهل البصرة وأُناسٌ من أهل الكوفة وأُناسٌ من أهل مصر ، وجاءوا إلى المدينة في السنة الخامسة والثلاثين من هجرة النبي ﷺ يظهرون أنهم يريدون الحج ، وقد أبطنوا الخروج على عثمان رضي الله عنه وأرضاه .

واختلف في أعدادهم فقيل إنهم ألفان من أهل مصر وألفان من أهل الكوفة وألفان من أهل البصرة ، وقيل إن الكل ألفان وقيل غير ذلك ، وليست هناك إحصائية دقيقة ، ولكنهم لا يَقِلُّون عن ألفين ولا يزيدون عن ستة آلاف بأي حال من الأحوال.

دخلوا مدينة رسول الله ﷺ وكان أولئك القوم من فرسان قبائلهم ، جاءوا لعزل عثمان ، إما بالتهديد وإما بالقوة وحاصروا بيت عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه في أواخر ذي القعدة وأمروه أن يخلع نفسه من الخلافة ، واستمر الحصار إلى الثامن عشر من ذي الحجة ، وهو يوم مقتل عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه .

وقيل إن الحصار استمر أربعين يوماً وقيل غير ذلك ولكنه لا يزيد عن الواحد والأربعين يوماً .

لما حوصر عثمان رضي الله عنه في بيته ومُنع من الصلاة بل ومن الماء ، دخل بعض أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يريد الدفاع عنه وكان من أشهر الذين جلسوا عنده في بيته الحسن بن عليّ والحسين بن عليّ ، وعبد الله بن الزبير وأبو هريرة ومحمد بن طلحة بن عبيد الله « السجاد » وعبد الله بن عمر وقد شهروا سيوفهم في وجه أولئك البغاة الذين أرادوا قتل عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه [١] .

ولكن عثمان أمر الصحابة بعدم القتال ، بل إنه جاء في بعض الروايات أن الذين

---

(١) البداية والنهاية (١٨٤/٧) .

جاءوا للدفاع عن عثمان أكثر من سبعمائة من أبناء الصحابة ولكن حتى هؤلاء السبعمائة لا يصلون إلى عدد أولئك البغاة على القول بأن أقل عدد أنهم ألفان .

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : كنت مع عثمان في الدار فقال أعزم على كل من رأى أن عليه سمعاً وطاعة إلا كفّ يده وسلاحه [(١)] .

وعن ابن سيرين قال : جاء زيد بن ثابت إلى عثمان رضي الله عنه فقال : هذه الأنصار بالباب قالوا إن شئت أن نكون أنصار الله مرتين كما كنّا مع النبي ﷺ نكون معك ، فقال عثمان : أما قتال فلا [(٢)] .

ودخل ابن عمر على عثمان رضي الله عنهم فقال عثمان : يا ابن عمر انظر ما يقول هؤلاء يقولون اخلعها ولا تقتل نفسك ، فقال ابن عمر : إذا خلعتها أمُخلَّد أنت في الدنيا ؟ فقال عثمان : لا . قال : فإن لم تخلعها هل يزيدون على أن يقتلوك ؟ . قال عثمان . لا . قال : فهل يملكون الجنة والنار ؟ قال عثمان : لا ، قال عبد الله بن عمر : فلا أرى أن تخلع قميصاً قمَّصكه الله فتكون سُنَّة ، كلما كره قوم خليفتهم أو إمامهم خلعوه [(٣)] .

وقال عثمان لعبيده : كل من وضع سلاحه فهو حر لوجه الله . فهو الذي منع الناس من القتال .

من قتل عثمان ؟ :

بعد أن حوصر عثمان تسوروا عليه البيت فقتلوه رضي الله عنه وهو واضع المصحف بين يديه ، قيل للحسن البصري « وكان الحسن البصري قد عاش تلك الفترة لأنه من كبار التابعين » أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين أو الأنصار ؟ .

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة (٢٤/١٥) رقم (١٩٥٠٨) .
(٢) المصنف لابن أبي شيبة (٢٠٥/١٥) رقم (١٩٥٠٩) .
(٣) أخرجه أحمد في كتاب فضائل الصحابة ، بإسناد صحيح (٤٧٣/١) رقم (٧٦٧) .

فقال : كانوا أعلاجاً من أهل مصر [١] ، ولكن الرؤوس معروفة وهم كنانة بن بشر ، ورومان اليماني ، وشخص يقال له جبلة ، وسودان بن حمران ، ورجل يلقب بالموت الأسود من بني سدوس ، ومالك بن الأشتر النخعي .

هؤلاء كانوا من رؤوس الفتنة التي قامت على عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه.

عن عمرة بنت أرطأة قالت : خرجت مع عائشة رضي الله عنها سنة قتل عثمان إلى مكة فمررنا بالمدينة فرأينا المصحف الذي قُتل وهو في حجره فكانت أول قطرة قطرت من دمه على أول هذه الآية ﴿ **فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧)** ﴾ [البقرة : ١٣٧] ، قالت عمرة : فما مات منهم رجل سوياً [٢] .

وعن محمد بن سيرين قال : كنت أطوف بالكعبة فإذا برجل يقول : اللهم اغفر لي وما أظن أن تغفر لي ، يقول فتعجبت منه فقلت : يا عبد الله ما سمعت أحد يقول مثل ما تقول .

فقال الرجل : إني كنت قد أعطيت الله عهداً لإن مكّنني من عثمان لأصفعنّه ، فلما قُتل وُضع في سريره في البيت ، فكان الناس يأتون ويصلون عليه وهو في بيته ، فدخلت أُظهر أني أُريد الصلاة فلما رأيت أن البيت ليس فيه أحد كشفت عن وجهه فصفعته وهو ميت فيبست يدي ، قال ابن سيرين : رأيتها يابسة كأنها عود [٣] .

كيف قُتل عثمان رضي الله عنه ولم يدفع عنه أحد من الصحابة ؟ .

التعليل الأول :

إن عثمان هو الذي عزم عليهم بهذا فأمرهم أن يُغمدوا سيوفهم ونهاهم عن

(١) تاريخ خليفة (ص ١٧٦) ، بإسناد صحيح .

(٢) فضائل الصحابة (٥٠١/١) ، رقم (٨١٧) ، وإسناده صحيح ، وانظر كذلك (٧٦٥ / ٧٦٦) .

(٣) البداية والنهاية (٢٠٠/٧)، ورجاله ثقات غير عيسى بن المنهال ، ذكره ابن حبان في الثقات وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢٨٨/٦) وسكت عنه وكذا ذكره البخاري في التاريخ الكبير (٣٩٩/٦) وسكت عنه أيضاً .

القتال واستسلم لقضاء الله تبارك وتعالى وقَدَرِه .

وهذا يدل على أمرين اثنين :

الأول : شجاعة عثمان رضي الله عنه .

والثاني : رحمته بأمة محمد ﷺ ، لأنه أدرك أن أولئك أعراب أجلاف ، وأنهم مفسدون فرأى أنه لو قاتلهم الصحابة لكانت المفسدة أعظم من قتل رجل واحد ، ولربما انتهى الأمر إلى قتل عدد كبير من الصحابة ، وقد يتعدُّون إلى انتهاك الأعراض وانتهاب الأموال ، فرأى أن المصلحة أن يقتل هو ولا يقتل أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا تهتك حرمة مدينة رسول الله ﷺ .

التعليل الثاني :

أن عدد الصحابة كان أقل بكثير من عدد أولئك الخوارج ، فإن أصحاب رسول الله ﷺ **كانوا على أربعة أماكن :**

المكان الأول مكة : لأن الموسم كان موسم حج فقد خرج الكثيرون للحج ولم يكونوا حاضرين وأمَّر عثمان عبد الله بن عباس على الحج .

المكان الثاني خارج مكة : بعض أصحاب النبي ﷺ تمَصَّروا الأمصار ، عاشوا في الكوفة والبصرة ومصر والشام وغيرها من البلاد .

المكان الثالث الجهاد : وهناك من أصحاب النبي ﷺ من كان في الجهاد.

المكان الرابع : هم الذين كانوا في المدينة ولم يكن عددهم مكافئاً لعدد أولئك الخوارج.

التعليل الثالث :

أن الصحابة بعثوا أولادهم للدفاع عن عثمان رضي الله عنه ، وما كانوا يتصورون أن الأمر يصل إلى القتل وإنما حصار وعناد ، وبعد ذلك يرجعون .

أما أنهم يتجرءون ويقتلون عثمان بن عفان فكان بعض الصحابة لا يرى أن الأمر يصل إلى هذه الدرجة وأرجح هذه الأقوال الأول ، وهو أن عثمان رضي الله عنه هو الذي منعهم من قتال أولئك الخوارج .

خلافة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

[من سنة ٣٥هـ إلى ٤٠ هـ]

هو عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ابن عم النبي ﷺ وزوج سيدة نساء العالمين فاطمة بنت النبي ﷺ ، وأبو السبطين الحسن والحسين رضي الله عنهم أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف [١] .

كنيته : أبو الحسن وكناه النبي ﷺ بأبي تراب ، أسلم صغيراً وهو ابن ثمان سنين على المشهور [٢] .

عن مُحمَّد بن الحنفية وهو محمد بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم قال : أتى عليٌّ دار عثمان وقد قُتل فدخل إلى داره وأغلق بابه عليه فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فقالوا : إن هذا الرجل قد قُتل ولابد للناس من خليفة ولا نعلم أحد أحق بها منك .

فقال لهم عليّ : لا تريدوني فإني لكم وزير خير لكم مني أمير .

فقالوا : لا والله لا نعلم أحداً أحق بها منك قال : فإن أبيتم عليّ فإن بيعتي لا تكون سراً ولكن أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يُبايعني بايعني ، فخرج إلى المسجد فبايعه الناس [٣] .

وبايعه المهاجرون والأنصار الذين كانوا في المدينة ، وقيل إنه تخلّف عن بيعته بعض الصحابة كسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وغيرهم وقيل إنه بُويع من الجميع وهذا هو المشهور ، وإنما تخلف سعد وابن عمر ومحمد بن مسلمة عن القتال معه أما البيعة فقد بايعوه .

---

(١) معرفة الصحابة (٢٧٨/١) .
(٢) معرفة الصحابة (٢٧٨/١) وسيأتى ذكر فضائله فى باب من الخليفة بعد رسول الله ﷺ .
(٣) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (/٥٧٣) رقم (٦٩٦) وإسناده صحيح .

قال عوف بن أبي جميلة :

كنت عند الحسن البصري وكان في المدينة عند مقتل عثمان فذكروا أصحاب النبيﷺ فقال ابن جوشن الغطفاني: يا أبا سعيد إنما زُرِّي بأبي موسى اتباعه علياً [١] ، فغضب الحسن حتى تبين ذلك في وجهه فقال : فمن يتّبع ؟! .

قُتل أمير المؤمنين مظلوماً فعمد الناس إلى خيرهم فبايعوه فمن يُتّبع ؟ ، حتى رددها مراراً [٢] .

وأهل السُّنة مجمعون على أن أفضل الصحابة بعد عثمان بن عفان هو عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

قال ابن تيمية - رحمه الله - :

« المنصوص عن أحمد بن حنبل تبديع من توقف في خلافة عليّ وقال : هو أضلُّ من حمار أهله وأمر بهجرانه ، قال : ولم يتردد أحمد ولا أحد من أئمة أهل السُّنة في القول أنه ليس غير عليٍّ أولى بالحق منه ولا شكّوا في ذلك » [٣] .

فأهل السُّنة مجمعون على أن أفضل الصحابة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم اختلفوا كما ذكرنا في عثمان وعليّ ، والجمهور على أن عثمان أفضل من علي ثم اتفقوا بعد ذلك على أن عليّ بن أبي طالب رابع الخلفاء .

معركة الجمل ﴿ سنة ٣٦ هـ ﴾ :

لما بويع عليّ بن أبي طالب استأذن طلحة والزبير علياً رضي الله عنه في الذهاب إلى مكة فأذن لهما ، فالتقيا هناك بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وكان الخبر قد وصل إليها أن عثمان قد قتُل ، رضي الله تبارك وتعالى عنه ، فاجتمعوا هناك في مكة وعزموا على الأخذ بثأر عثمان .

---

(١) يريد أن الذى أخذه الناس طعناً فى أبي موسى أنه اتبع عليّاً والمفروض أن لا يتبعه.
(٢) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة بإسناد صحيح (٥٧٦/٢) رقم (٩٧٦) .
(٣) مجموع الفتاوى (٤٣٨/٤) .

فجاء يعلى بن منية من البصرة وجاء عبد الله بن عامر من الكوفة واجتمعوا في مكة على الأخذ بثأر عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه .

فخرجوا من مكة بمن تابعهم في البصرة يريدون قتلة عثمان وذلك أنهم يرون أنهم قصَّروا في الدفاع عن عثمان رضي الله عنه .

وكان عليّ رضي الله عنه في المدينة وكان عثمان بن حنيف رضي الله عنه والياً على البصرة من قبل عليّ بن أبي طالب فلما وصلوا إلى البصرة أرسل إليهم عثمان ابن حنيف : ماذا تريدون ؟ .

قالوا : نريد قتلة عثمان .

فقال لهم : حتى يأتي عليّ ، ومنعهم من الدخول .

ثم خرج إليهم جبلة وهو أحد الذين شاركوا في قتل عثمان فقاتلهم في سبعمائة رجل فانتصروا عليه وقتلوا كثيراً ممن كان معه ، وانضم كثير من أهل البصرة إلى جيش طلحة والزبير وعائشة رضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين .

عند ذلك خرج عليّ رضي الله عنه من المدينة إلى الكوفة وذلك لما سمع أنه وقع هناك قتال بين عثمان بن حنيف وهو والي عليّ على البصرة وطلحة والزبير وعائشة ومن معهم فخرج عليّ رضي الله عنه وجهز جيشاً قوامه عشرة آلاف لمقاتلة طلحة والزبير ، وهنا يظهر لنا جلياً أن عليّ بن أبي طالب هو الذي خرج إليهم ولم يخرجوا عليه ولم يقصدوا قتاله كما يدعي المبتدعة وبعض من تأثر بهم .

وأرسل عليّ المقداد بن الأسود والقعقاع بن عمرو ليتكلما مع طلحة والزبير واتفق المقداد والقعقاع من جهة وطلحة والزبير من جهة أخرى على عدم القتال وبيَّن كل فريق وجهة نظره .

فطلحة والزبير يريان أنه لا يجوز ترك قتلة عثمان ، وعليّ يرى أنه ليس من المصلحة تتبع قتلة عثمان الآن ، بل حتى تستتب الأمور ، فقَتْلُ قتلة عثمان متفق

عليه ، والاختلاف إنما هو في متى يكون ذلك .

وبعد الاتفاق نام الجيشان بخير ليلة وبات السبئية « وهم قتلة عثمان » بشَرِّ ليلة لأنه تم الاتفاق عليهم ، وهذا ما ذكره المؤرخون الذين أرخوا لهذه المعركةَ أمثال الطبري [١] ، وابن كثير [٢] ، وابن الأثير [٣] ، وابن حزم [٤] ، وغيرهم .

عند ذلك أجمع السبئيون رأيهم على أن لا يتم هذا الإتفاق ، وفي السَّحَر والقوم نائمون هاجم مجموعة من السبئيين جيش طلحة والزبير وقتلوا بعض أفراد الجيش وفروا فظن جيش طلحة أن علياً غدر بهم فناوشوا جيش عليّ في الصباح فظن جيش عليّ أن جيش طلحة والزبير قد غدر ، فاستمرت المناوشات بين الفريقين حتى كانت الظهيرة فاشتعلت المعركة .

وقد حاول الكبار من الجيشين وقف القتال ولكن لم يفلحوا ، فكان طلحة يقول يا أيها الناس أتنصتون ؟فأصبحوا لا يُنصِّتونه ،فقال: أُفٍّ أُفٍّ فَراش نار وذبان طمع [٥] .

وعليٌّ يمنعهم ولا يردون عليه وأرسلت عائشة كعب بن سور بالمصحف لوقف المعركة فرشقه السبئيون بالنبال حتى أردوه قتيلاً ، وذلك أن الحرب والعياذ بالله إذا اشتعلت لا يستطيع أحد أن يوقفها وقد ذكر البخاري أبياتاً من الشعر لامرىء القيس :

الحـــرب أول مـــا تكون فـــتـــيـــة ... تســـعى بزينتـــهـــا لكل جـــهـــول

حـتى إذا اشـتـعلت وشب ضـرامـهـا ... ولّت عـــجـــوزاً غـــيـــر ذات حليل

شـــمطاء ينكر لونهـــا وتغـــيـــرت ... مكروهة للشم والتـــقـــبـــيـــل [٦]

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٥١٧) .
(٢) البداية والنهاية ٧/٢٥٠٩) .
(٣) الكامل في التاريخ ٣/١٢٠) .
(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/٢٩٣) .
(٥) تاريخ خليفة بن خياط ١٨٢) .
(٦) صحيح البخاري كتاب الفتنة باب الفتنة التي تموج كموج البحر .

وقعة الجمل كانت في سنة ست وثلاثين من الهجرة أي في بداية خلافة عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بدأت بعد الظهر وانتهت قبيل مغيب الشمس من اليوم نفسه ، كان مع عليّ عشرة آلاف وأهل الجمل كان عددهم ما بين الخمسة والستة آلاف وراية عليّ كانت مع محمد بن عليّ بن أبي طالب وراية أهل الجمل مع عبد الله بن الزبير .

قُتل في هذا اليوم كثير من المسلمين وهي فتنة سلم الله تبارك وتعالى منها سيوفنا ونسأل الله لهم الرضوان والمغفرة .

وقُتل طلحة والزبير ومحمد بن طلحة ، أما الزبير فلم يشارك في هذه المعركة ولا طلحة ، وذلك أنه يُروى أن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما جاء إلى المعركة لقي عليّ بن أبي طالب فقال له عليّ أتذكر أن الرسول ﷺ قال : « **تقاتلني وأنت لي ظالم** » فرجع الزبير في ذلك اليوم ولم يقاتل [١] .

فالصحيح أنه لم يقاتل ولكن هل وقع هذا بينه وبين عليّ ؟ الله أعلم لأنه ليس للرواية سند قوي ، ولكن هي المشهورة في كتب التاريخ ، والمشهور أكثر أن الزبير لم يشارك في هذه المعركة وقُتل الزبير غدراً على يد رجل يقال له ابن جرموز .

وقُتل طلحة بسهم غرب « بسهم غير مقصود » أصابه في قدمه مكان إصابة قديمة فمات منها رضي الله تبارك وتعالى عنه وهو يحاول منع الناس من القتال ، ولما انتهت هذه المعركة وقُتل الكثير خاصة في الدفاع عن جمل عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، لأنها كانت تمثل رمزاً لهم فكانوا يستبسلون في الدفاع عنها ، ولذلك بمجرد أن سقط الجمل هدأت المعركة وانتهت وانتصر عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

وإن كان الصحيح أنه لم ينتصر أحد ولكن خسر الإسلام وخسر المسلمون في تلك المعركة ، فلما انتهت المعركة صار عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يمر بين القتلى فوجد طلحة بن

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٨٣/١٥) رقم (١٩٦٧٤) ، وفيه رجل مجهول وذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٤٤١٢) .

عبيد الله فقال بعد أن أجلسه ومسح التراب عن وجهه : عزيزٌ عليَّ أن أراك مجدّلاً تحت نجوم السماء أبا محمد وبكى عليّ رضي الله عنه وقال : وددت أني متُّ قبل هذا بعشرين سنة (١) .

وكذلك رأى عليّ رضي الله عنه محمد بن طلحة فبكى وكان محمد بن طلحة يلقب بالسجّاد من كثرة عبادته رضي الله تبارك وتعالى عنه .

وكل الصحابة رضي الله عنهم بلا استثناء الذين شاركوا في هذه المعركة ندموا على ما وقع.

وابن جرموز هذا دخل على عليّ ومعه سيف الزبير يقول : قتلتُ الزبير ، قتلتُ الزبير ، فلما سمعه عليّ رضي الله عنه قال : إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن رسول الله ﷺ ثم قال : بشر قاتل ابن صفية بالنار ، ولم يأذن له بالدخول عليه (٢) .

لماذا لم يقتل عليّ قتلة عثمان ؟ .

عليّ رضي الله عنه كان ينظر نظر مصلحة ومفسدة فرأى أن المصلحة تقتضي تأخير القصاص لا تركه فأخّرَ القصاص من أجل هذا ، كما فعل النبي ﷺ في حادثة الإفك وذلك أنه تكلم في عائشة رضي الله عنها بعض الناس ، ومن أشهر من تكلم في عائشة حسان بن ثابت وحمنة بنت جحش ومسطح بن أثاثة ، وكان الذي تولّى كِبْرَه عبد الله بن أُبي بن سلول ، فصعد النبي ﷺ المنبر وقال : « **من يعذرني في رجل وصل أذاه إلى أهلي ؟** » – يعني عبد الله بن أُبي بن سلول – فقام سعد بن معاذ وقال : أنا أعذرك منه يا رسول الله ، إن كان منّا معشر الأوس قتلناه ، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا بقتله .

فقام سعد بن عبادة فرد على سعد بن معاذ ، وقام أسيد بن حضير فرد على سعد

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر المختصر (٢٠٧/١١) أسد الغابة (٨٨/٣) وقال البوصيري : رجاله ثقات ، نقله عنه الحافظ بن حجر في المطالب العالية ٣٠٢/٤ مع اختلاف يسير في ألفاظه .

(٢) طبقات ابن سعد (١٠٥/٣) بسند حسن .

ابن عبادة فصار النبي ﷺ يخفضهم [١] .

وعَلِم أن الأمـر عظيم وذلك أنه قـبل مـجيء النبي ﷺ إلى المدينة كـان الأوس والخزرج قد اتفقوا على أن يجعلوا عبد الله بن أُبي بن سلول ملكاً عليهم فله عندهم منزلة عظيمة وهو الذي رجع بثلث الجيش في معركة أُحد ، والنبي ﷺ هنا ترك جلد عبد الله بن أُبي بن سلول لماذا ؟ للمصلحة، إذ رأى أن جلده أعظم مفسدة من تركه، وكذلك عليّ رضي الله عنه رأى أن تأخير القصاص أقل مفسدة من تعجيله لأن عليّاً رضي الله عنه لا يستطيع أن يقتل قتلة عثمان أصلاً لأن لهم قبائل تدافع عنهم ، والأمن غير مستتب ، وما زالت الفتنة قائمة ، وَمَنْ يقول إنهم لن يقتلوا عليّاً رضي الله عنه ؟ وقد قتلوه بعد ذلك .

ولذلك لما وصلت الخلافة إلى معاوية لم يقتل قتلة عثمان أيضاً ، لماذا ؟ لأنه صار يرى ما كان يراه عليّ ، كان علي يراه واقعاً ، ومعاوية كان يراه نظرياً فلما آلت الخلافة إليه رآه واقعاً ، نعم معاوية أرسل من قتل بعضهم ولكن بقي آخرون إلى زمن الحجاج في خلافة عبد الملك بن مروان حتى قُتل آخرهم . المهم أن علياً رضي الله عنه ما كان يستطيع أن يقتلهم ، ليس عجزاً ، ولكن خوفاً على الأمة .

ولما انتهت المعركة أخذ عليّ رضي الله عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرسلها معززة مكرمة إلى مدينة الرسول ﷺ كما أمره النبي ﷺ ، عن عليّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **سيكون بينك وبين عائشة أمر** » ، قال عليّ فأنا أشقاهم يا رسول الله ، قال : « **لا ولكن إذا كان ذلك فأرددها إلى مأمنها** » [٢] .

ففعل رضي الله عنه ما أمر به رسول الله ﷺ .

---

(١) صحيح البخاري كتاب المغازي باب حديث الإفك ، رقم الحديث ٤١٤١، مسلم كتاب التوبة (٢٧٧٠).
(٢) مسند أحمد (٦/٣٩٣) ، وقال الحافظ في الفتح سنده حسن (١٣/٦٠) .

معركة صفين (سنة ٣٧) :

كان معاوية قد امتنع عن المبايعة لعليّ حتى يتم القصاص لعثمان ، فلما انتهى عليّ رضي الله عنه قال : لابد أن يبايع معاوية الآن ، وجهز الجيش لمقاتلة معاوية أو يبايع فخرج عليّ بجيش قوامه مئة ألف إلى صفين في الشام ، فلما سمع معاوية بخروج عليّ إلى قتاله صعد المنبر وقال : إن علياً نَهَدَ إليكم في أهل العراق فما الرأي؟ فضرب الناس بأذقانهم على صدورهم [١] ، فقام ذو الكلاع الحميري فقال : عليك الرأي وعلينا الفعال ، والناس سكوت .

وصعد عليٌّ رضي الله عنه المنبر فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : إن معاوية قد نَهَدَ إليكم في أهل الشام فما الرأي ؟ فأضَبَّ أهل المسجد [٢] ، يقولون يا أمير المؤمنين الرأي كذا ... الرأي كذا ... فلم يفهم عليٌّ كلامهم من كثرة من تكلم وكثر اللغَطْ فنزل وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون [٣] .

فذاك حال أهل الشام وهذا حال أهل العراق ، فأهل الشام كانوا أهل طاعة وأهل جَلَد ، وأهل العراق كانوا أهل فوضى كما سيأتي وهم الذين بعد ذلك قاتلوا عليّاً وقتلوه رضي الله تبارك وتعالى عنه .

وَصَلَ عليّ رضي الله عنه إلى صفين سنة سبع وثلاثين من الهجرة ، وذلك في صفر .

هل نازع معاوية علي الخلافة :

عن أبي مسلم الخولاني أنه دخل على معاوية فقال له : أأنت تنازع عليّاً ، أأنت مثله ؟ .

فقال معاوية : لا والله إني لأعلم أن علياً أفضلُ وأحق بالأمر ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قُتل مظلوماً ؟ وأنا ابن عمه وأنا أطلب بدمه فأتوا عليّاً فقولوا له فليدفع إليَّ

---

(١) يعني نزّلوا رؤوسهم ولم يرفع إليه أحد طرفه .
(٢) يعني ارتفعت أصواتهم .
(٣) تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين ص ٥٤٠ .

قتلة عثمان وأُسلّم له الأمور ، فأتوا علياً فكلّموه فأبى عليهم ولم يدفع القتلة [١] .

فمعاوية لم يقل إنه خليفة ، ولم ينازع علياً الخلافة أبداً ، ولذلك لما تنازعا كما سيأتي ، وصار التحكيم ، وكتب هذا ما عاهد عليه عليٌّ أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ، قال : لا تكتب أمير المؤمنين لو بايعتك على أنك أمير المؤمنين ما قاتلتك ولكن اكتب اسمك واسمي فقط ، ثم التفت إلى الكاتب وقال : اكتب اسمه قبل اسمي لفضله وسابقته في الإسلام [٢] .

ولم يكن القتال بين معاوية وعليّ قتالاً بين خليفة وخليفة أبداً ولكن القتال سببه أن علياً يريد أن يعزل معاوية ومعاوية رافض للعزل حتى يقتل قتلة ابن عمه أو يُسلّمون إليه ، فلم يكن الموضوع الخلافة كما يشاع .

وكان عدد جيش عليّ مئة ألف ، وكان عدد جيش معاوية سبعين ألفاً ، وقُتل عمار بن ياسر وكان في جيش عليّ ، وكان النبي ﷺ قد قال لعمار : « **يا عمار ستقتلك الفئة الباغية** » [٣] .

قيل لأحمد ابن حنبل - رحمه الله -: حديث تقتلك الفئة الباغية ؟ ، قال لا أتكلم فيه تركه أسلم ، كما قال رسول الله ﷺ قتلته الفئة الباغية وسكت [٤] .

وقال ابن حجر - رحمه الله -: ذهب جمهور أهل السُّنة إلى تصويب من قاتل مع عليّ وقد ثبت أن من قاتل علياً كانوا بغاة ومع هذا التصويب فهم متفقون على أنه لا يُذم واحد من هؤلاء بل يقولون اجتهدوا فأخطأوا [٥] .

وقال : اتفق أهل السُّنة على وجوب منع الطعن على أحد الصحابة بسبب ما وقع

---

(١) تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين ص (٥٤٠) وسنده صحيح .
(٢) البداية والنهاية (٧/٢٨٨) .
(٣) **متفق عليه** ، صحيح البخارى ، كتاب الصلاة ، باب التعاون في بناء المسجد رقم (٤٤٧) ، مسلم كتاب الفتنة (٢٩١٥) .
(٤) السُّنة للخلال ص (٤٦٣) ، رقم (٧٢٢) .
(٥) فتح الباري (١٣/٧٢) .

منهم ولو عُرف المحِقُّ منهم لأنهم لم يقاتلوا إلا عن اجتهاد [١] .

وقال الطبري في تقوية مذهب من ناصر عليّاً ﵁ : لو كان الواجب في كل اختلاف يقع بين المسلمين الهروب منه بلزوم المنازل لَمَا أُقيم حَدٌّ ولا أُبطل باطل ولَوَجد أهل الفسوق سبيلاً إلى ارتكاب المحرمات [٢] .

قلت : هذا كلام صحيح إذا تبين الأمر ولكن إذا كانت الأمور مشتبهة لزم الإبتعاد فلذلك تخلف الكثير عن المشاركة في هذه المعركة .

إذن فالذي يجب أن نعتقده أن طلحة والزبير وعائشة ومن معهم وكذلك عليّ ومن معه إنما قاتلوا عن اجتهاد والأمر كان فتنة ، ومعركة الجمل بالذات لم تكن عن استعداد لقتال ولم يكونوا يريدون القتال .

ونقل ابن حزم وابن تيمية عن الجمهور الامتناع عن الكلام في هذه المسألة .

قال ابن تيمية : إن قال قائل إن عليّاً بدأهم القتال قيل له وهم أولاً امتنعوا عن طاعته ومبايعته وجعلوه ظالماً مشاركاً في دم عثمان وقبلوا عليه شهادة الزور وذلك أنه أُشيع عند أهل الشام أن عليّاً رَضِيَ بقتل عثمان .

وراجت هذه عند أهل الشام لأربعة أمور :

الأمر الأول : عدم قتل قتلة عثمان .

الأمر الثاني : معركة الجمل .

الأمر الثالث : ترك المدينة والسكن بالكوفة ، والكوفة هي معقل قتلة عثمان .

الأمر الرابع : أن في جيش عليّ من هو متهم بقتل عثمان .

لهذه الأمور الأربعة وقع الشك عند أهل الشام « عند الجهلة منهم » أن لعليّ يداً في قتل عثمان ﵄ وليس لعليّ يد بل كان يلعن قتلة عثمان ، فإن قيل هذا وحده، لم يبح له قتالهم قيل : إنه ما كان يجوز لهم أن يقاتلوا علياً ﵁ لكونه عاجزاً عن

---

(١) ، (٢) فتح الباري (١٣/٣٧) .

قتل قتلة عثمان ، بل لو كان قادراً على قتل قتلة عثمان وتركه ، إما متأولاً أو مذنباً لم يكن ذلك موجباً لتفريق الجماعة والامتناع عن بيعته ، بل كانت مبايعته على كل حال أصلح في الدين وأنفع للمسلمين .

مَنْ مِنَ الصحابة شهد تلك المعارك ؟ .

الصحابة الذين شهدوا تلك المعارك إما في الجمل أو صفين، هم: عليّ ، الزبير ، طلحة ، عائشة ، ابن الزبير ، الحسن ، الحسين ، عمار ، ابن عباس ، معاوية ، عمرو ابن العاص ، قيس بن سعد ، القعقاع بن عمرو ، جرير بن عبد الله ، خزيمة بن ثابت ، أبو قتادة ، أبو الهيثم بن التيهان ، سهل بن سعد ، جابر بن عبد الله ، عبد الله ابن جعفر ، عدي بن حاتم ، الأشعث بن قيس ، جارية بن قدامة ، فضالة بن عبيد ، النعمان بن بشير .

والذين امتنعوا ولم يشاركوا هم :

سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد ، وعبد الله بن عمر ، ومحمد بن مسلمة ، وأسامة بن زيد ، وأبو هريرة ، وزيد بن ثابت ، وعمران بن حصين ، وأنس بن مالك ، وأبو بكرة الثقفي، والأحنف ابن قيس ، وأبو أيوب الأنصاري ، وأبو موسى الأشعري ، وأبو مسعود الأنصاري ، والوليد بن عقبة ، وسعيد بن العاص ، وعبد الله بن عامر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبو برزة الأسلمي ، وأهبان بن صيفي ، وسلمة بن الأكوع ، بل جل الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم .

قصة التحكيم :

وانتهت معركة صفين بالتحكيم ، أي توقفوا عن القتال بأن رُفعت المصاحف على الرماح ، ورضي عليّ رضي الله عنه بالتحكيم ورجع إلى الكوفة ، ورجع معاوية إلى الشام على أن يكون التحكيم في رمضان ، وأرسل عليّ أبا موسى الأشعري ، وأرسل معاوية عمرو بن العاص .

وقصة التحكيم المشهورة هي أن عمرو بن العاص اتفق مع أبي موسى الأشعري

على عزل عليّ ومعاوية فصعد أبو موسى الأشعري المنبر وقال : إني أنزع علياً من الخلافة كما أنزع خاتمي هذا ، ثم نزع خاتمه ، وقام عمرو بن العاص وقال : وأنا أنزع علياً كذلك كما نزعه أبو موسى ،كما أنزع خاتمي هذا ، وأُثبّت معاوية كما أثبت خاتمي هذا . فصار اللغط فخرج أبو موسى غاضباً ورجع إلى مكة ولم يذهب إلى عليّ في الكوفة ورجع عمرو بن العاص إلى الشام [(١)] .

هذه القصة مزورة مكذوبة ، بطلها أبو مخنف الذي ذكرناه أكثر من مرة والقصة الصحيحة كما رواها أهل الحق وهي بسند صحيح عند البخاري في التاريخ أن عمرو ابن العاص لما جاء التحكيم التقى مع أبي موسى الأشعري فقال: ما ترى في هذا الأمر؟ قال أبو موسى: أري أنه من النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهم[(٢)] ، فقال عمرو بن العاص : فأين تجعلني أنا ومعاوية ؟ قال أبو موسى: أن يستعن بكما ففيكما المعونة ، وأن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما [(٣)] ، ثم انتهى الأمر على هذا فرجع عمرو بن العاص إلى معاوية بهذا الخبر ورجع أبو موسى إلى عليّ به .

والرواية الأولى لا شك أنها باطلة لثلاثة أمور :

أولاً : السند ضعيف فيه أبو مخنف الكذاب .

ثانياً : خليفة المسلمين لا يعزله أبو موسى الأشعري ولا غيره ، إذ لا يُعزل عند أهل السُّنة بهذه السهولة ، فكيف يتفق رجلان على عزل أمير المؤمنين؟! ، هذا كلام غير صحيح ، والذي وقع في التحكيم هو أنهما اتفقا على أن يبقي عليّ في الكوفة وهو خليفة المسلمين ، وأن يبقي معاوية في الشام أميراً عليها وأن تتوقف الحرب بينهما .

ثالثاً : الرواية الصحيحة التي ذكرناها .

---

(١) تاريخ الطبري ٥١/٤ والكامل في التاريخ ١٦٨/٣ .

(٢) يقصد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٣) **انظر** : تفصيل قضية التحكيم في كتاب مرويات أبي محنف في تاريخ الطبري قصة التحكيم ، وعزاه إلى التاريخ الكبير (٣٩٨/٥) .



معركة النهروان (سنة ٣٨ هـ) :

رجع عليّ رضي الله عنه إلى الكوفة فخرج عليه الخوارج وكانوا قد رفضوا التحكيم وقالوا : لا حكم إلا لله ،وبدأو يشغّبون على عليّ حتى في المسجد يقومون ويصيحون : لا حكم إلا لله ، لا حكم إلا لله ، وكان عليّ رضي الله عنه يقول : كلمة حق أريد بها باطل [1] .

ثم بعد ذلك قتلوا الصحابي الجليل عبد الله بن خباب وقتلوا زوجته وبقروا بطنها وكانت حاملاً متمّة في شهرها ، فلما بلغ الأمر علياً أرسل إليهم : من قتله ؟ ، فردوا عليه كلنا قتلناه ، فخرج إليهم عليّ رضي الله عنه بجيش قوامه عشرة آلاف فقاتلهم في النهروان .

قال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا إسحق بن عيسى الطباع قال : حدثني يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبيد الله بن عياض بن عمرو القاري قال : جاء عبد الله بن شداد فدخل على عائشة ونحن عندها جلوس ، مرجعه من العراق ، ليالي قتل عليّ فقالت له : يا عبد الله بن شداد هل أنت صادقي عما أسألك عنه ؟ تحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم عليّ ؟ قال: وما ليَ لا أصْدُقك ! قالت : فحدثني عن قصتهم ، قال : فإن علياً لما كاتب معاوية وحَكَمَ الحَكَمان خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس ، فنزلوا بأرض يقال لها حروراء من جانب الكوفة ، وأنهم عتبوا عليه وقالوا : انسلخت من قميصٍ ألبَسَكَ الله تعالى ، واسمٍ سمَّاك الله تعالى به ثم انطلقت فَحَكَّمْتَ في دين الله الرجال ، ولا حكم إلا لله تعالى .

فلما أن بلغ علياً ما عتبوا عليه وفارقوه عليه أمر مؤذناً فأذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن ، فلما امتلأت الدار من قُرّاء الناس دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه ، فجعل يصكه بيده ويقول : أيها المصحف ! حدِّث

---

(١) وذهبت مثلاً .

الناس ! ، فناداه الناس فقالوا : يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه ؟ إنما هو مداد في ورق ! ونحن نتكلم بما رُوِّيناه منه ! فماذا تريد ؟ .

قال : أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا ، بيني وبينهم كتاب الله ، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (٣٥) ﴾ .

[النساء : ٣٥] .

فأُمّة محمد ﷺ أعظم دماً وحرمة من امرأة ورجل ونقموا عَلَيَّ أن كاتبت معاوية كتب عليّ بن أبي طالب [1] .

وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشاً ، فكتب رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل : لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال كيف نكتب ؟ فقال : اكتب باسمك اللهم ، فقال رسول الله ﷺ : فاكتب محمد رسول الله، فقال : لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك ، فكتب: هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشاً ، يقول الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) ﴾ [الأحزاب : ٢١]، فبعث إليهم عليٌّ عبد الله بن عباس ، فخرجت معه حتى إذا توسطنا عسكرهم قام ابن الكواء يخطب الناس ، فقال : يا حملة القرآن ، إن هذا عبد الله بن عباس ، فمن لم يكن يعرفه فأنا أُعَرِّفُهُ من كتاب الله ما يعرفه به ، هذا ممن نزل فيه وفي قومه ﴿ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) ﴾ [الزخرف : ٥٨] فرُدُّوه إلى أصحابه ، ولا تواضعوه كتاب الله ، فقام خطباؤهم فقالوا : والله لنُواضِعَنّه كتاب الله ، فإن جاء بحق نعرفه لنتّبِعَنّه ، وإن جاء بباطل لنُبَكِّتَنّهُ بباطله .

---

(١) يريد أنهم نقموا عليه أنه كتب اسمه مجرداً عن إمرة المؤمنين .

فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام ، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب ، فيهم ابن الكواء ، حتى أدخلهم على عليٍّ الكوفة [١] .

فبعث عليٌّ إلى بقيتهم فقال : قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم ، فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد ﷺ ، بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دماً حراماً أو تقطعوا سبيلاً أو تظلموا ذمة فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين .

فقالت له عائشة رضي الله عنها : يا ابن شداد فقد قتلهم ، فقال : والله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدم واستحلوا أهل الذمة ، فقالت : آلله ؟ قال : آلله الذي لا إله إلا هو لقد كان ، قالت : فما شيء بلغني عن أهل الذمة يتحدثونه ، يقولون ذو الثّدي و ذو الثّدي ؟ .

قال : قد رأيته وقمت مع عليٍّ عليه في القتلى ، فدعا الناس فقال : أتعرفون هذا ؟ فما أكثر من جاء يقول : قد رأيته في مسجد بني فلان يصلي ، ورأيته في مسجد بني فلان يصلي ، ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك .

قالت : فما قول عليٍّ حين قام عليه كما يزعم أهل العراق ؟ قال سمعته يقول : صدق الله ورسوله ، قالت : هل سمعت منه أنه قال غير ذلك ؟ قال : اللهم لا ، قالت : أجل ، صدق الله ورسوله ، يرحم الله عليّاً ، إنه كان من كلامه لا يرى شيئاً يعجبه إلا قال صدق الله ورسوله ، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه ويزيدون عليه في الحديث [٢] ... وكان عدد الخوارج ألف رجل فقتلهم ولم يقتل من جيش عليٍّ إلا أربعة أو سبعة في بعض الروايات [٣] .

وكان بينهم المُخدَّج ذو الثُدية الذي رآه عليٌّ رضي الله عنه وكان رسول الله ﷺ قد أخبر

(١) مستدرك الحاكم (٢/١٥٠) .
(٢) مسند أحمد تحقيق أحمد شاكر رقم (٦٥٦) ، وقال إسناده صحيح .
(٣) البداية والنهاية (٢٩٨/٧) .

كما في صحيح مسلم أنه تخرج فرقة على حين اختلاف بين المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق وذكر في حديث آخر إن فيهم ذا الثدية [١] ، فصار عليّ يبحث عنه في القتلى حتى وجده فلما وجده سجد لله شكراً [٢] ، إذ علم أنه على الحق .

مقتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﴿ سنة ٤٠ ﴾ :

حين هدأت الأمور قليلاً بعد معركة النهروان بفترة تقارب السنتين انتدب ثلاثة من الخوارج فاجتمعوا بمكة وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ، قالوا : نتقرب إلى الله بقتل هؤلاء الثلاثة (وذلك ليريحوا العباد منهم كما يزعمون) ، فقال عبد الرحمن بن ملجم المرادي : أنا لعليّ ابن أبي طالب ، وقام البرك التميمي وقال : أنا لمعاوية ، وقام عمرو بن بكر التميمي وقال : أنا لعمرو بن العاص ، واتفقوا على أن يكون ذلك بعد سبعة عشرة ليلة من رمضان .

وكان عمرو في مصر ومعاوية في الشام وعليّ في الكوفة ، فطعن ابن ملجم علياً ، وهو خارج لصلاة الفجر بخنجر قد سمّه أسبوعاً ، وقال عليّ لما طُعن : إن أنا شُفيت فأنا حجيجه ، وإن أنا مت فاقتلاه بي ، فقال ابن ملجم : لا والله فإني سممته جمعة .

فلما مات عليّ رضي الله عنه جاءوا فقطعوا يدي ابن ملجم وسمّلوا عينيه وهو ثابت لم يجزع فلما أرادوا قطع لسانه خاف قالوا: الآن؟ قال: إني أخشى أن أعيش فترة لا أذكر الله فيها! .

سبحان الله ، هذا هو الضلال المبين والعياذ بالله ، يستبيح دم ولي من أولياء الله ثم يخشى أن تمر عليه لحظة لا يذكر الله فيها .

---

(١) مسلم ، كتاب الزكاة (١٠٦٤) ، وما بعده وانظر صحيح البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة رقم (٣٦١٠) .

(٢) مسند أحمد ، تحقيق شاكر(١٥٤/٢) ، رقم(٨٤٨) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح .

وخرج البرك إلى معاوية أيضاً في صلاة الفجر فضربه ولكن أصابه ولم يقتله وعولج ، ولكن ذُكر أنها كانت سبباً في قطع نسله .

والذي أراد عمرو بن العاص خرج إلى الصلاة ، وكان عمرو قد أُصيب بإسهال فلم يخرج إلى الصلاة ، فقَتَلَ الإمام يظنه عمرو بن العاص وكان الإمام خارجة بن أبي حبيب فجاء وضربه فقتله في الصلاة فأمسكوه ، قالوا : ماذا فعلت ؟ قال : أرحت الناس من عمرو بن العاص ، قالوا : ما قتلت عمراً ، وإنما قتلت خارجة ، قال : أردت عمراً وأراد الله خارجة [1] ، فَقُتِل وقُتل البرك وقُتل عبد الرحمن بن ملجم [2] .

سبب الخلاف بين الصحابة رضي الله عنهم :

المشهور أن طلحة والزبير وعائشة خرجوا للانتقام لعثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه وعنهم ، أما معاوية فإن علياً لما أخذ الخلافة عزل بعض الولاة الذين ولأهم عثمان وهم خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان فلما بلغ العزل معاوية رضي الله عنه رفض العزل وقال : ممن أعزل ؟ قالوا : من عليّ ، قال : وأين قتلة ابن عمى ؟ أين قتلة عثمان ؟ قالوا له : بايع ثم طالب بقتلة عثمان ، قال : لا بل يسلمنى قتلة عثمان ثم أبايعه .

وذلك أن معاوية كان يرى أنه على قوة في الشام وأنه لن يفرط بهذه القوة التي تؤهله للانتقام من قتلة عثمان فقال : لا أبايع حتى يقتل قتلة عثمان ، وعليّ يقول : تبايع ثم ينظر في قتلة عثمان ، فالاختلاف بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما هو في أيهما قبل.

عليّ يرى أن الأولى أن يبايع ثم بعد ذلك ينظر في أمر قتلة عثمان ، عندما تهدأ الأمور ويستتب الأمن ، ومعاوية كان يرى العكس ، إذ كان يرى أن أول شيء يجب عليهم أن يفعلوه هو قتل قتلة عثمان ، ثم بعد ذلك النظر في موضوع الخلافة .

---

(١) وذهبت مثلاً .
(٢) الطبقات الكبرى [illegible] البداية والنهاية (٧/٣٢٨ [illegible]).

فالخلاف بين علي ومعاوية هو خلاف أولويات ، وكان رأي طلحة والزبير من رأي معاوية ، وهو الإسراع بقتل قتلة عثمان ، مع أن الفرق بين طلحة والزبير من جهة ومعاوية من جهة أخرى أن طلحة والزبير بايعا ومعاوية لم يبايع بعد .

موقف الصحابة رضي الله عنهم من تلك المعارك :

اختلف الصحابة على ثلاث طوائف :

الطائفة الأولى :

طلحة والزبير وعائشة ومعاوية ، ترى هذه الطائفة أنه يجب التعجيل بقتل قتلة عثمان .

الطائفة الثانية :

عليّ ومن معه ترى هذه الطائفة أن أول شيء يجب أن يكون يحسم هو أمر الخلافة ، وتأجيل النظر بقتلة عثمان .

الطائفة الثالثة :

ويمثلها سعد وابن عمر وأبو هريرة ومحمد بن مسلمة والأحنف وأسامة وأبو بكرة الثقفي وجل الصحابة ، ترى هذه الطائفة اعتزال الجميع، وسبب هذه الاختلافات أن الأمور كانت مشتبهة والوقت كان وقت فتنة ولذلك لم يستطع أحد أن يتدبر ذلك الأمر ويتبين حقيقته بوضوح [1] .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : إن الطبري أخرج بسند صحيح عن الأحنف بن قيس رضي الله عنه قال : لقيت طلحة والزبير بعد حصر عثمان فقلت : ما تأمراني فإني أراه مقتولاً ؟ قالا : عليك بعليّ ، ولقيت عائشة بعد مقتل عثمان في

---

(١) ولنا في غزو الكويت في التاريخ الحديث شاهد قريب على اختلاف الآراء واضطراب الأمر في فتنةٍ أودت بالكثير من الحكماء بل الناس العاديين .

مكة فقلت : ما تأمريني ؟ قالت : عليك بعليّ [١] .

ولما خرج هؤلاء الصحابة إلى معركة الجمل لقيهم الأحنف فقال لهم : والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين ، ولا أقاتل رجلاً أمرتموني ببيعته [٢] .

وقد مرَّ بنا قول رسول الله ﷺ قال لعليّ : يا علي إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر ، فارفق بها ، قال عليّ : فأنا أشقاهم يا رسول الله ؟ ، فقال رسول الله ﷺ : « لا ، ولكن إذا كان ذلك فأرددها إلى مأمنها » [٣] .

موقف أهل السنّة من عبد الرحمن بن ملجم وقتلة عثمان ، وقاتل الزبير، وقتلة الحسين وأمثالهم :

قال الإمام الذهبي - رحمه الله - : ابن ملجم عندنا ممن نرجو له النار ونُجَوِّز أن الله يتجاوز عنه وحكمه هو حكم قاتل عثمان وقاتل الزبير وقاتل طلحة وقاتل سعيد بن جبير ، وقاتل عمار وقاتل خارجة وقاتل الحسين [٤] ، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله ونَكِلُ أمورهم إلى الله تبارك وتعالى [٥] .

أين الحق فيما وقع بين الصحابة ؟ :

قال رسول الله ﷺ عن عمار رضي الله عنه : « تقتله الفئة الباغية » ،وقال عن الخوارج :

« يخرجون على حين اختلاف بين المسلمين ، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق » فالحديثان صريحان في أن الحق كان أقرب إلى عليّ رضي الله عنه ، تقتلهما أقرب الطائفتين إلى الحق ، وفي رواية « أولى الطائفتين بالحق » فالحديثان ينصان على أن علياً كان

---

(١) « والذي يظهر من هذه الرواية أن طلحة والزبير وعائشة ما كانوا ينقمون على عليٍّ الخلافة أبداً ، إذ هم بايعوه على الخلافة وأمروا الأحنف بمتابعته وكل ما في الأمر اجتهدوا في معرفة ما يجب أن يقوموا به كأولوية » .

(٢) فتح الباري (١٣/٣٨) وانظر تاريخ الطبري .

(٣) فتح الباري (١٣/٦٠) .

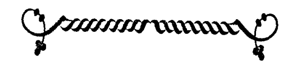
(٤) هؤلاء حكمهم كلهم واحد لا يخرجون من الملة لا نجزم أنهم كفار ، ولكن لا شك أنهم فسقة مجرمون إلا من تاب منهم .

(٥) تاريخ الإسلام ، عصر الخلفاء الراشدين (٦٥٤) في ترجمة عبد الرحمن بن ملجم .

أقرب للحق من مخالفيه في الجمل ، وكذلك في صفين ، ولكن لم يصب الحق كلّه لأن الرسول ﷺ « الأقرب إلى الحق » « الأولى بالحق » لا أنه على الحق كله .

وليس هذا طعناً في عليّ رضي الله عنه ولكن لبيان أن الذين امتنعوا عن المشاركة في الفتنة هم الذين كانوا على الحق كله ، فالسلامة لعليّ رضي الله عنه كانت في الإمساك عن القتال ، ولذلك ندم عليٌّ لما رأى طلحة قتيلاً وقال : ليتني مت قبل عشرين سنة ، ولما جاء الحسن بن عليّ بعد صفين ، وكلّم عليّاً بالذي حدث قال : والله ما ظننت أن الأمر يصل إلى ذلك ، وندموا كلهم على المشاركة في تلك المعارك ، ولهذا أثنى النبي ﷺ على الحسن رضي الله عنه وقال : « **إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين** » [1] ، فأثنى عليه للصلح ولم يثن على عليّ لأنه قاتلهم .

والثناء على عليّ رضي الله عنه كان لقتاله أهل النهروان ، فقد أصاب الحق كله في قتاله للخوارج ، ولذلك لم يحزن أحد على قتلهم بل فرح المسلمون بقتل أهل النهروان ، وعليّ سجد لله شكراً لما قتل أهل النهروان ، ولكنه بكى لما قاتل أهل الجمل ، وحزن لما قاتل أهل صفين .



(١) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة باب مناقب الحسن والحسين رقم

خلافة أمير المؤمنين الحسن بن عليّ رضي الله عنه
[سنة ٤٠ هـ]

بعد مقتل عليّ رضي الله عنه وأرضاه بايع أهل الكوفة الحسن بن عليّ ، وخرج بعد أن عقدت له البيعة من الكوفة إلى الشام، لأنهم إلى الآن لم ينزلوا على طاعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب .

خرج الحسن بن عليّ وفي نيته الصلح وكان لا يحب القتال بل إن الحسن كان معارضاً لخروج عليّ بن أبي طالب لقتال أهل الشام [١] ، وكان من علامات إرادته للصلح أنه عزل قيس بن سعد بن عبادة عن القيادة وجعل القيادة بيد عبد الله بن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنهما [٢] .

عن الحسن البصري قال : لما سار الحسن بن عليّ إلى معاوية بالكتائب قال عمرو بن العاص لمعاوية : أرى كتيبة لا تولّي حتى تدبر آخرهـا .

قال الحسن البصري - رحمه الله - : ولقد سمعت أبا بكرة يقول : بينما رسول الله ﷺ يخطب إذ جاء الحسن فقال النبي ﷺ : « **ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين** » [٣] .

وعن الزهري قال : أرسل معاوية إلى الحسن سجلاً قد ختم في أسفله أُكتب فيه ما تريد فهو لك ، فقال عمرو بن العاص : بل نقاتله ، فقال معاوية : [قال الزهري وكان خير الرجلين] على رسلك يا أبا عبد الله ، فإنك لا تخلص من قتل هؤلاء حتى يقتل عددهم من أهل الشام ، فما خير الحياة بعد ذلك ، وإني والله لا أُقاتل

---

(١) انظر البداية والنهاية (٧/٢٤٥).
(٢) فتح الباري (١٣/٦٧).
(٣) صحيح البخاري ، كتاب الفتنة ، باب قول النبي ﷺ : « إن ابني هذا سيد »، رقم (٧١٠٩).

حتى لا أجد من القتال بدّاً [١].

والتقى معاوية بالحسن بعد ذلك ، وتنازل الحسن بن عليّ لمعاوية بالخلافة ، فأصبح معاوية أميرًا للمؤمنين ، وسُمي هذا العام عام الجماعة ، وكان حكم الحسن لمدة ستة أشهر .

فضائله رضي الله عنه :

عن أبي بكرة قال : سمعت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول : « **إبني هذا سيّد ، ولعل الله أن يُصلح به بين فئتين من المسلمين** » [٢].

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يأخذه والحسن ويقول : « **اللهم إني أحبهما فأحبهما** » [٣].

عن عقبة بن الحارث قال : رأيت أبا بكر ويحمل الحسن وهو يقول : بأبي شبيه بالنبي ليس شبيه بعليّ وعليٌّ رضي الله عنه يضحك [٤].

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٥/٤٦٢).
(٢) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما رقم (٣٧٤٦).
(٣) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما رقم (٣٧٤٧).
(٤) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما رقم (٣٧٥٠).

خلافة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه
[من سنة ٤١ إلى سنة ٦٠ هـ]

كانت خلافة معاوية رضي الله عنه خيراً للمسلمين ، إذ انتهت مدة الفوضى والقتال وانقطع طمع الأعداء باستعادة ما أخذه منهم المسلمون ، وذلك أن المسلمين اجتمعت كلمتهم على رجل واحد ، فوجهوا قوتهم للخارج حيث رفعت راية الجهاد وعادت الفتوحات ، وسار معاوية بالناس سيرةً حسنةً ، فقرّب ما كان بعيداً ، ولم يبق في أيامه معارض له ، بل كلٌّ دخل في طاعته « إلا ما كان من شرذمة قليلة من الخوارج » ، واشتهر في عهد معاوية ما يسمّى بالصوائف والشواتي، وهي غزو الشتاء وغزو الصيف.

مكانة معاوية رضي الله عنه :

■ **سُئل ابن المبارك عن معاوية رضي الله عنه فقال** :ماذا أقول في رجل قال رسول الله ﷺ سمع الله لمن حمده فقال معاوية : ربنا ولك الحمد [(١)] .

■ **وقيل لابن المبارك :** أيهما أفضل هو أم عمر بن عبد العزيز ؟ ، فقال : لتراب في منخري معاوية مع رسول الله ﷺ خير وأفضل من عمر بن عبد العزيز [(٢)] .

■ **وسُئل المعافى بن عمران :** أيهما أفضل معاوية أم عمر بن عبد العزيز ؟ ، فغضب وقال للسائل : أتجعل رجلاً من الصحابة مثل رجل من التابعين ، معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحيه [(٣)] .

■ **وقال ابن أبي مليكة :** قيل لابن عباس رضي الله عنهما : هل لك في أمير المؤمنين معاوية ، فإنه ما أوتر إلا بواحدة . فقال : إنه فقيه [(٤)] .

---

(١) البداية والنهاية (٨/١٣٠) .
(٢) البداية والنهاية (٨/١٣٠) .
(٣) البداية والنهاية (٨/١٣٠) .
(٤) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب ذكر معاوية رقم [illegible] .

أهم الأعمال في زمنه رضي الله عنه :

﴿١﴾ أقام داراً لصناعة السفن في مصر سنة (٥٤ هـ) .

﴿٢﴾ غزو القسطنطينية سنة (٥٠ هـ) .

قال رسول الله ﷺ : « **أول جيش من أمتي يركبون البحر قد أوجبوا ، وأول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم** » ، وغزاها مرة أخرى سنة (٥٣هـ) ، وحاصرها واستمر حصارها إلى سنة (٥٧هـ) ، وتم فتح تكريت ، رودوس ، بنزرت ، سوسة ، سجستان ، قوهستان ، بلاد السند .

﴿٣﴾ بناء القيروان .

من الخلافة إلى الملك :

وعندما انتقل الأمر إلى معاوية تحوّلت الخلافة إلى الملك ، قال سفينة أبو عبد الرحمن مولى رسول الله ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « **خلافة النبوة ثلاثون سنة ، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء** » ، قال سفينة : خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر عشر سنين ، وخلافة عثمان اثنتى عشرة سنة ، وخلافة عليّ ست سنين [(١)] .

ولما نرجع إلى كتب التاريخ نجد أنهم يذكرون أن أبا بكر حكم سنتين وثلاثة شهور ، وعمر عشر سنوات وشهرين ، وعثمان اثنتي عشرة سنة ، وعليّ أربع سنوات وتسعة أشهر والحسن ستة أشهر ، ومجموعها ثلاثون سنة .

قال ابن كثير - رحمه الله - :

« تنازل الحسن في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، وذلك كمال ثلاثين سنة من وفاة النبي ﷺ » [(٢)] .

---

(١) رواه أبو داود بسند صحيح ، سُنن أبي داود ، كتاب السُّنَّة – باب في الخلفاء رقم (٤٦٤٦) ، وأحمد في مسنده (٤/٢٧٣ ، ٥/٥٠٢٤٤) .

(٢) البداية والنهاية (٨/١٧) .

وعن أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أول دينكم نبوة ورحمة ، ثم ملك ورحمة ، ثم ملك أعفر ، ثم ملك وجبروت** »[1] .

وقوله: «**أول دينكم نبوّة ورحمة** »، أي : إمامة النبي ﷺ للمؤمنين ، ثم إمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ والحسن ، ثم قال : ملك ورحمة وهو عهد معاوية ، ثم ملك أعفر من التعفير وهو الالتصاق بالتراب ، وهو ذمّ له كقولهم تربت يداك وهو ضد العلو والرفعة ، ثم ملك وجبروت ، وهذا ينضبط بما بعد معاوية سواء في ملك يزيد أو الذي بعد يزيد ، عدا عمر بن عبد العزيز .

تولى معاوية على المؤمنين وصار خليفة لهم مدة عشرين سنة تقْريبًا حتى سنة ستين من الهجرة ، ولم تكن هناك مشاكل ولكن كانت فتوحات واستقرار ، وتوفي خلال هذه الفترة الحسن بن عليّ رضي الله عنه سنة (٤٩ هـ) .

قال عمير بن إسحق : دخلت أنا وصاحب لي على الحسن بن عليّ نعوده ، فقال : لصاحبي : يا فلان سلني ؟ .

قال : ما أنا بسائلك شيئًا .

ثم قام من عندنا فدخل كنيفًا له ثم خرج فقال : أي فلان سلني قبل أن لا تسألني ، فإني والله قد لفظت طائفة من كبدي قبل قلّبتها بعود كان معي ، وإني قد سقيت السم مرارًا ، فلم أسق مثل هذا فسلني .

فقال : ما أنا بسائلك شيئًا ، يعافيك الله إن شاء الله .

ثم خرجنا فلما كان الغد أتيته وهو يسوق فجاء الحسين فقعد عند رأسه فقال : أي أخي : أنبئني من سقاك .

قال : لِمَ ؟ ، أتقتله ؟ ، قال : نعم .

---

(١) سُنن الدارمي ، كتاب الأشربة ، باب ما قيل في المسكر (٢/١١٤) ، رجاله ثقات إلا أنه قيل أن مكحولاً لم يسمع من أبي ثعلبة الخشني .

قال : ما أنا بمحدثك شيئًا ، إن يك صاحبي الذي أظن فالله أشد نقمة ولا فوالله لا يقتل بي بريء [١] .

وقيل إن التي سقته السم زوجته جعدة بنت الأشعث ولكنه لم يثبت .

قال الذهبي : هذا شيء لا يصح ، فمن الذي اطلع عليه [٢] .

وقال ابن كثير : وعندي أن هذا ليس بصحيح [٣] .

البيعة ليزيد بن معاوية :

في سنة ست وخمسين من الهجرة ، أمر معاوية الناس أن يبايعوا لابنه يزيد بعده ، وهنا عدَل معاوية عن طريقة من سبقه ، وذلك أن النبي ﷺ تـرك الأمر أو نصَّ على أبي بكر ، ثم جاء أبو بكر فنص على عمر ، ثم جاء عمر فنص على ستة ، وأخرج سعيد بن زيد ابن عمه ، وابنه عبد الله ، ثم جاء عثمان ولم ينص على أحد ثم جاء عليّ ولم ينص على أحد وتنازل الحسن لمعاوية .

فقيل لمعاويـة إما أن تتركها كما كانت على زمن النبـي ﷺ ، أو ما كان عليه أبو بكر الصديق ، واعهد بالخلافة لرجل ليس منك أو ما كان عليه عمر ، لأنه جعلها في ستة ليسوا من أهل بيته ، أو أن تترك الأمر والمسلمون يختارون، ولكن معاوية أبى إلا أن يكون الخليفة بعده يزيد .

ولعله عدل عن الوجه الأفضل لما كان يتوجس من الفتنة والشر ، إذا جعلها شورى وقد رأى الطاعة والقوة والأمن والاستقرار في الجانب الذي فيه ابنه يزيد [٤] .

---

(١) الطبقات الكبرى ، (ص ٣٣٥) رقم (٢٩٤) .
(٢) تاريخ الإسلام عهد معاوية (ص ٤٠) .
(٣) البداية والنهاية (٨/٤٤) .
(٤) انظر مقدمة ابن خلدون فصل في ولاية العهد (ص ١٦٦) .

موقف أهل السُّنة والجماعة من بيعة يزيد بن معاوية :

أهل السُّنة والجماعة يقولون إن البيعة صحيحة ، ولكنهم عابوا هذه البعية لأمرين اثنين :

الأول : قالوا : إن هذه بدعة جديدة وهي أنه جعل الخلافة في ولده فكأنها صارت وراثة بعد أن كانت شورى وتنصيص على غير القريب ، فكيف قريب وابن مباشر ، فمن هذا المنطق رُفض المبدأ بغض النظر عن الشخص فهم رفضوا مبدأ أن يكون الأمر وراثة .

الثاني : أنه كان هناك من هم أولى من يزيد بالخلافة كابن عمر وابن الزبير وابن عباس والحسين وغيرهم كثير .

قال ابن العربي: إن معاوية ترك الأفضل في أن يجعلها شورى وأن لا يخص فيها أحداً من قرابته فكيف ولداً ، وإنه عقد البيعة لابنه وبايعه الناس فانعقدت شرعاً [(١)] .

أما من وجهة نظر المبتدعة فإنهم يرون الإمامة والخلافة في علي وأبنائه فقط ، فهم لا يعيبون بيعة يزيد بذاتها وإنما يعيبون كل بيعة لا تكون لعليّ وأولاده ، وعلى هذا الأساس فهم يعيبون بيعة أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية كلها بغض النظر عن المبايع له ، لأنهم يرون أنها نص لعليّ وأبنائه إلى أن تقوم الساعة .

هل كان يزيد أهلاً للخلافة أم لا ؟ :

ذكر ابن كثير [(٢)] قصة عبد الله بن مطيع وأصحابه وأنهم مشوا إلى محمد بن الحنفية وهو ابن عليّ بن أبي طالب أخو الحسن والحسين من أبيهما فأرادوه على خلع يزيد فأبى عليهم ، قال ابن مطيع : إن يزيد بن معاوية يشرب الخمر ويترك الصلاة .

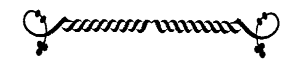
---

(١) العواصم من القواصم (٢٢٨) .
(٢) البداية والنهاية (٢٣٦/٨) .

فقال محمد : ما رأيت منه ما تذكرون وقد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواظباً على الصلاة متحرياً للخير يسأل عن الفقه ملازماً للسُّنة ، قالوا : إن ذلك كان منه تصنعاً لك ، قال محمد بن الحنفية : ما الذي خافه منى أو رجاه ؟ أفأطلعكم على ما تذكرون ؟ ، قالوا : إنه عندنا لحق وإن لم نكن رأيناه ، قال محمد بن الحنفية : أبى الله ذلك على أهل الشهادة ، ثم قرأ عليهم قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦) ﴾ . [الزخرف : ٨٦] .

فالفسق الذي نسب إلى يزيد في شخصه كشرب خمر أو ملاعبة قردة ، أو فحش أو ما شابه ذلك ، لم يثبت عنه بسند صحيح ، فهذا لا نصدقه والأصل والعدالة ونقول علمه عند ربي سبحانه وتعالى .

ولكن ظاهر رواية محمد بن الحنفية أنه لم يكن فيه شيء من ذلك ، فالعلم عند الله تبارك وتعالى في حال يزيد ، وهذا لا يهمنا فهو بينه وبين ربه تبارك وتعالى، ولو فرضنا أن الأمر كان كذلك فإن كون الإمام فاسقاً لا يعنى أنه يجب الخروج عليه بهذه الصورة التي حدثت كما سيأتي .



خلافة أمير المؤمنين يزيد بن معاوية
[من سنة ٦٠ هـ إلى ٦٤ هـ]

بويع ليزيد بالخلافة سنة ستين من الهجرة وكان عمره أربعًا وثلاثين سنة ، ولم يبايع الحسين بن عليّ ولا عبد الله بن الزبير ، وكانا في المدينة ولما طُلب منهما أن يبايعا ليزيد قال عبد الله بن الزبير : أنظر هذه الليلة وأخبركم برأيي ، فقالوا : نعم ، فلما كان الليل خرج من المدينة هارباً إلى مكة ولم يبايع .

ولما جيء بالحسين بن عليّ وقيل له : بايع ، قال : إني لا أبايع سراً ولكن أبايع جهراً بين الناس ، قالوا : نعم ، ولما كان الليل خرج خلف عبد الله بن الزبير .

أهل العراق يراسلون الحسين :

بلغ أهل العراق أن الحسين لم يبايع ليزيد بن معاوية وهم أيضاً لا يريدون يزيد بن معاوية بل ولا يريدون معاوية ، لا يريدون إلا عليّاً وأولاده ، رضي الله تبارك وتعالى عنهم ، فأرسلوا الكتب إلى الحسين بن عليّ كلهم يقولون في كتبهم : إنا بايعناك ولا نريد إلا أنت ، وليس في عنقنا بيعة ليزيد ، بل البيعة لك ، وتكاثرت الكتب على الحسين بن عليّ حتى بلغت أكثر من خمسمائة كتاب كلها جاءته من أهل الكوفة يدعونه إليهم .

عند ذلك أرسل الحسين بن عليّ ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب لتقصي الأمور هناك ، وليعرف حقيقة الأمر وجليته ، فلما وصل مسلم بن عقيل إلى الكوفة صار يسأل ، حتى علم أن الناس هناك لا يريدون يزيد بل الحسين بن عليّ ، ونزل عند هانئ بن عروة وجاء الناس جماعات ووحدانا يبايعون مسلم بن عقيل على بيعة الحسين رضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين فتَمَّت البيعة ، وكان النعمان بن بشير أميراً على الكوفة من قبل يزيد بن معاوية ، فلما بلغه الأمر أن مسلم بن عقيل

بين ظهرانيهم وأنه يأتيه الناس ويبايعونه للحسين أظهر كأنه لم يسمع شيئاً ولم يعبأ بالأمر حتى خرج بعض الذين عنده إلى يزيد في الشام وأخبروه بالأمر وأن مسلماً يبايعه الناس وأن النعمان بن بشير غير مكترث بهذا الأمر فأمر يزيد بعزل النعمان بن بشير وأرسل عبيد الله بن زياد أميراً على الكوفة ، وكان أميراً على البصرة فضم له الكوفة معها ليعالج هذا الأمر فوصل عبيد الله بن زياد ليلاً إلى الكوفة متلثماً فكان عندما يمر على الناس يسلم عليهم فيقولون وعليك السلام يا ابن بنت رسول الله يظنون أنه الحسين وأنه دخل متخفياً متلثّماً ليلاً فعلم عبيد الله بن زياد أن الأمر جد وأن الناس ينتظرون الحسين بن عليّ عند ذلك دخل القصر ثم أرسل مولى له اسمه عقيل ليتقصى الأمر ويعرف من الرأس المدبر في هذه المسألة ، فذهب على أنه رجل من حمص وأنه جاء بثلاثة آلاف دينار لمساندة الحسين رضي الله عنه فصار يسأل ، حتى دُلَّ على دار هانئ بن عروة فدخل ووجد مسلم بن عقيل وبايعه وأعطاه الثلاثة آلاف دينار وصار يتردد أياماً حتى عرف ما عندهم ورجع بعد ذلك إلى عبيد الله بن زياد وأخبره الخبر .

خروج الحسين رضي الله عنه من مكة إلى الكوفة :

بعد أن استقرت الأمور وبايع كثير من الناس لمسلم بن عقيل أرسل إلى الحسين أن أقدم فإن الأمر قد تهيأ فخرج الحسين بن عليّ رضي الله عنهما في يوم التروية وكان عبيد الله قد علم ما قام به مسلم بن عقيل فقال : عليَّ بهانئ ابن عروة ، فجيء به فسأله : أين مسلم بن عقيل ؟ ، قال : لا أدري .

فنادى مولاه عقيلاً فدخل عليه فقال : هل تعرفه ؟ ، قال : نعم ، فأسقط في يده وعرف أن المسألة كانت خدعة من عبيد الله بن زياد ، فقال له عبيد الله بن زياد عند ذلك : أين مسلم بن عقيل ؟ .

فقال : والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها ، فضربه عبيد الله بن زياد ثم أمر بحبسه ، وبلغ الخبر مسلم بن عقيل فخرج بأربعة آلاف وحاصر قصر عبيد الله بن

زياد وخرج أهل الكوفة معه ، وكان عند عبيد الله بن زياد في ذلك الوقت أشراف الناس فقال لهم : خذّلوا الناس عن مسلم بن عقيل ووعدهم بالعطايا وخوفهم بجيش الشام ، فصار الأمراء يُخذّلون الناس عن مسلم بن عقيل ، وكان قد خرج بأربعة آلاف وشعارهم يا منصور أمت ، فما زالت المرأة تأتي وتأخذ ولدها ، ويأتي الرجل ويأخذ أخاه ويأتي أمير القبيلة فينهى الناس ، حتى لم يبق معه إلا ثلاثون رجلاً من أربعة آلاف ... .

وما غابت الشمس إلا ومسلم بن عقيل وحده ذهب كل الناس عنه وبقي وحيداً يمشي في دروب الكوفة لا يدري أين يذهب فطرق الباب على امرأة من كندة فقال لها : أريد ماءاً فاستغربت منه ثم قالت له : من أنت ؟ فقال : أنا مسلم بن عقيل وأخبرها الخبر وأن الناس خذلوه ، وأن الحسين سيأتي لأنه أرسل إليه أن أقدم فأدخلته عندها في بيت مجاور وأتته بالماء والطعام ولكن ولدها قام بإخبار عبيد الله بن زياد بمكان مسلم بن عقيل فأرسل إليه سبعين رجلاً فحاصروه فقاتلهم وفي النهاية استسلم لهم عندما أمّنوه فأُخذ إلى قصر الإمارة الذي فيه عبيد الله بن زياد ، فلما دخل سأله عبيد الله بن زياد عن سبب خروجه هذا ، فقال : بيعة في أعناقنا للحسين ابن عليّ .

فقال له : إني قاتلك ، قال : دعني أوصي ، قال : نعم أوصِ فالتفت فوجد عمر ابن سعد بن أبي وقاص فقال له : أنت أقرب الناس مني رحماً تعال أوصيك ، فأخذه في جانب من الدار وأوصاه بأن يرسل إلى الحسين بأن يرجع ، فأرسل عمر بن سعد رجلاً إلى الحسين ليخبره بأن الأمر قد انقضى وأن أهل الكوفة قد خدعوه .

وقال مسلم كلمته المشهورة : ارجع بأهلك ولا يَغُرَّنَّك أهل الكوفة فإن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني وليس لكاذب رأي ... .

قُتِل عند ذلك مسلم بن عقيل في يوم عرفة ، وكان الحسين قد خرج من مكة في يوم التروية قبل قتل مسلم بن عقيل بيوم واحد .

معارضة الصحابة للحسين في خروجه :

وكان كثير من الصحابة قد حاولوا منع الحسين بن عليّ من الخروج وهـم : عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبو سعيد الخدري ، وعبد الله بن الزبير ، وأخوه محمد بن الحنفية ، كل هؤلاء لما علموا أن الحسين يريد أن يخرج إلى الكوفة نهوه ، **وهذه أقوال بعضهم :**

﴿ ١ ﴾ **عبد الله بن عباس** قال للحسين لما أراد الخروج : لولا أن يزري بي وبك الناس لشبّثت يدي في رأسك فلم أتركك تذهب [1] .

﴿ ٢ ﴾ **ابن عمر** ، قال الشعبي : كان ابن عمر بمكة فبلغه أن الحسين قد توجه إلى العراق فلحقه على مسيرة ثلاث ليال فقال : أين تريد؟ قال : العراق ، وأخرج له الكتب التي أرسلت من العراق يعلنون أنهم معه ، وقال : هذه كتبهم وبيعتهم « قد غروه رضي الله عنه وأرضاه » .

فقال ابن عمر رضي الله عنهما : إني محدثك حديثاً إن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا ، وإنك بضعة منه والله لا يَلِيَها أحد منكم أبداً وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم ، فأبى أن يرجع فاعتنقه عبد الله بن عمر وبكى ، وقال : أستودعك الله من قتيل [2] .

﴿ ٣ ﴾ **عبد الله بن الزبير** ، قال للحسين : أين تذهب ؟ تذهب إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك ، لا تذهب[3] ، فأبى الحسين إلا أن يخرج .

﴿ ٤ ﴾ **أبو سعيد الخدرى** ، قال : يا أبا عبد الله إني لك ناصح وإني عليكم مشفق، قد بلغني أنه قد كاتبكم قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك إلى الخروج إليهم ، فلا تخرج إليهم ، فإني سمعت أباك يقول في الكوفة : والله لقد

---

(١) البداية والنهاية (١٦١/٨) .

(٢) البداية والنهاية (١٦٢/٨) .

(٣) البداية والنهاية (١٦٣/٨) .

مللتهم وأبغضتهم وملوني وأبغضوني وما يكون منهم وفاء قط ، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب ، والله ما لهم نيات ولا عزم على أمر ولا صبر على سيف [١] .

﴿ ٥ ﴾ الفرزدق الشاعر وذلك بعد خروج الحسين لقي الفرزدق الشاعر فقال له : من أين ؟ قال من العراق ، قال :كيف حال أهل العراق؟ ، قال : قلوبهم معك ، وسيوفهم مع بني أمية ، فأبى إلا أن يخرج وقال : الله المستعان [٢] .

وبلغ الحسين خبر مسلم بن عقيل عن طريق الرسول الذي أرسله عمر بن سعد ، فهمَّ الحسين أن يرجع فكلم أبناء مسلم بن عقيل فقالوا : لا والله لا نرجع حتى نأخذ بثأر أبينا ، فنزل على رأيهم ، وبعد أن علم عبيد الله بن زياد بخروج الحسين أمر الحر ابن يزيد التميمى أن يخرج بألف رجل مُقَدمة ليلقى الحسين في الطريق ، فلقي الحسين قريباً من القادسية ، فقال له الحر : إلى أين يا ابن بنت رسول الله ؟! .

قال : إلى العراق ، قال : فإني آمرك أن ترجع وأن لا يبتليني الله بك ، ارجع من حيث أتيت أو اذهب إلى الشام إلى حيث يزيد لا تقدم إلى الكوفة ، فأبى الحسين ذلك ثم جعل الحسين يسير جهة العراق وصار الحر بن يزيد يعاكسه ويمنعه فقال له الحسين : ابتعد عني ثكلتك أمك .

فقال الحر بن يزيد عند ذلك : والله لو قالها غيرك من العرب لاقتصصت منه ومن أمه ولكن ماذا أقول وأمك سيدة نساء العالمين .

وصول الحسين رضي الله عنه إلى كربلاء :

عند ذلك امتنع الحسين عن المسير ثم جاءت مؤخرة الجيش وكان عددهم أربعة آلاف بقيادة عمر بن سعد وكان الحسين في مكان يقال له كربلاء فسأل ما هذه ؟ قالوا كربلاء ، فقال : كربٌ وبلاء .

---

(١) البداية والنهاية (١٦٣/٨) .
(٢) البداية والنهاية (١٦٨/٨) .

ولما وصل جيش عمر بن سعد كلَّم الحسين وأمره أن يذهب معه إلى العراق حيث عبيد الله بن زياد فأبى ، ولما رأي أن الأمر جد قال لعمر بن سعد : إني أُخيِّرك بين ثلاثة أمور فاختر منها ما شئت ، قال : وما هي؟ قال: أن تدعني أرجع ، أو أذهب إلى ثغر من ثغور المسلمين ، أو أذهب إلى يزيد حتى أضع يدي في يده بالشام .

فقال عمر بن سعد : نعم أرسل أنت إلى يزيد، وأرسل أنا إلى عبيد الله بن زياد ، وننظر ماذا يكون في الأمر ، فلم يرسل الحسين إلى يزيد، وأرسل عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد ، فلما جاء الرسول إلى عبيد الله بن زياد وأخبره الخبر وأن الحسين يقول : أخيركم بين هذه الأمور الثلاثة ، رضي عبيد الله بن زياد أي واحدة يختارها الحسين ، وكان عند عبيد الله بن زياد رجل يقال له شمر بن ذي الجوشن ، وكان من المقربين من عبيد الله بن زياد فقال : لا والله حتى ينزل على حكمك ، فاغتر عبيد الله بقوله فقال : نعم حتى ينزل على حكمى ، [يعني يأتي إلى الكوفة وأنا أُسيِّره إلى الشام أو الثغور أو أرجعه إلى المدينة] ، فقام عبيد الله بن زياد بإرسال شمر بن ذي الجوشن وقال : اذهب حتى ينزل على حكمي فإن رضي عمر بن سعد وإلا فأنت القائد مكانه .

وكان عبيد الله بن زياد قد جهز عمر بن سعد بهذه الأربعة آلاف يذهب بها إلى الري فقال له : اقض أمر الحسين ثم اذهب إلى الري وكان قد وعده بولاية الري فخرج شمر بن ذي الجوشن إلى حيث الحسين بن علي والحر بن يزيد وعمر بن سعد ، فلما جاء الخبر إلى الحسين وأنه لابد أن ينزل على حكم عبيد الله بن زياد رفض ، وقال : لا والله لا أنزل على حكم عبيد الله بن زياد أبداً .

وكان عدد الذين مع الحسين اثنين وسبعين فارساً ، وجيش الكوفة خمسة آلاف، ولما تواقف الفريقان قال الحسين لجيش ابن زياد : راجعوا أنفسكم وحاسبوها ، هل يصلح لكم قتال مثلي ؟ وأنا ابن بنت نبيِّكم وليس على وجه الأرض ابن بنت نبي

غيري ، وقد قال رسول الله ﷺ : لي ولأخي : « هذان سيدا شباب أهل الجنة »[١] .

وصار يحثهم على ترك أمر عبيد الله بن زياد والإنضمام إليه ، فانضم للحسين منهم ثلاثون فيهم الحر بن يزيد التميمي الذي كان مقدمة جيش عبيد الله بن زياد .

فقيل للحر بن زيد : أنت جئت معنا أمير المقدمة والآن تذهب إلى الحسين ، فقال : ويحكم والله إني أُخيِّر نفسي بين الجنة والنار والله لا أختار على الجنة ولو قطعت وأحرقت .

بعد ذلك صلى الحسين الظهر والعصر من يوم الخميس ، صلى بالفريقين بجيش عبيد الله بن زياد وبالذين معه ، وكان قال لهم منكم إمام ومنا إمام .

قالوا : لا ، بل نصلي خلفك ، فصلوا خلف الحسين الظهر والعصر فلما قرب وقت المغرب تقدموا بخيولهم نحو الحسين وكان الحسين محتبياً بسيفه فلما رآهم وكان قد نام قليلاً قال : ما هذا ؟ قالوا : إنهم تقدموا ، فقال : اذهبوا إليهم فكلموهم وقولوا لهم ماذا يريدون ؟ .

فذهب عشرون فارساً منهم العباس بن عليّ بن أبي طالب أخو الحسين فكلموهم وسألوهم ؟ قالوا : إما أن ينزل على حكم عبيد الله بن زياد وإما أن يقاتل .

قالوا : حتى نخبر أبا عبد الله ، فرجعوا إلى الحسين رضي الله عنه وأخبروه ، فقال : قولوا لهم أمهلونا هذه الليلة وغداً نخبركم حتى أصلي لربي فإني أحب أن أصلي لربي تبارك وتعالى .

فبات ليلته تلك يصلي لله تبارك وتعالى ويستغفره ، ويدعو الله تبارك وتعالى هو ومن معه ، رضي الله عنهم أجمعين .

---

(١) أخرجه الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب الحسن والحسين رقم (٣٧٦٨) ، وهو ضعيف من رواية الحسين ، ولكنه صحيح من رواية حذيفة وأبي سعيد وغيرهما .

وقعة الطف (سنة ٦١ هـ) :

في صباح يوم الجمعة شب القتال بين الفريقين وذلك أن الحسين رفض أن يستأسر لعبيد الله بن زياد ، وكانت الكفتان غير متكافئتين فرأى أصحاب الحسين أنهم لا طاقة لهم بهذا الجيش ، فصار همهم الوحيد الموت بين يدي الحسين بن عليّ رضي الله عنهما ، فأصبحوا يموتون بين يدي الحسين رضي الله عنه الواحد تلو الآخر حتى فنوا جميعاً ولم يبق منهم أحد إلا الحسين بن عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنه .

وبقي الحسين بعد ذلك نهاراً طويلاً لا يقْدم عليه أحد حتى يرجع لا يريد أن يُبتلى بقتله رضي الله عنه ، واستمر هذا الأمر حتى جاء شمر بن ذي الجوشن فصاح بالناس ويحكم ثكلتكم أمهاتكم أحيطوا به واقتلوه ، فجاءوا وحاصروا الحسين بن عليّ فصار يجول بينهم بالسيف رضي الله عنه وأرضاه حتى قتل منهم من قتل وكان كالسَّبُع ، ولكن الكثرة تغلب الشجاعة .

وصاح بهم شمر بن ذي الجوشن ويحكُم ماذا تنتظرون ؟!! أقدموا ، فتقدموا إلى الحسين فقتلوه رضي الله تبارك وتعالى عنه والذي باشر قتل الحسين هو سنان بن أنس النخعي وحزَّ رأسه ، وقيل إن الذي قتله شمر بن ذي الجوشن قبحه الله .

وبعد أن قُتل الحسين حُمِل رأسه إلى عبيد الله بن زياد في الكوفة ، فلما وصل الرأس إلى عبيدَ الله بن زياد جعل ينكت به « أي يضربه » ومعه قضيب يدخله في فم الحسين ويقول : إن كان لحسن الثغر . فكان أنس بن مالك جالساً فقام وقال : والله لأسُوأنَّك ، لقد رأيت رسول الله ﷺ يُقبِّل موضع قضيبك من فيه [١] .

قال إبراهيم النخعي رضي الله عنه : لو كنت فيمن قتل الحسين ، ثم أُدخلت الجنة لاستحييت أن أنظر إلى وجه رسول الله ﷺ [٢] .

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (٥/٢٠٦) رقم (٥١٠٧) ، وانظر صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب الحسن والحسين رقم (٣٧٤٨) .

(٢) المعجم الكبير (٣/١١٢) رقم (٢٨٢٩) ، وسنده صحيح .

من قُتِلَ مع الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في وقعة الطف ؟ :

قُتِل مع الحسين كثير من أهل بيته ، فممن قُتِل من أبناء عليّ بن أبي طالب الحسين نفسه ، وجعفر والعباس وأبو بكر ومحمد وعثمان .

ومن أبناء الحسين : عبد الله وعليّ الأكبر غير عليّ زين العابدين لأنه كان عنده عليّ الأصغر وعليّ الأكبر .

ومن أبناء الحسن قُتِلَ عبد الله والقاسم وأبو بكر .

ومن أبناء عقيل قُتِلَ جعفر وعبد الله وعبد الرحمن وعبد الله بن مسلم بن عقيل ومسلم بن عقيل كان قد قُتِلَ بالكوفة .

ومن أبناء عبد الله بن جعفر : قتل عون ومحمد [١] .

ثمانية عشر رجلاً كلهم من آل بيت رسول الله ﷺ قُتِلُوا في هذه المعركة غير المتكافئة .

والعجيب في هذا أن ممن قُتِلَ بين يدي الحسين بن عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أبو بكر بن عليّ وعثمان بن عليّ وأبو بكر بن الحسن ولا نجد لهم ذكراً عندما نسمع أشرطة المبتدعة ، ونقرأ كتبهم التي أُلفت في مقتل الحسين ، حتى لا يقال إن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سمي أولاده بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان ، أو أن الحسن سمي على اسم أبي بكر وهذا أمر غريب جداً منهم .

وعن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كان جبريل عند النبي ﷺ والحسين معي فبكى الحسين فتركته ، فدخل على النبي ﷺ فدنى من النبي ﷺ فقال جبريل : أتحبه يا محمد ؟ فقال : **نعم** . قال : إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها فأراه إياها فإذا الأرض يقال لها كربلاء [٢] .

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط (٢٣٤) .

(٢) فضائل الصحابة (٧٨٢/٢) رقم (١٣٩١) وهو حديث مشهور ، لكنه ضعيف من جميع طرقه عن أم سلمة رضي الله عنها .

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعت الجن تنوح على الحسين لما قُتِل [١] .

وأما ما رُوِي من أن السماء صارت تمطر دماً أو أن الجدر كان يكون عليها الدم أو ما يُرفع حجر إلا ويوجد تحته دم أو ما يذبحون جزوراً إلا صار كله دماً ، فهذه كلها من أكاذيب وترهات ليس لها سند صحيح إلى النبي ﷺ أو أحد ممن عاصر الحادثة ، ولا حتى ضعيف وإنما هي أكاذيب تذكر لإثارة العواطف أو روايات بأسانيد منقطعة ممن لم يدرك الحادثة .

عن أبي رجاء العطاردي قال : كان لنا جار من بلْهُجين [٢] فقدم الكوفة وقال ما ترون هذا الفاسق ابن الفاسق قتله الله (يعني الحسين بن علي يسميه الفاسق ابن الفاسق) يقول أبو رجاء العطاردي فرماه الله بكوكبين من السماء فطمس بصره [٣] .

وعن ابن عباس قال : رأيت النبي ﷺ في المنام بنصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه ، قلت : يا رسول الله ما هذا ؟ قال : « **دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم** » .

قال عمار راوي ذلك الحديث : فحفظنا ذلك فوجدناه قُتِل ذلك اليوم [٤] .

والنبي ﷺ يقول : « **من رآني في المنام فقد رآني** » [٥] ، وابن عباس أعلم الناس بصفة رسول الله ﷺ .

وهكذا استشهد الحسين بن علي رضي الله عنهما ، والذي أمر بقتله عبيد الله بن زياد ولكن لم يلبث هذا أن قُتِل ، قتله المختار بن أبي عبيد انتقاما للحسين ، وكان المختار ممن خذل مسلم بن عقيل فكان الحال بالنسبة لأهل الكوفة ، أنهم أرادوا أن ينتقموا

---

(١) فضائل الصحابة (٢/٧٦٦) رقم (١٣٧٣) وسنده حسن .
(٢) قبيلة من القبائل العرب .
(٣) المعجم الكبير (٣/١١٢) رقم (٢٨٣١) وسنده حسن.
(٤) فضائل الصحابة (٢/٧٧٨) رقم (١٣٨٠) ، وإسناده صحيح .
(٥) رواه البخاري ، كتاب التعبير ، باب من رأى النبي ﷺ في المنام رقم (٦٩٩٤) ، ورواه مسلم ، كتاب الرؤيا رقم (٢٢٦٦) .

من أنفسهم لأنهم :

أولاً : خذلوا مسلم بن عقيل حتى قُتل ولم يتحرك منهم أحد .

ثانياً : لما خرج الحسين لم يدافع أحد منهم عنه إلا ما كان من الحر بن يزيد التميمي ومن معه ، أما أهل الكوفة فإنهم خذلوه ولذلك تجدهم يضربون صدورهم ويفعلون ما يفعلون ، كل هذا للتكفير عن تلك الخطيئة التي ارتكبها آباؤهم كما يزعمون [(١)] .

عن عمارة بن عمير قال : لما جيء برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه نُضِّدت [أي صُفَّت] في المسجد في الرحبة يقول : فانتهيت إليهم وهم يقولون قد جاءت قد جاءت فإذا حية قد جاءت تتخلل الرؤوس حتى دخلت في منخري عبيد الله بن زياد ، فمكثت هنيهة ثم خرجت حتى تغيبت ، ثم قالوا : قد جاءت قد جاءت ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً [(٢)] .

وهذا انتقام من الله تبارك وتعالى من هذا الرجل الذي ساهم مساهمة كبيرة في قتل الحسين بن علي رضي الله تبارك وتعالى عنه .

ما حكم خروج الحسين ؟ :

لم يكن في خروج الحسين رضي الله عنه لا مصلحة دين ولا مصلحة دنيا ، ولذلك نهاه أكبر الصحابة في ذلك الوقت ، بل بهذا الخروج نال أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله ﷺ حتى قتلوه مظلوماً شهيداً ، وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن يحصل لو قعد في بلده ، ولكنه أمر الله تبارك وتعالى ، ما قدَّر الله تبارك وتعالى كان ولو لم يشأ الناس .

---

(١) وجيش المختار الذى انتقم للحسين سمى نفسه جيش التوابين اعترافاً منهم بتقصيرهم تجاه الحسين وهذا بداية ظهور الشيعة كمذهب سياسي ، أما الشيعة كمذهب عقائدي وفقهي فإنه متأخر جداً بعد انقضاء دولة بني أمية بزمن .

(٢) جامع الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب الحسن والحسين رقم (٣٧٨٠) وإسناده صحيح

وقتل الحسين ليس هو بأعظم من قتل الأنبياء ، وقد قُدِّم رأس يحيى بن زكريا صلوات الله وسلامه عليهما جهراً لبغيّ ، وقُتِل زكريا وأرادوا قتل موسى ، وأرادوا قتل عيسى، وقتلوا غيرهم من الأنبياء ، وكذلك قُتل عمر ، وقُتل عثمان ، وقُتل عليّ ، وهؤلاء كلهم أفضل من الحسين رضي الله عنهم وأرضاهم ، فلذلك لا يجوز للإنسان إذا تذكر مقتل الحسين أن يقوم باللطم والشق وما شابه ذلك ، بل كل هذا منهي عنه ، فإن النبي ﷺ قال : « ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب » [(١)] .

وقال ﷺ : « أنا بريءٌ من الصالقة والحالقة والشاقة » [(٢)] .

والصالقة هي التي تصيح ، والحالقة التي تحلق شعرها ،والشاقة التي تشق جيبها .

وقال ﷺ : « إن النائحة إذا لم تتب فإنها تلبس يوم القيامة درعاً من جرب وسربالاً من قطران » [(٣)] .

فالواجب على المسلم إذا جاءت أمثال هذه المصائب أن يقول كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) ﴾ [البقرة : ١٥٦] .

موقف الناس من قتل الحسين :

الناس في قتل الحسين على ثلاث طوائف :

الطائفة الأولى :

يرون أن الحسين قتل بحق وأنه كان خارجاً على الإمام ، وأراد أن يشق عصى المسلمين ، وقالوا : قال رسول الله ﷺ : « من جاءكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يفرق جماعتكم فاقتلوه كائناً من كان » [(٤)] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ليس منا من شق الجيوب رقم (١٢٩٤)

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان رقم (١٦٧).

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز (٩٣٤).

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة رقم (١٨٥٢).

والحسين أراد أن يفرق جماعة المسلمين والرسول ﷺ قال : « **كائناً من كان اقتلوه** » ، فكان قتله صحيحاً ، هذا قول الناصبة الذين يبغضون الحسين بن عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنه وعن أبيه .

الطائفة الثانية :

قالوا : هو الإمام الذي تجب طاعته وكان يجب أن يُسلّم إليه الأمر .

والطائفة الثالثة :

وهم أهل السُّنة والجماعة قالوا : قُتِل مظلوماً ولم يكن مُتولّياً للأمر ، أي لم يكن إماماً ولا قُتل خارجياً رضي الله عنه بل قتل مظلوماً شهيداً ، كما قال النبي ﷺ : « **الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة** » [١] .

وذلك أن الحسين أراد الرجوع أو الذهاب إلى يزيد في الشام ولكنهم منعوه حتى يستأسر لابن زياد .

موقف يزيد من قتل الحسين :

لم يكن ليزيد يد في قتل الحسين وليس هذا دفاعاً عن يزيد ولكنه دفاع عن الحق ، أرسل يزيد عبيد الله بن زياد ليحولَ بين الحسين والوصول إلى الكوفة ، ولم يأمره بقتله ، بل الحسين نفسه كان حسن الظن بيزيد حتى قال : دعوني أذهب إلى يزيد فأضع يدي في يده .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

إن يزيد بن معاوية لم يأمر بقتل الحسين باتفاق أهل النقل ، ولكن كتب إلى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق ، ولما بلغ يزيد قتل الحسين أظهر التوجع على ذلك وظهر البكاء في داره ، ولم يسْبِ لهم حريماً بل أكرم أهل بيته وأجازهم حتى ردَّهم

---

(١) أخرجه الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب الحسن والحسين (٣٧٦٨) .

إلى بلادهم ، أما الروايات التي في كتب المبتدعة أنه أُهين نساء آل بيت رسول الله ﷺ وأنهن أُخذن إلى الشام مَسبيَّات ، وأُهِنَّ هناك ، هذا كله كلام باطل ، بل كان بنو أمية يُعظِّمون بني هاشم ، وذلك لما تزوج الحجاج بن يوسف فاطمة بنت عبد الله بن جعفر لم يقبل عبد الملك بن مروان هذا الأمر وأمر الحجاج أن يعتزلها ويطلقها ، فهم كانوا يعظمون بني هاشم ، بل لم تُسْبَ هاشمية قط [(١)] .

فالهاشميات كن عزيزات مكرمات في ذلك الزمن ، فالكلام الذي يقال عن يزيد أنه سبى نساء أهل بيت رسول الله ﷺ باطل مكذوب .

وما ذُكر أن رأس الحسين أرسل إلى يزيد فهذا أيضاً ، لم يثبت ، بل إن رأس الحسين بقي عند عبيد الله في الكوفة ، ودفن الحسين ولا يعلم قبره ، ولكن المشهور أنه دفن في كربلاء حيث قتل رضي الله تبارك وتعالى عنه .

ما موقف أهل السنّة والجماعة من يزيد بن معاوية ؟ :

لعل من أهم الأمور التي وقعت زمن يزيد وقعة الحرة ، وقتال عبد الله بن الزبير وقتل الحسين بن عليّ .

وبسببها هناك من يُجوِّز لعن يزيد بن معاوية ، وهناك من يمنع ، **والذي يُجوِّز لعن يزيد بن معاوية يحتاج أن يثبت ثلاثة أمور :**

الأمر الأول : أن يثبت أن يزيد كان فاسقاً .

الأمر الثاني : أن يُثبت أنه لم يتب من ذلك الفسق فإن الكافر إذا تاب تاب الله عليه فكيف الفاسق .

الأمر الثالث : أن يثبت جواز لعن المُعيَّن .

ولا يجوز لعن الميت المُعَيَّن الذي لم يلعنه الله ولا رسوله ، لأنه قد ثبت عن

---

(١) منهاج السُّنة (٥٥٧/٤ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩)

النبي ﷺ أنه لما سُبَّ أبو جهل قال : « لا تسبوا الأموات ، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدَّموا » [١] .

ودين الله لم يقم على السب ، وإنما قام على مكارم الأخلاق ، فالسب ليس من دين الله تبارك وتعالى في شيء بل قال الرسول ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » [٢] .

فسباب المسلم فسوق ولم يقل أحد أن يزيد خارج من ملة الإسلام ، بل أكثر ما قيل فيه إنه فاسق وهذا كما قلنا مبنيٌّ على ثبوت ما ذكروه عنه من فسق وعلمه عند الله تبارك وتعالى ، بل إنه قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « أول جيش يغزون مدينة قيصر مغفور لهم » [٣] .

وكان هذا الجيش بقيادة يزيد بن معاوية ، ويُذكر أنه كان معه من سادات الصحابة ابن عمر وابن الزبير وابن عباس وأبو أيوب وذلك سنة (٤٩ هـ) .

قال ابن كثير - رحمه الله - :

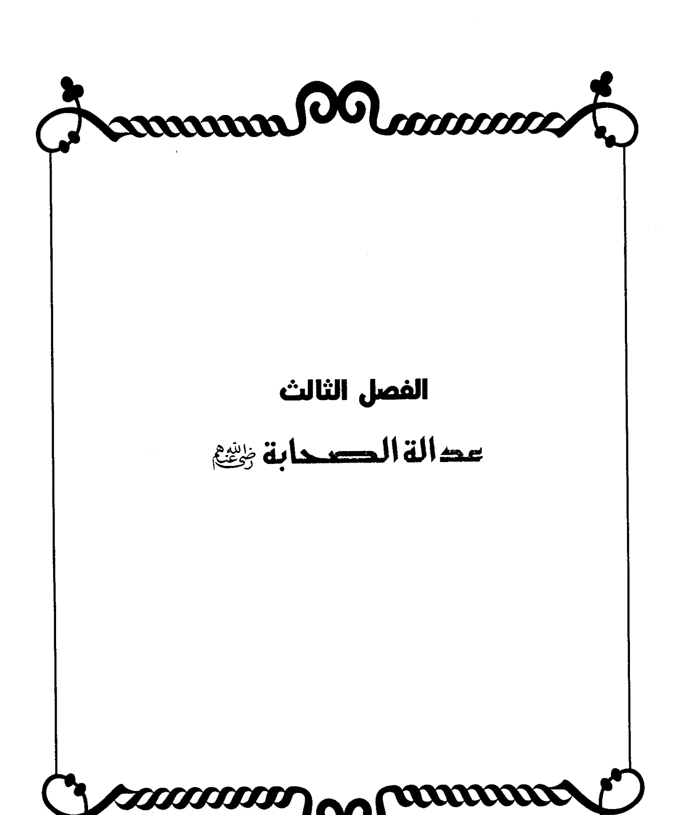
قد أخطأ يزيد خطأ فاحشاً في قوله لأميره مسلم بن عقبة في وقعة الحرة أن يبيح المدينة ثلاثة أيام مع ما انضم إلى ذلك من قتل خلق من الصحابة وأبنائهم [٤] .

فخلاصة القول :

أن أمره إلى الله تبارك وتعالى وهو كما قال الذهبي : لا نسبُّه ولا نُحبُّه [٥] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ما ينهى عن سب الأموات رقم (١٣٩٣) .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله رقم (٤٨) ، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان رقم (١١٦) .
(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب ما قيل فى قتال الروم رقم (٢٩٢٤) .
(٤) البداية والنهاية (٢٢٥/٨) .
(٥) سير أعلام النبلاء (٣٦/٤) .



الفصل الثالث

عدالة الصحابة رضي الله عنهم



الفصل الثالث

عدالة الصحابة [رضي الله عنهم]

تعريف الصحابي لغة :

نسبة إلى صاحب وله في اللغة معان تدور حول الملازمة والانقياد [١] .

تعريف الصحابي إصطلاحاً :.

من لقي النبي مؤمناً به ومات على الإسلام [٢] .

وهناك تعاريف أخرى ، والصحابة يتفاوتون في ملازمتهم للنبي ﷺ وفي فضلهم عند الله تبارك وتعالى .

عدالة الصحابة رضي الله عنهم :

وعدالة الصحابة أمر متقرر عند أهل السُّنة والجماعة وسيأتي ذكر أقوال أهل العلم من أهل السُّنة والجماعة في عدالة أصحاب محمد ﷺ .

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) ﴾[الفتح : ١٨] .

بين الله تبارك وتعالى أنه قد رضي عن المؤمنين الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة ، إذ علم ما في قلوبهم من الإيمان والصدق ، فأنزل السكنية عليهم في ذلك الوقت ، فهذه شهادة من الله تبارك وتعالى على صدق إيمان أولئك القوم الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة بيعة الرضوان .

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ،

---

(١) لسان العرب (١/٥١٩) .
(٢) الإصابة (١/١٠) .

إلا صاحب الجمل الأحمر »[1] .

وكان هذا من المنافقين الذين خرجوا مع النبي ﷺ واسمه الجد بن قيس وكان عدد الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة ألف وأربعمائة وقيل ألف وخمسمائة شهد الله لهم بالإيمان وأثبت أن قلوبهم توافق ظاهرهم ، وأنه ليس فيهم منافق إلا رجلاً واحداً أخبر عنه النبي ﷺ كان معهم ، ولكن لم يبايع النبي ﷺ ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) ﴾[الحديد : ١٠]، أي وعد الذين أنفقوا وقاتلوا من قبل الفتح الحسنى،ووعد الذين أنفقوا وقاتلوا من بعد الفتح الحسنى، ومصداق هذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣) ﴾ .
[الأنبياء : ١٠١ - ١٠٣] .

فهذه أيضاً شهادة ثانية من الله تبارك وتعالى لعموم أصحاب النبي ﷺ سواء منهم من آمن وأنفق من قبل الفتح ، أم من آمن وأنفق من بعد الفتح .

وقال الله تبارك وتعالى عند ذكر مصارف الغنيمة : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) ﴾[الحشر : ٨] وقوله : ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ كلام عن أعمال القلوب أثبته الله تبارك وتعالى لهم ، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب في فضل من بايع تحت الشجرة رقم (٣٨٦٣) ، وأصله في مسلم ، كتاب فضائل الصحابة (٦٤٩٦) .

مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) ﴾ [الحشر : ٩] .

وقال جل وعلا عن أمة محمد ﷺ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، ويستحيل أبداً أن تكون هذه الأمة التي أخبر الله تبارك وتعالى أنها خير أمة أخرجت للناس ، يستحيل أن تكون كما تقول بعض الطوائف الضالة : إن المهاجرين والأنصار كلهم ارتدوا إلا ثلاثة [1] ، الذين يرتدون جميعاً ولا يبقى منهم إلا ثلاثة ، لا يقول الله فيهم إنهم خير أمة أُخرجت للناس .

وقال النبي ﷺ : « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه » [2] .

وقال الرسول ﷺ : « يُدعى نوح يوم القيامة فيقول : لبيك وسعديك يا رب ، فيقول : الله له : هل بلَّغت ؟ فيقول : نعم . فيُقال لأمة نوح : هل بلَّغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير ، فيقول الله لنوح: من يشهد لك أنك بلَّغت ؟ فيقول : محمد وأمته ، فيشهدون لنوح عليه الصلاة والسلام » وقال النبي ﷺ : وذلك عند قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

ثم قال النبي ﷺ مفسراً هذه الآية « الوسط العدل » [3] .

وهذا التفسير من النبي نفسه ﷺ ، الوسط العدل فهذا إثبات من الله تبارك وتعالى أن هذه الأمة أمة عادلة معدلة من الله تبارك وتعالى .

---

(١) أصول الكافي (٢/٢٤٤) .

(٢) رواه مسلم فضائل الصحابة (٢٥٤٠) .

(٣) صحيح البخاري ، التفسير ، باب وكذلك جعلناكم أمة وسطاً رقم (٤٤٨٧) .

وكذلك من الأمور التي تدل على عدالة أصحاب النبي ﷺ بشكل مجمل وعام ما قام به أهل العلم من تمحيص الروايات التي رواها أصحاب النبي ﷺ فما وجدوا صحابياً كذب كذبة واحدة على النبي ﷺ بل مع انتشار البدع في آخر عهد الصحابة ﷺ كبدعة القدرية والشيعة والخوارج لم يكن صحابيٌّ واحد من أولئك القوم أبداً وهذا دليل على أن الله اصطفاهم واختارهم لصحبة نبيه ﷺ [(١)] .

ثم كذلك لابد من التنبيه على أمر مهم هو أنه لا يلزم من العدالة العصمة ، نحن وإن كنا نقول بعدالة أصحاب النبي ﷺ ، ولكننا لا نقول بعصمتهم فهم بشر ، وقد قال النبي ﷺ : « **كل ابن آدم خطاء** » [(٢)] فهم من أولاد آدم خطَّاءون يخطئون ويصيبون ، وإن كانت أخطاؤهم مغمورة في بحور حسناتهم رضي الله تبارك وتعالى عنهم وأرضاهم .

قال ابن عبد البر - رحمه الله - : أجمع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السُّنة والجماعة على أنهم كلهم عدول [(٣)] .

وقال ابن حجر العسقلاني - رحمه الله - : اتفق أهل السُّنة على أن الجميع عدول ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة [(٤)] .

وكذا نقل العراقي والجويني وابن الصلاح وابن كثير وغيرهم إجماع المسلمين على أن أصحاب النبي ﷺ كلهم عدول [(٥)] .

---

(١) قال عبد الله بن مسعود ﷺ : إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ، فوجد قلوب الصحابة خير القلوب فجعلهم وزراء نبيه » مسند أحمد (٣٧٩/١) .

(٢) مسند أحمد (١٩٨/٣) .

(٣) الاستيعاب (٨٠/١) .

(٤) الإصابة (١٧/١) .

(٥) انظر لتفصيل ذلك كتاب صحابة رسول الله ﷺ في الكتاب والسُّنة ، الباب الرابع ، مبحث عدالة الصحابة .

قال الخطيب البغدادي : على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه [١] ، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المُهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين القطع على عدالتهم والاعتقاد على نزاهتم وأنهم أفضل من المعدّلين والمزكّين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين [٢] .

من طعن في عدالة الصحابة ؟ :

الذين طعنوا في عدالة أصحاب النبي ﷺ أربع فرق :

الفرقة الأولى : الشيعة .

الفرقة الثانية : الخوارج .

الفرقة الثالثة : النواصب .

الفرقة الرابعة : المعتزلة .

وكل هؤلاء لا يؤثرون في إجماع المسلمين لأنهم لا يعتد بخلافهم .

وحججهم في طعنهم في أصحاب النبي ﷺ ما يأتي :

أولاً : قالوا : وقوع المعاصي من بعض أصحاب النبي ﷺ .

ثانياً : قالوا : من الصحابة من هو منافق بنص القرآن والسُّنة .

ثالثاً : قالوا : يلزم من العدالة المساواة في المنزلة وإذا كانت المساواة في المنزلة منفية عندنا جميعاً فكذلك العدالة تكون منفية .

رابعاً : قالوا : لا يوجد دليل على عدالة كل أصحاب النبي ﷺ .

الجواب : أما وقوع المعاصي من بعضهم فقد ذكرنا أن وقوع المعاصي لا يضر

---

(١) يقصد الأدلة التي ذكرها والتي تدل على عدالة الصحابة .
(٢) الكفاية في علم الرواية ص (٩٦) .

بعدالتهم وإنما نقول هم عدول وغير معصومين .

وأما قولهم إن من الصحابة من هو منافق فهذا كذب والمنافقون ليسوا من الصحابة ، فتعريف الصحابي هو من تجد أنه من لقي النبي ﷺ وهو مؤمن به ومات على ذلك ، والمنافقون لم يلقوا النبي ﷺ مؤمنين ولا ماتوا على الإيمان ، فلا يدخلون في هذا التعريف .

أما قولهم يلزم من العدالة أن يتساووا في المنزلة فهذا غير صحيح ولا يلزم ، بل نحن نقول عدول وبعضهم أفضل من بعض ، فأبو بكر أفضل من جميع أصحاب النبي ﷺ ، وبعده عمر ، وبعده عثمان ، وبعده عليّ ، وبعده بقية العشرة ، ثم يأتي أهل بدر ، فأهل بيعة الرضوان ، وهكذا فالقصد أن الصحابة رضي الله عنهم لا يتساوون في الفضل كما قال تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) ﴾ .

[الحديد : ١٠] .

وإذا كان الأنبياء لا يتساوون في الفضل كما قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] . فالصحابة رضي الله عنهم كذلك ، وأما قولهم إنه لا يوجد دليل على عدالة كل الصحابة ، فقد مرت بعض الأدلة من القرآن والسُّنة ، ولا شك أن المبتدعة قد استدلوا ببعض الأدلة ، ولكن نحن نذكر قبل ذكر هذه الأدلة قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٧) ﴾ [آل عمران : ٧] .

فالذين قالوا بعدم عدالة الصحابة لهم شبهات من كتاب الله ، ولهم شبهات من سُنة النبي ﷺ .

وفيما يأتي تفصيل هذه الشبهات والرد عليها :

الشبهة الأولى : شبهات حول الصحابة وردّها :

يطالعنا بها أهل البدع في حديث النبي ﷺ عن الحوض ، فقال : « **يردُ عليَّ رجال أعرفهم ويعرفونني فيذادون عن الحوض فأقول أصحابي أصحابي فيقال : إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك** »[(١)] ، هذا الحديث له طرق كثيرة وروايات كثيرة ، منها « **إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليَّ منكم وسيؤخذ أُناس دوني فأقول يارب مني ومن أمتي فيقال : أما شعرت ما عملوا بعدك ، والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم** » قال ابن أبي مليكة أحد رواة الحديث : اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا .

والرواية الثانية : « **أنا فرطكم على الحوض – أي أسبقكم على الحوض – ولأُنازعنَّ أقواماً ثم لأُغلبن عليهم فأقول يارب أصحابي أصحابي فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعد** » وهذان الحديثان أخرجهما الإمام مسلم في صحيحه[(٢)] .

وتوجيه الرد على هذه الشبهة :

أولاً : إن المراد بالصحابة هنا هم المنافقون ، الذين كانوا يظهرون الإسلام في عهد النبي ﷺ كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) ﴾ [المنافقون : ١] ، وأولئك من المنافقين الذين لم يكن يعلمهم النبي ﷺ كما قال جل وعلا : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب كما بدأنا أول خلق نعيده ، رقم (٤٧٤٠) ، وكتاب الفتنة ، باب قول الله واتقوا فتنة .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الطهارة رقم (٢٤٩) .

نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١) ﴾ [التوبة : ١٠١] ، فهؤلاء من المنافقين الذين كان يظن النبي ﷺ أنهم من الصحابة ولم يكونوا كذلك .

ثانياً : المراد بهم الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ فقد ارتد كثير من العرب بعد وفاته ﷺ فأولئك الذين كان النبي ﷺ يقول : « **أصحابي فيقال له : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، إنهم لم يزالوا مرتدين على أدبارهم منذ فارقتهم** » .

ثالثاً : المراد المعنى العام أي كل من صحب النبي ﷺ ولو لم يتابعه فلا يدخلون تحت المعنى الاصطلاحي لكلمة صحابي ، ويدل على هذا أن النبي ﷺ لما قال عبد الله بن أُبي بن سلول : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، وعبد الله بن أُبي بن سلول كان رأس المنافقين في مدينة رسول الله ﷺ فلما نُقل لعمر هذا الكلام قال يا رسول دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبي ﷺ : « **دعه ، لا يتحدث الناس إن محمداً يقتل أصحابه** » [1] .

فجعله النبي ﷺ من أصحابه ولكن هذا على المعنى اللغوي لا على المعنى الاصطلاحي ، لأن عبد الله بن أُبي بن سلول رأس المنافقين وكان ممن فضحه الله تبارك وتعالى وكان ممن أظهر نفاقه جهرة .

رابعاً : قد يراد بكلمة أصحابي كل من صحب النبي ﷺ على هذا الطريق ولو لم يره ويدل على هذا رواية « **أمتي ، أمتي** » أو « **إنهم أمتي** » .

وأما قول النبي ﷺ أعرفهم ، فالنبي ﷺ قد بيَّن أنه يعرف هذه الأمة فقيل له يارسول الله كيف تعرفهم ولم ترهم ؟ فيقول: « **إني أعرفهم من آثار الوضوء** » [2] ،

---

(١) صحيح البخاري ، حديث رقم (٤٦٢٢) (٤/١٨٦١) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الطهارة : باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء رقم (٣٦٧) .
وهذا نصه : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال : « **السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا إن شاء الله بكم لاحقون ، وددت أنا قد رأينا إخواننا** » قالوا : يا رسول الله أولسنا إخوانك ؟ قال : « **أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد** » فقالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : « **أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله ؟** » =

ويؤكد هذا فهم ابن أبي مليكة راوي الحديث عندما قال : « اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا » وهو من التابعين .

ثم بعد ذلك كله الحديث لا يستدل به الخوارج ولا النواصب ولا المعتزلة وإنما يستدل به الشيعة على ارتداد أصحاب النبي ﷺ ، فيقال لهم : وما الذي يُخرج عليّاً والحسن والحسين وحمزة والعباس وغيرهم من أهل بيت النبي ﷺ ما الذي يمنع من أن يكونوا هم الذين ارتدوا ؟ .

ونحن لا نقول بردتهم وحاشاهم بل نحن نقول بإمامتهم ونقول بأنهم من أهل الجنة كما قال النبي ﷺ عن علي رضي الله عنه لما كانوا على حراء « **اثبت حراء فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد** » [1] ، وكان عليّ مع النبي ﷺ وهو من أهل الجنة .

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال عن الحسن والحسين رضي الله عنهما : « **سيدا شباب أهل الجنة** » [2] .

فإن قيل إن أبا بكر وعمر وأبا عبيدة وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ من الذين يذادون عن الحوض فما الذي يمنع النواصب أن يقولوا إن عليّا أيضاً ممن يذاد عن الحوض، وإن قيل ثبتت فضائل لعليّ فسيقال ثبتت فضائل أكثر منها لأبي بكر وعمر.

الشبهة الثانية :

الشبهة الثانية في قوله تعالى : ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ**

= قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض ، ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال ، أناديهم ألا هلم ، فيقال : إنهم قد بدلوا بعدك ، فأقول : سحقاً سحقاً » .

(١) سنن أبي داود (٤٦٤٨) سنن الترمذي (٣٦٩٩) ، سُنن النسائي الكبرى (٨١٥٦) سُنن ابن ماجه (١٣٤) صحيح ابن حبان (٦٩١٦) ، مسند أحمد (٢٢٤٢٧) البحر الزخار (١٢٦٣) ، ومصنف ابن أبي شيبة (٢٦) .

(٢) سنن الترمذى (٣٧٦٨) ، سُنن ابن ماجه (١١٨) ، مُسند أحمد (١٠٦١٦) .

فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾ [الفتح : ٢٩] .

ظاهر هذه الآية مدح لأصحاب النبي ﷺ ، ولكن كما قال الله سبحانه وتعالى في الآية التي ذكرناها قبل قليل : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧) ﴾ [آل عمران : ٧] ، ذهبوا إلى آخر كلمات في هذه الآية الكريمة وهي قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٩] ، ﴿ مِنْهُم ﴾ ، أي من بعضهم فقالوا ﴿ مِنَ ﴾ ، هنا للتبعيض فالله وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم فبعضهم يدخل الجنة وبعضهم لا .

وهذا من التلبيس والكذب ، بل إن بعضهم تجاوز هذا الأمر ونقل إجماع المفسرين على أن ﴿ مِنَ ﴾ هنا تبعيضية أي من بعضهم [(١)] ، وهذا كذب لأمور كثيرة منها : أولاً : إن ﴿ مِنَ ﴾ هنا على قول علماء التفسير ليست للتبعيض أي ليس ﴿ مِنْهُم ﴾ أي من بعضهم أبداً وإنما ﴿ مِنْهُم ﴾ تأتي على معنين ، المعنى الأول أي من جنسهم وأمثالهم كما قال الله تبارك وتعالى ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) ﴾ [الحج : ٣٠] ، ولا يعني الله تبارك وتعالي أن نجتنب بعض الأوثان ونترك بعضها لا نجتنبها ، بل المطلوب أن نجتنب جميع الأوثان فقول الله ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ ، أي اجتنبوا الرجس من أمثال هذه الأوثان « أو » تكون ﴿ مِنَ ﴾ ، هنا مؤكدة كما قال الله تبارك وتعالى :

---

(١) ... ثم اهتديت (١١٧) .

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا (٨٢) ﴾ [الإسراء : ٨٢] ، ليس معناها أن بعضه شفاء ورحمة وبعضه الآخر ليس كذلك ، أبداً ، بل القرآن كله شفاء ورحمة ، فـ ﴿ مِنَ ﴾ ، مؤكدة ، أي أن القرآن كله شفاء ورحمة ، فكذلك هذه الآية فقول الله تبارك وتعالى : ﴿ مِنْهُم ﴾ ، أي من أمثالهم أو ﴿ مِنْهُم ﴾ ، للتأكيد عليهم ﷺ .

ثم انظر إلى سياق الآية ، كُلُّها مدح ليس فيها ذم لبعضهم بل مدح لكلهم كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ ، هذا في ظاهرهم فزكى الله ظاهرهم بالسجود والركوع والذل له ، وزكى باطنهم في قوله تبارك وتعالى : ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ ، لا كما قال عن المنافقين : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٤٢) ﴾ [النساء : ١٤٢] ، انظر كيف وصف المنافقين لم يزك باطنهم بل كذبهم في باطنهم مع أن ظاهرهم أنهم يصلون مع المؤمنين ، أما أصحاب النبي ﷺ فإن الله تبارك وتعالى قال : ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ .

والقول إن ﴿ مِنْهُم ﴾ أي: من جنسهم ، أو للتأكيد على حالهم قول جمهور المفسرين ، بل كل المفسرين من أهل السُّنة كتفسير : النسفي ، وابن الجوزي ، وابن الأنباري ، والزمخشري ، و الزجاج ، والعكبري ، والنيسابوري ، و ابن كثير ، والطبري ، وغيرهم كل هؤلاء لما تكلموا عن هذه الآية قالوا : إن ﴿ مِن ﴾ ، هنا مؤكدة أو مجنسة وليست من التبعيضية ، كما يدعي بعضهم [1] .

---

(١) وانظر إعراب القرآن وصرفه وبيانه تأليف محمود صافي ، ص (٢٧٢) .

الشبهة الثالثة :

أن النبي ﷺ لما خرج إلى عمرة الحديبية وبعد أن عقد الصلح مع قريش رجع ولم يعتمر فأمر أصحابه أن يحلقوا وينحروا فلم يستجب الصحابة لأمره ﷺ ثم انطلق حتى دخل على أمِّ سلمة غضبان ، فرأت الغضب في وجهه فقالت : من أغضبك أغضبه الله ؟ ، فقال : « **ومالي لا أغضب وأنا آمر بالأمر فلا أُتبع** » [١] .

فقال أولئك القوم – أي المبتدعة – إن أصحاب النبي ﷺ أغضبوه وأمثال هؤلاء يستحيل أن يكونوا من العدول .

فنقول أولاً : إن أصحاب النبي ﷺ في هذه القصة نفسها ، وهو ما ذكره عروة ابن مسعود عنهم أنه ما كان يتفل النبي ﷺ تفلة إلا تلقفوها قبل أن تسقط على الأرض ، ويقول دخلت على قيصر في ملكه وكسرى في ملكه والنجاشي في ملكه ، فما رأيت أحداً يعظم أحداً في ملكه كما يعظم أصحاب محمدٍ محمداً ﷺ [٢] .

فالأمر ليس معصية من أصحاب النبي ﷺ ، ولكنهم كان لهم شوق لبيت الله الحرام ، وتمنوا لو غيَّر النبي ﷺ رأيه أو أن ينزل الله تبارك وتعالى شيئاً من الوحي يأمر النبي ﷺ أن يدخل مكة ، ولذلك تأخروا في تنفيذ أمر النبي ﷺ ، والذي يدل على هذا حكمة أم سلمة رضي الله عنها وأرضاها ، وذلك لما رأت هذا الأمر قالت للنبي ﷺ : فاحلق أنت وانحر هديك .

فخرج النبي ﷺ فحلق ونحر هديه ، عند ذلك حلق ونحر جميع الصحابة رضي الله عنهم دون أمر جديد ، إذاً الأمر لم يكن معصية ، فبمجرد أن رأوا النبي ﷺ حلق ونحر علموا أن الأمر قد انتهى وأنه لا مجال للرجوع ، ولذلك حلقوا ونحروا واستجابوا لأمر الله تبارك وتعالى حتى أنزل الله تبارك وتعالى فيهم ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ**

---

(١) سُنن النسائي الكبرى (١٠٠١٧) ، سُنن ابن ماجه (٢٩٨٢) ، مُسند أحمد (١٨٠٥٢) ، أبو يعلى (١٦٧٢) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد رقم (٢٥٨١) .

يُبايعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ١٨] ، وأنزل قوله تبارك وتعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾[الفتح : ٢٩] ، فأنزل سورة الفتح كاملة بعد صلح الحديبية وسماه فتحاً ، وهو الفتح الحقيقي الذي فتح الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ .

ثم كذلك نقول إن هذا الأمر لم يستدل به إلا الشيعة ، فالنواصب والخوارج والمعتزلة لم يستدلوا بهذا ، وأيضاً الخوارج إنما يُكفّرون بعض أصحاب النبي ﷺ الذين وقع بينهم القتال ، والمعتزلة هم الذين يطعنون في عدالة أصحاب النبي ﷺ الذين شاركوا في الفتن ، أي في صفين والجمل .

فنقول للشيعة : أعليٌّ كان معهم أم لا ؟ .

بإجماع السُّنة والشيعة أن علياً رضي الله عنه كان معهم بل هو الذي كتب كتاب الصلح بين النبي ﷺ وسهيل بن عمرو ، وعليّ كذلك لم ينحر ولم يحلق فما كان ذمّاً لأصحاب النبي ﷺ فهو ذمٌّ لعلي رضي الله عنه ونحن نقول بعدم الذم لعليّ ولا لأصحاب النبي ﷺ ، وعليّ كذلك هنا رفض أمر النبي ﷺ بمحو اسمه ، وهل يُذمّ على ذلك ؟! .

الشبهة الرابعة :

قالوا : إن النبي ﷺ جهز جيش أسامة وكان من ضمن الجيش أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وجُلُّ الصحابة رضي الله عنهم وقال النبي ﷺ : « **لعن الله من تخلف عن جيش أسامة** »

فلما مات النبي ﷺ خرج جيش أسامة ، فلم يخرج معه أبو بكر ولا عمر قالوا فهما ملعونان على لسان رسول الله ﷺ .

أولاً : نقول هذا كذب فإنه لم يثبت عن النبي ﷺ أنه قال : لعن الله من تخلف عنه ، نعم جهَّز النبي ﷺ جيش أسامة ولكن لم يلعن من تخلف عنه .

ثانياً : لم يكن أبو بكر الصديق من ضمن جيش أسامة ، كيف وأبو بكر الصديق كان يصلي بالمسلمين في مرض النبي ﷺ اثني عشر يوماً فكيف يخرجه ويأمره بالصلاة بالمسلمين أيضاً ؟ ، أما عمر فكان من ضمن جيش أسامة فلما توفي النبي ﷺ ولم يخرج بعدُ جيش أسامة ذهب أبو بكر الصديق لأسامة بن زيد فسأله أن يبقي عمر ليستشيره في أموره ، وهذا من عظيم خلق أبي بكر الصديق ، وإلا يستطيع أن يبقي عمر بن الخطاب بدون إذن أسامة رضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين ، فأذن له فبقي عمر مع أبي بكر الصديق ، هذه قصة أسامة لا كما يدعون [١] .

الشبهة الخامسة :

لما توفي النبي ﷺ ارتد أكثر العرب عن دين الله فأرسل أبو بكر الجيوش لمحاربة المرتدين وكان من أولئك القادة العظام خالد بن الوليد رضي الله عنه ، أرسله أبو بكر الصديق لقتال مسيلمة الكذاب الذي ادعي النبوة وانتصر خالد بن الوليد رضي الله عنه في معركة عظيمة يقال لها معركة الحديقة ، وبعد ذلك صال خالد بن الوليد في القبائل العربية التي ارتدت عن دين الله تبارك وتعالى ، إن عادوا إلى الدين وإلا قاتلهم رضي الله تبارك وتعالى عنه .

وكان من الذين جاءهم خالد بن الوليد ، قوم مالك بن نويرة وكانوا قد منعوا زكاة أموالهم لم يدفعوها لأبي بكر الصديق بل لم يدفعوها أبداً فجاءهم خالد بن الوليد فقال لهم : أين زكاة الأموال ؟ ما لكم فرقتم بين الصلاة والزكاة ؟ .

---

(١) انظر تاريخ الطبري (٤٢٩/٢) ، الكامل (٢١٥/٢) ، البداية والنهاية (٢٠٣/٥) وما بعدها .

فقال مالك بن نويرة : إن هذا المال كنا ندفعه لصاحبكم في حياته فما بال أبي بكر ، فغضب خالد بن الوليد وقال : أهو صاحبنا وليس بصاحبك ، فأمر ضرار بن الأزور بضرب عنقه ، وقيل إن مالك بن نويرة قد تابع سجاح التي ادعت النبوة [١] .

وهناك رواية ثالثة وهي : أن خالداً رضي الله عنه لما كلمهم وزجرهم عن هذا الأمر وأسر منهم من أسر، قال لأصحابه : أدفئوا أسراكم وكانت ليلة باردة وكان من لغة ثقيف ، أدفئوا الرجل يعني اقتلوه فظنوا أن خالداً يريد القتل فقتلوهم بدون أمر خالد ابن الوليد رضي الله عنه ، أي الأمور الثلاثة ، فإن خالد بن الوليد رضي الله عنه قتلهم متأولاً وهذا لا يعاب عليه .

وأما قولهم إن خالد بن الوليد بعد أن قتل مالك بن نويرة دخل على زوجته في نفس الليلة فهذا كذب ، فبعد أن قتل خالد بن الوليد من قتل ، وسبي منهم استخلص زوجته لنفسه ، وهي من السبي ، ولكن أن يكون قد دخل عليها من أول ليلة أو لأنه قتله من أجل زوجته فهذا كله كذب [٢] .

خالد بن الوليد رضي الله عنه المجاهد في سبيل الله يقول : لأن أُصبِّح العدو في ليلة شاتية أحب إلي من أن تهدى إليّ فيه عروس أو أُبشَّر فيها بولد [٣] .

فلقد كان من القادة العظام الذين قال فيهم النبي ﷺ : « **خالد سيف من سيوف الله سلّه الله على المشركين** » [٤] .

ولذلك لما وقع من خالد هذا الأمر وهو قتل مالك بن نويرة ومن معه قال عمر بن

---

(١) ذكر ابن طاووس من علماء الشيعة قال : ارتدت بنو تميم والزيات واجتمعوا على مالك بن نويرة اليربوعي ، انظر فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب ص (١٠٥) .

(٢) انظر البداية والنهاية (٣٢٦/٦) .

(٣) البداية والنهاية (١١٧/٧) .

(٤) فتح الباري ،كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب خالد رضي الله عنه ، رقم(٣٧٥٧)، الفقرة الأولى من الحديث ، والحديث رواه ابن عساكر كاملاً (١٥/٨) وانظر السلسلة الصحيحة (١٢٣٧) .

الخطاب لأبي بكر : إعزل خالداً فإن في سيفه رهقاً ، فقال أبو بكر : لا والله !! إنه سيف سلَّه الله على المشركين [١] .

الشبهة السادسة :

قالوا : إن معاوية قتل الصحابي حجر بن عدي ظلماً ، وحجر بن عدي اختلف فيه هل هو صحابي أو تابعي ، وجمهور أهل العلم على أن حجراً تابعي وليس بصحابي ، وهذا قول البخاري وأبي حاتم الرازي وابن حبان وابن سعد وخليفة بن خياط وغيرهم قالوا : إن حجر بن عدي كان تابعياً وليس من الصحابة [٢] .

لماذا قتل معاوية حجر بن عدي ؟ :

حجر بن عدي كان من أتباع عليّ بن أبي طالب وكان ممن قاتل معه في صفين ، وبعد تنازل الحسن لمعاوية واستقرار الأمر لمعاوية وسُمي عام الجماعة ، ولّى معاوية الكوفة زياد ابن أبيه أو زياد بن أبي سفيان كما سيأتي ولا يخفى حال أهل الكوفة فهم الذين قتلوا عليّاً ، وخانوا ابنه الحسن وغدروا بالحسين ، وفي زمن عمر طعنوا في إمارة سعد رضي الله عنه ، وهم الذين طعنوا في إمارة الوليد بن عقبة ، وفي إمارة أبي موسى الأشعري ، بل لم يرضهم أحد أبداً إلا بقوة السيف .

وكان زياد والياً على البصرة من قِبَل عليّ رضي الله عنه فهو من ولاة عليّ بن أبي طالب [٣] ، فلما أخذ معاوية الحكم تركه والياً على البصرة وزاده الكوفة ، وحدث أن قام زياد فخطب الناس خطبة الجمعة فيقال إنه أطال في الخطبة عند ذلك قام حجر بن عدي فقال : الصلاة الصلاة ، فاستمر زياد في خطبته فقام حجر بن عدي فحصبه بالحجارة ، وقام أتباع حجر بن عدي وحصبوه أيضاً بالحجارة وهو يخطب الناس يوم الجمعة ، فأرسل زياد إلى معاوية بما وقع فأمر معاوية بإرسال حجر

---

(١) الكامل في التاريخ (٢٤٢/٢) .
(٢) الإصابة (٣١٣/١) .
(٣) تاريخ خليفة بن خياط (٢٠١ ، ٢٠٢) .

ابن عدي إليه ثم أمر بقتله لأنه أراد أن يثير الفتنة [١].

وأراد معاوية رضي الله عنه أن يقطع دابر الفتنة من أولها فأمر فقتله لهذا السبب ، ولذلك لما قالت عائشة لمعاوية رضي الله عنهما : لماذا قتلت حجر بن عدي ؟ قال معاوية : دعيني وحجراً حتى نلتقي عند الله [٢] . ونحن نقول دعوه وحجراً حتى يلتقيا عند الله .

الشبهة السابعة :

قالوا بعد وفاة النبي ﷺ : جاءت فاطمة إلى أبي بكر الصديق تطلب ميراثها من النبي ﷺ ، فلم يعطها أبو بكر ، والذين استدلوا بهذا الدليل هم الشيعة واختلفوا في توجيه طلب فاطمة لفدك .

فقال بعضهم : إن فدك إرث من النبي ﷺ لفاطمة ، قال آخرون : هي هبة من النبي ﷺ وهبها فاطمة يوم خيبر .

أما على القول الأول وهو أن فدك إرث من النبي ﷺ فالرواية في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما ، أنه بعد وفاة النبي ﷺ جاءت فاطمة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تطلب منه إرثها من النبي ﷺ في فدك وسهم النبي ﷺ من خيبر وغيرها ، فقال أبو بكر الصديق: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إنا لا نورث ، ما تركناه صدقه** » [٣] ، أو « **ما تركنا صدقة** » [٤] ، أو « **ما تركنا فهو صدقة** » [٥] . ثلاث روايات .

---

(١) الإصابة (٣١٣/١) ، سير أعلام النبلاء (٤٦٣/٣ ، ٤٦٦) ، وانظر تفصيل ذلك في البداية والنهاية (٥٢/٨) وما بعدها .
(٢) البداية والنهاية (٥٥/٨) وانظر العواصم من القواصم (٢٢٠) .
(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب حكم الفيء ، رقم (١٧٥٧) .
(٤) صحيح البخاري ، كتاب فرض الخمس ، باب فرض الخمس رقم (٣٠٩٣) ، مسلم ، كتاب الجهاد والسير رقم (١٧٥٩) .
(٥) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ رقم (٣٧١٢) ، وصحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير رقم (١٧٥٨) .

هكذا أخبر أبو بكر فاطمة رضي الله عنها ، وفي رواية عند أحمد « إنا معاشر الأنبياء لا نورث » [١] .

ولكن الرواية التي في الصحيحين « إنا لا نورث ، ما تركناه صدقة » فوجدت [٢] فاطمة على أبي بكر الصديق ، فإما أنها تدعي أنه أخطأ في فهمه لقول النبي ﷺ أو أنه أخطأ في سماعه ، وهي استدلت بالعموم في قوله الله: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١) ﴾ [النساء : ١١] .

وأهل السُّنة في هذه المسألة لا يبحثون عن عذر لأبي بكر وإنما يبحثون عن عذر لفاطمة لأنهم يرون أن أبا بكر يستدل بحديث متواتر عن النبي ﷺ رواه أبو بكر وعثمان وعمر وعليّ نفسه والعباس وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام ، كل هؤلاء رَوَوْا الحديث عن النبي ﷺ : « إنا لا نورث ما تركنا صدقة » ، ففاطمة رضي الله عنها لما ما قبلت منه هذا الكلام حاول أهل السُّنَّة أن يبحثوا عن عذر لفاطمة لا لأبي بكر ، لأنهم لا يرون أن أبا بكر قد أخطا في حق فاطمة .

وقالوا : غضبت على أبي بكر ، ونقول : ما يضر أبا بكر إذا غضبت عليه فاطمة إن كان الله رضي عنه ،فقد قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) ﴾ [الفتح : ١٨] ، وأبو بكر كان رأس المؤمنين الذين بايعوا النبي ﷺ في ذلك اليوم فمن رضي الله عنه ورضي عنه الرسول ﷺ لا يضره غضَب من غضِب .

(١) مسند أحمد (٩٦٥٥) ، (٢٢٥/٣) .
(٢) أي : غضبت .

ثم نرد على هذا الدليل بالتفصيل :

أما قولهم : إنه إرث فنقول إن النبي ﷺ قال : « **إنا لا نورَث ، ما تركنا صدقة** » بمعنى الذي تركنا هو صدقة ولذلك جاء في بعض طرق الحديث عند مسلم « **ما تركنا فهو صدقة**» والمبتدعة يحرفون هذا الحديث فيقولون: ما تركنا صدقة أي « ما » نافية أي لم نترك صدقة ، وأهل السُّنة يجعلون « ما » هنا موصولة وهي الرواية الصحيحة التي في الصحيحين « ما تركنا صدقة » بالرفع يؤكد هذه الرواية رواية « **ما تركنا فهو صدقة** » فالنبي لا يورث صلوات الله وسلامه عليه ، بل على الصحيح إن الأنبياء جميعاً لا يورثون ، وهم يستدلون بقول الله تبارك وتعالى عن زكريا ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝ ﴾ [مريم : ٥ ، ٦] ، قالوا هنا أثبت الوراثة ، وقال عن سليمان ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ۝ ﴾ [النمل : ١٦] .

وتفسير هاتين الآيتين ما يلي : أما الآية الأولى وهي قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي . . . ﴾ **فنقول :**

أولاً : إنه لا يليق برجل صالح أن يسأل الله تبارك وتعالى ولداً حتى يرث المال فقط ، فكيف نرضى هذا لنبي كريم وهو زكريا عليه السلام أن يسأل الله ولداً لكي يرث ماله.

ثانياً : المشهور أن زكريا عليه السلام كان فقيراً يعمل نجاراً فأي مال عند زكريا عليه السلام حتى يطلب من الله تبارك وتعالى أن يرزقه وارثاً بل الأصل في أنبياء الله تبارك وتعالى أنهم لا يُبقون المال بل يتصدقون به في وجوه الخير .

ثالثاً : وهو ما يدل عليه سياق الآية ، وهو قول الله تبارك وتعالى :﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ ، كم شخص في آل يعقوب ؟ وأين يحيى من آل يعقوب ؟ آل يعقوب هم : موسى وداود وسليمان ويحيى وزكريا بل كل أنبياء بني إسرائيل من

آل يعقوب ، لأن إسرائيل هو يعقوب ، فكيف ببقية بني إسرائيل من غير الأنبياء ، إذن فكم سيكون نصيب يحيى ، ثم إنه محجوب بالفرع الوارث .

فلا شك أن قوله : ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ ، يرد على قول من يقول : إنه أراد وراثة المال بل ذكر يعقوب لأن يعقوب نبي وزكريا نبي ، فأراد أن يرث النبوة والعلم والحكمة .

رابعاً : وهو قول النبي ﷺ : « **إنا معاشر الأنبياء لا نورث** » أو قوله : « **إنا لا نورث ما تركنا صدقة** » وجاء في الحديث « **إن الأنبياء لم يورِّثوا درهماً ولا ديناراً وإنما ورَّثوا العلم** » [(١)] .

وأما الآية الثانية وهي قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ .

فكذلك لم يرث منه المال وإنما ورث النبوة والحكمة والعلم لأمرين اثنين :

الأول : إن داود قد اشتُهر أن له مائة زوجة وله ثلاثمائة سُرِّيَّة « أي أمة » وله كثير من الأولاد فكيف لا يرثه إلا سليمان ؟ .

بل أخوة سليمان أيضاً يرثون ، فتخصيص سليمان بالذكر ليس بسديد إن كان معه ورثة آخرون ، ولو كان الأمر إرثاً عادياً أي مالاً ما كان لذكره فائدة في كتاب الله تبارك وتعالى فمن الطبيعي أن الولد يرث الوالد فقول الله ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ تحصيل أمر حاصل .

فلا شك أن الله أراد شيئاً آخر خصَّه بالذكر وهو إرث النبوة .

الثاني : وأما قولهم إنها هبة وهدية من النبي ﷺ وهبها وأهداها لفاطمة رضي الله عنها يوم خيبر ، فهم يروون في كتبهم أن النبي ﷺ بعد فتح خيبر أنزل الله تبارك وتعالى عليه : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) ﴾ [الإسراء : ٢٦] ، فنادى فاطمة وأعطاها فدك [(٢)] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب العلم قبل القول والعمل ، وأخرجه أبو داوود ، كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم رقم (٣٦٤١) ، وإسناده صحيح .

(٢) تفسير الصافي (٣/١٨٦) .

ولنقف قليلاً هنا :

أولاً : هذه القصة مكذوبة ولم تنزل هذه الآية في هذا الوقت ولم يعط النبي ﷺ فدك لفاطمة رضي الله عنها وأرضاها بل الصحيح أن فاطمة طلبت فدك من باب الإرث لا من باب الهبة ، وفتح خيبر في أول السنة السابعة ، وزينب رضي الله عنها بنت النبي ﷺ توفيت في الثامنة من الهجرة [١] ، وأم كلثوم رضي الله عنها بنت النبي ﷺ توفيت في التاسعة من الهجرة [٢] ، فكيف يعطي فاطمة ويدع أم كلثوم وزينبًا ، صلوات الله وسلامه عليه؟ ، فهذا اتهام للنبي ﷺ أنه كان يفرِّق بين أولاده ﷺ .

ثم إن بشير بن سعد لما جاء للنبي ﷺ فقال : « يا رسول الله إني قد وهبت ابني حديقة وأريد أن أُشهدك ، فقال النبي ﷺ : « **أكلَّ أولادك أعطيت ؟** » ، قال : لا ، فقال النبي ﷺ : « **اذهب فإني لا أشهد على جور** » [٣] .

فسماه جوراً وذلك أن يفضِّل بعض الأولاد على بعض ، فهذا النبي الكريم الذي لا يشهد على الجور ،هل يفعل الجور؟ أبداً صلوات الله وسلامه عليه، بل نحن ننزه الرسول ﷺ.

ولو كانت هبةً فإما أن تكون قبضتها أو لم تقبضها ، فإن كانت قبضتها فكيف جاءت تطالب بها ، وإن لم تكن قبضتها فإن الهبة إن لم تُقبض فكأنها لم تعطَ ، فعلى أي الأمرين سواء القول إنها إرث أو القول إنها هبة ، القول ساقط فهي لا إرث ولا هبة، والعجيب في هذا الأمر أنه بعد وفاة الصديق رضي الله عنه استُخلف عمر بن الخطاب ، ثم عثمان ، ثم استُخلف عليّ ، فلو فرضنا أن فدك لفاطمة سواء كانت إرثاً أو هبة فهي تدخل في ملك فاطمة رضي الله عنها وهي ماتت بعد النبي ﷺ بستة أشهر ، فإلى من تذهب فدك ؟ تذهب إلى الورثة فعليّ له الربع لوجود الفرع الوارث ، والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم رضي الله عنهم لهم الباقي، للذكر مثل حظ الأنثيين .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٢٥٠) ، الإصابة (٤/٣٠٦) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٢٥٢) ، الإصابة (٤/٤٦٦) .
(٣) صحيح مسلم ، كتاب الهبات رقم (١٦٢٣) .

ولما استخلف عليّ رضي الله عنه لم يعط فدك لأولاده ، فإن كان أبو بكر ظالماً وعمر ظالماً وعثمان ظالماً لأنهم منعوا فدك أهلها فكذلك عليّ ظالم لأنه منع فدك أهلها ولم يعطها لأولاده ولا يحق له ذلك ، ونحن ننزه الجميع ، ننزه أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم أجمعين ، فلم تكن فدك هبة ، ولم تكن كذلك إرثاً من النبي ﷺ .

ويذكرون عن فاطمة أنها لما مُنعت فدك غضبت وذهبت إلى قبر أبيها تشتكي إليه وهذا كذب بل ولا يليق بفاطمة رضي الله عنها وأرضاها فإن الله يقول عن العبد الصالح النبي الكريم يعقوب عليه الصلاة والسلام ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٨٦) ﴾ [يوسف : ٨٦] ، فكيف يليق بفاطمة أن تشكو بثها وحزنها إلى رسول الله ﷺ بعد موته بل إننا نجلُّ فاطمة رضي الله عنها ونقول هي لا تشكو بثها وحزنها إلا إلى الله تبارك وتعالى .

وقولهم إن فاطمة غضبت على أبي بكر رضي الله عنه وماتت وهي غضبانة عليه فهذا مشهور ، نعم هي غضبت ، ونحن ذكرنا أننا نبحث العذر لفاطمة ولا نبحث العذر لأبي بكر وهي غير معصومة رضي الله عنها وأرضها .

والمشهور أن أبا بكر ترضّاها حتى رضيت كما أخرج هذا كثير من أهل العلم ، عن الشعبي مرسلاً صحيحاً [١] ، والشعبي من كبار التابعين والله أعلم بحقيقة الأمر .

وكذلك المشهور أن فاطمة غسلتها أسماء بنت عميس وأسماء زوجة أبي بكر الصديق فكيف تغسلها زوجة أبي بكر الصديق وأبو بكر لا يدري بموتها ؟ والصحيح أنها دفنت ليلاً ولم يؤذن أبو بكر فيها .

الشبهة الثامنة :

قالوا : إن عمر رضي الله عنه قال عن بيعة أبي بكر الصديق إنها فلتة ، ونقول نعم هذا صحيح ، ثبت عن عمر رضي الله عنه أنه قال عن بيعة أبي بكر الصديق أنها كانت فلتة .

(١) فتح الباري (٦/٢٣٣)

ولكن دعونا نقرأ من صحيح البخاري القصة كاملة :

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنه بلغ عمر بن الخطاب أنه بعض الناس يقول لئن مات عمر لأبايعن فلاناً وأن بيعة أبي بكر كانت فلتة ، فلما بلغ عمر بن الخطاب هذا الكلام قال : إنه بلغني أنه قائل منكم يقول : والله لو قد مات عمر بايعت فلاناً ، فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك ، ولكن وقي الله شرها وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر .

ثم ذكر قصة ذهابه مع أبي بكر الصديق إلى سقيفة بني ساعدة للأنصار هناك حتى قال عمر : وكنت قد زوَّرت [1] ، مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر وكنت أداري منه بعض الحدة [2] ، وأحببت أن أتكلم أنا مكان أبي بكر الصديق فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر : على رسلك فكرهت أن أغضبه .

فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر ، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل حتى سكت فقال : ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسباً وداراً وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين « يقصد عمر وأبا عبيدة » فبايعوا أيهما شئتم ، فأخذ بيدي ويد أبي عبيدة وهو جالس بيننا ، فلم أكره مما قال غير هذا ، كان والله أن أقدّم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إليّ أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، وحتى قال عمر : وإنا والله ما وجدنا فيمن حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر ، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا ، فإما بايعناهم على ما لا نرضي ، وإما نخالفهم فيكون فساداً ، فمن بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين ، فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغِرَّةَ أن يقتلا [3] . أخرجه

(١) **زوّرت** : حضرت .
(٢) **الحدة** : سرعة الغضب .
(٣) **تغِرّة أن يقتلا** : أي خشية أن يقتلهما الناس .

البخاري [١] .

فهذه قصة البيعة نعم هي فلتة ولكن لها قصة قد ذكرناها مفصلة في كلامنا عن سقيفة بني ساعدة، فلا يكون هذا طعناً على عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه وأرضاه.

الشبهة التاسعة :

حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما حضر رسول الله – أي حضرته الوفاة – وفي البيت رجال فيهم عمر فقال رسول الله ﷺ : « **هلُمَّ أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده** » فقال عمر : إن رسول الله قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله ، واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول : قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله قال رسول الله ﷺ : « **قوموا** » أخرجه البخاري ومسلم [٢] .

وطعنهم في أصحاب رسول الله ﷺ من قبَل هذا الحديث يتمثل في أنهم يدّعون كذباً أن عمر قال : إن رسول الله يهجر [٣] ، وهذا كذب على عمر ، لم يقل عمر إن رسول الله ﷺ يهجر بل الرواية في الصحيحين وغيرهما أن عمر رضي الله عنه قال : إن رسول الله قد غلبه الوجع ، وفي ذلك الوقت كان مرضُ الموت على النبي شديداً ويبين هذا حديث عائشة رضي الله عنها لما أغمي على النبي ﷺ ثم أفاق فقال : « **أصَلّى الناس؟** » ، قالت : هم في انتظارك يا رسول الله ، فقرَّبوا إليه الماء فاغتسل ثم قام يريد أن يذهب إلى الصلاة فسقط مغمياً عليه صلوات الله وسلامه عليه ثم أفاق فقال: « **أصلى الناس؟** » ، قالوا : هم في انتظارك يارسول الله، فقال : « **قربوا لي الماء** » ،فأتوه بالماء فاغتسل ثم قام يريد أن يذهب للصلاة فسقط صلوات الله وسلامه عليه بأبي هو وأمي .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، باب رجم الحبلى من الزنى إذا أحصنت رقم (٣٩٣٠) .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب كتاب العلم رقم (١١٤) ، صحيح مسلم ، كتاب الوصية رقم (١٦٣٧) .
(٣) فاسألوا أهل الذكر ص (١٤٤) وص (١٧٩) وعزاه مؤلفه التيجاني للبخاري كذباً وزوراً .

فلما سقط الثالثة ثم أفاق قال : « **أصلى الناس ؟** » قالوا : هم في انتظارك ، قال : « **مروا أبا بكر فليصل بالناس** » (١) .

نعم هناك من قال : يهجر ولكنه ليس عمر رضي الله عنه .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه لما رأى النبي ﷺ يوعَك وعكاً شديداً أشفق عليه فقال: يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً ، فقال النبي ﷺ : « **إني أوعك كرجلين منكم** » ، قال ابن مسعود رضي الله عنه : أذلك لأن لك الأجر مرتين؟ ، قال : « **نعم** » (٢) .

فالنبي ﷺ كان يوعك وعكاً شديداً ، فلما سمع عمر النبي ﷺ يقول : « **هلم أكتب لكم كتاباً** » أشفق على النبي ﷺ فقال : إن رسول الله ﷺ غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله ، قلت : وهذا موافق لقوله تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة : ٣] .

والرسول ﷺ قال : « **والله ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله والجنة إلا وأخبرتكم به ، وما تركت شيئاً مما أمركم الله به إلا قد أمرتكم به ، وما تركت شيئاً مما نهاكم الله عنه إلا قد نهيتكم عنه** » (٣) .

فما بقي شيء في الدين لم يبينه الرسول ﷺ ، فما هذا الكتاب الذي كان الرسول ﷺ يريد أن يكتبه ؟ .

وعند أحمد في مسنده رحمه الله ورضي عنه ، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنا عند الرسول ﷺ فأمرني أن آتيه بطبق يكتب فيه ما لا تضل أمته من بعده ،

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب إنما جعل الإمام ليؤتم به رقم (٦٨٧) ، صحيح مسلم ، كتاب الصلاة رقم (٤١٨) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المرض ، باب أشد الناس بلاءً رقم (٥٦٤٨) ، صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة رقم (٢٥٧١) .

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/٤١٧) ، ضمن حديث رقم (١٨٩٠) .

قال : فخشيت أن تذهب نفسه « يعني خشيت أن يموت قبل أن يأتيه الكتاب » فقلت : يا رسول الله إني أحفظ وأعي ، فقال النبي ﷺ : « **أوصيكم بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم** » .

فإذا قالوا : الصحابة عصوا أمر النبي ﷺ فلم يأتوه بالكتاب ، فنقول عليّ أول من عصى فإنه هو المأمور مباشرة من النبي ﷺ أن يأتيه بالكتاب فلماذا لم يأته به ؟! .

فإذا لُمنا أصحاب النبي ﷺ على هذا الأمر فعليٌ يلام ولا لوم على الجميع لأمور:

أولاً : إن علياً رضي الله عنه في هذا الحديث نفسه قال : فخشيت أن تذهب نفسه فقلت يا رسول الله إني أحفظ وأعي فقال النبي ﷺ : « **أوصيكم بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم** » فالنبي إذاً تلفظ بما أراد أن يكتب .

ثانياً : الذي أراد أن يكتبه النبي ﷺ إما أن يكون واجباً عليه أو مستحباً ، فإن قالوا : إنه أمر واجب وهو من أمور الشريعة الواجب تبليغها ، فقولهم هذا فيه أن النبي ﷺ لم يبلغ جميع الشرع وهذا طعن في النبي ﷺ وطعن في الله الذي قال : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ، وإن قالوا : إنه مستحب فنقول هذا هو قولنا جميعاً .

ثالثاً : إن الصحابة امتنعوا شفقة على النبي ﷺ لا من باب المعصية .

الشبهة العاشرة :

نهى عمر بن الخطاب عن متعة الحج ومتعة النساء ، وهما مشروعتان فكيف يُحرمٌ عمر ما أحله الله ؟! .

أولاً : متعة الحج :

فنقول : على فرض أن عمر أخطأ رضي الله عنه في النهي عن متعة الحج فكان ماذا ؟! نحن لا ندعي العصمة لعمر بل نقول يخطئ كما يخطئ باقي الصحابة ، هذا إذا افترضنا أنه أخطأ .

عن الصُبي بن معبد أنه قال لعمر : أحرمتُ بالحج والعمرة معاً (يعني متمتعاً)

فقال عمر : « هُديت لسُنة نبيك » [١] ، فهذا عمر يرى أن هذه هي السُّنة بل ومدح هـذا الرجل ولم ينهه وقال : هُديت لسُنة نبيك .

وعن سالم عن ابن عمر أنه سئل عن متعة الحج فأمر بها فقيل له : إنك تخالف أباك ، قال : إن أبي لم يقل الذي تقولون إنما قال : أفردوا العمرة من الحج (أي أن العمرة لا تتم في شهور الحج إلا بهدي وأراد أن يزار البيت في غير شهور الحج) ، فجعلتموها أنتم حراماً وعاقبتم عليها وقد أحلها الله عز وجل وعمل بها رسول الله ﷺ ، فلما أكثروا عليه قال : أفكتاب الله أحق أن يُتبع أم عمر ؟ [٢] .

ماذا كان مراد عمر إذاً ؟ :

كان مراد عمر أن لا يُعَرَّى بيت الله عن العمرة في يوم من أيام السنة فإن الناس كانوا إذا خرجوا إلى الحج يعتمرون مع الحج وهي المتعة ، بعد ذلك لا يأتون إلى بيت الله ، فأراد عمر أن يحجوا مفردين ، ثم بعد ذلك يأتون إلى بيت الله تبارك وتعالى بعمرة منفردة بسفر مستقل حتى لا يبقى بيت الله عارياً من الخلق ، فالنهي من عمر رضي الله عنه لم يكن نهي تحريم وإنما كان رأياً رآه وظن أن هذا الأمر أفضل ولا يعاب عليه في هذا الأمر ، بل قد ذكرنا أنه لما حج الصُبي بن معبد متمتعاً قال له عمر : هُديت لسُنة نبيك .

ثانياً : متعة النساء :

إن النهي عنها ثبت عن عليّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ كما في الصحيحين أنه قال لابن عباس – لما سمع أنه يبيح متعة النساء – إنك امروٌ تائه فإن رسول الله ﷺ قد حرَّم المتعة ولحوم الحمر الأهلية يوم خيبر [٣] .

---

(١) سنن النسائي ، كتاب الحج ، باب القرآن رقم (٢٧١٩) ، وسنده صحيح .

(٢) سنن البيهقي (١٧/٥) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب النهي عن نكاح المتعة (٥١١٥)، ومسلم كتاب النكاح رقم (١٤٠٧) .

وهذا الحديث موجود في كتبهم المعتمدة [(١)] ، وكذلك حديث سلمة بن الأكوع في مسلم أن النبي ﷺ حرَّم المتعة عام الفتح [(٢)] ، وكذلك سبرة الجهني عند مسلم أن النبي ﷺ حرَّم المتعة [(٣)] .

فعمر رضي الله عنه نهي عن المتعة فكان ماذا ؟نهي عن شيء نهى عنه رسول الله ﷺ ، نهي عن شيء نهى عنه ربُّ العزة تبارك وتعالى لما قال : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) ﴾ [المؤمنون : ٥ - ٧] ، فسماهم عادين تبارك وتعالى .

وهم يستدلون بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤) ﴾ [النساء : ٢٤] ، يستدلون بالقراءة [**فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ إلى أجل مسمى فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ**] .

نقول : أولاً : إن هذه القراءة قراءة غير متواترة ليست من القراءات السبع ولا من القراءات العشر ، فهي قراءة شاذة وهي منسوخة بقول النبي ﷺ ، سواء كان بحديث عليّ أو سبْرة الجهني أو سلمة بن الأكوع أو غيرهم .

الشبهة الحادية عشرة :

قالوا : عن قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي

---

(١) وسائل الشيعة (١٢/٢١) .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، رقم (١٤٠٦) .
(٣) صحيح مسلم ، كتاب النكاح رقم (٢٠) وهناك أحاديث أخرى كثيرة تدل على تحريم المتعة .

مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (٤)﴾ [التحريم : ١-٤] .

قالوا : صغت أي مالت إلى الكفر ، وقالوا : هذه آيات من كتاب الله نزلت في عائشة وحفصة زوجيّ النبي ﷺ .

قلنا : عن عبيد بن عمير قال : سمعتُ عائشة رضي الله عنها قالت : إن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش بنت عمة النبي ﷺ وزوجته ، ويشرب عندها عسلاً فتواصيت أنا وحفصة أنَّ أيَّتنا دخل عليها النبيﷺ فلتقل: إني لأجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير ؟ فدخل على إحداهما فقالت له ذلك ، فقال : « **لا بأس شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود إليه** » ، وكان النبي ﷺ عند حفصة بنت عمر فقال لها : « **لا تخبري أحداً ولن أعود** » فأخبرت عائشة أنها قد نجحت في خطتها ، وأن النبي ﷺ امتنع عن العسل وأنه لن يعود إليه مرة ثانية ، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (٤)﴾ [التحريم : ١-٤] (1) .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الطلاق ، باب لم تحرم ما أحل الله لك رقم ٥٢٦٧ .

يعنى من هـذا العمل وهو ما يكون من الزوجات من الغيرة وغيرها من الأمور وقوله : ﴿ إن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ ، أى مالت عن الحق في هذا الفعل ، فالفعل خطأ ، وليس معنى مالت كفرت ، كيف وهن زوجات النبي ﷺ وهن أمهات المؤمنين وهن اللاتي أمر الله النبي ﷺ أن لا يطلق منهن واحدة وأمره أن لا يستبدل بهن أحداً ، وأن لا يتزوج عليهن ، قال تعالى : ﴿ لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا (٥٢) ﴾[الأحزاب ٥٢] . ثم بعد ذلك على الصحيح أذن الله له بالزواج .

المهم أن هذا دليل على أن الغيرة أمر طبيعي جداً يحصل بين النساء ، بل إن زوجات النبي ﷺ كن حزبين .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : إن نساء رسول الله ﷺ كن حزبين فحزبٌ فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة ، والحزب الآخر فيه أم سلمة وسائر نساء النبي ﷺ .

وكان المسلمون قد علموا حُبَّ الرسول ﷺ لعائشة فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى الرسول ﷺ أخَّرها حتى إذا كان الرسول ﷺ في بيتها بعث صاحب الهدية إلى الرسول ﷺ في بيت عائشة ، فكلم حزب أم سلمة يقلن لأم سلمة : كلمي رسول الله ﷺ يكلم الناس ، فيقول : من أراد أن يهدي إلى رسول الله هدية فليهدها حيث كان في بيوت نسائه ، فكلمَته أم سلمة بما قلن لها ، فلم يقل لها شيئاً ، فسألنها فقالت : ما قال لي شيئاً فقلن لها: كلّميه قالت : فكلّمَته حين دار إليها أيضاً ، فلم يقل لها شيئاً ، فسألنها فقالت: ما قال لي شيئاً ، فقلن لها كليمه حتى يكلّمك فدار إليها فكلّمته فقال لها: « **لا تؤذيني في عائشة، فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة** » ، قالت: أتوب من أذاك يا رسول الله.

ثم إنهنَّ – أي حزب أم سلمة – دعون فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تقول : إن نساءك ينشدنك العدل في بنت أبي بكر فكلَّمته فقال :

يا بنيّة ألا تحبين ما أحب؟ قالت : بلى، « قال : فأحبي هذه » – عن عائشة – ، فرجعت إليهن فأخبرتهن ، فقلن ارجعي إليه فأبت أن ترجع رضي الله عنها [١] .

فأرسلن زينب بنت جحش إلى النبي ﷺ فأتته فأغلظت – يعني في الكلام – وقالت : إن نساءك ينشدنك الله العدل في ابنة أبي قحافة ، يقول فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهي قاعدة عند النبي ﷺ فسبتها حتى إن النبي ﷺ لينظر إلى عائشة هل تتكلم أو لا ، فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها ، فنظر النبي إلى عائشة وقال : « إنها بنت أبي بكر » [٢] .

القصد أن نساء النبي ﷺ ضرائر ويقع بين الضرائر الشيء الكثير ، ونحن نقول نعم أخطأت حفصة وأخطأت عائشة رضي الله عنهما ، ولكن ما كفرتا بالله تعالى في فعلهما ذلك .

الشبهة الثانية عشرة :

قالوا : إن معاوية استلحق زياد ابن أبيه وهو ابن عبيد الثقفي ، فقال معاوية : زياد ابن أبي سفيان .

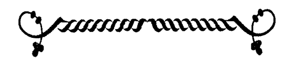
قلنا زياد ليس ابناً لعبيد الثقفي بل كان لا يعرف إلا بزياد ابن أبيه أو ابن سمية ، وذلك أنه جاء من سمية بالزنا (وهو ولد زنا ولا يضره هذا شيئاً فليس له ذنب فيه) كان جاءها بعض الرجال في الجاهلية منهم أبو سفيان والد معاوية « وأيضاً هذا لا يعيبه لأن هذا الزنا ليس في الإسلام وإنما في الجاهلية، ولقد كانوا مشركين فالزنا أهون من الشرك » وكان زياد والياً من ولاة عليّ رضي الله عنه وكان رجلاً مفوهاً خطيباً متكلماً .

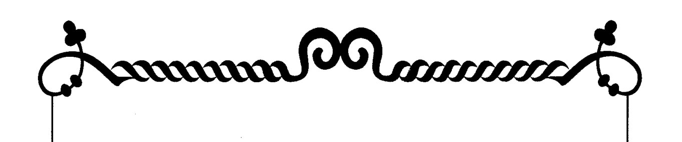
ومعاوية رضي الله عنه أخبره والده أن زياداً هذا ابنه من سمية ابن زنا صحيح لكن من

---

(١) هذه عند مسلم وليست عند البخاري .
(٢) صحيح البخاري كتاب الهبة ، باب من أهدى إلى صاحبه رقم (٢٥٨١) ، صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة رقم (٢٤٤٢) .

ظهره ولم يكن أحد ادعى زياداً ، ولم يكن لسمية زوج ، لو كان لها زوج لقلنا الولد للفراش وللعاهر الحجر ، لكن لم يكن لها زوج ، هي أمَة جامعها أبو سفيان فأتى منها بزياد فاستلحقه معاوية ، والذين أنكروا على معاوية استلحاقه زياداً أنكروا عليه من باب أنه هل يجوز للوارث أن يستلحق أحداً ؟ أم لا يجوز؟ مسألة فقهية اجتهادية ، ولذلك الإمام مالك وغيره إنما يسمون زياداً ، زياد بن أبي سفيان ، فهذا الذي عابوا فيه معاوية رضي الله عنه وأرضاه .





الفصل الرابع

مَنْ الخليفة بعد رسول الله ﷺ ؟





الفصل الرابع

مَنْ الخليفة بعد رسول الله ﷺ ؟

أجمع أهل السُّنَّة على أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر رضي الله عنه ، وخالف في ذلك غيرهم فقالوا : إن عليّاً رضي الله عنه أولى بالخلافة من أبي بكر وعمر وعثمان ، وأنه هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ مباشرة بلا فصل .

واستدلوا ببعض الأدلة التي وردت في القرآن وفي كتب أهل السُّنة سواء كانت عند البخاري أو مسلم أو غيرهما من أصحاب السُّنن والمسانيد وهذه الأدلة سنذكر أهمها وأصحَّها ثم نبين مدى دلالتها على المراد .

ونقول كذلك : إن عليّاً رضي الله عنه غَنِيٌّ عن الإطراء فهو صهر رسول الله ﷺ على خير بناته فاطمة سيد نساء أهل الجنة وهو كذلك ابن عم رسول الله ﷺ ورابع الخلفاء الراشدين وفضائله كثيرة جداً ، ولكن القضية ليست في ذكر فضائل عليّ رضي الله عنه فهذا أمر مفروغ منه ، ولكن القضية النظر في هذه الفضائل هل تدل على أن عليّاً أولى بالخلافة ممن سبقه أم لا ؟ .

أدلة من قال بأولوية عليّ بن أبي طالب بالخلافة قبل أبي بكر وعمر وعثمان :

[١] حديث الغدير :

يعتبر من أهم الأدلة عندهم حتى أُلِّف فيه كتاب من أحد عشر مجلداً وهو كتاب الغدير ، هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أنه قال : قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً بماء يدعي خُمّاً بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ووعَظَ وذَكَّر ثم قال : « **أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به** » ، فحث على كتاب الله ورغَّب فيه ثم قال :

« وأهل بيتي ، أُذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي » .

قال له حصين – أي الراوي عن زيد بن أرقم – : ومَنْ أهل بيته يازيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ .

قال : نعم ، ولكن أهل بيته من حُرِم الصدقة بعده

قال : ومن هم ؟ قال : هم آل عليّ وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس .

قال : كل هؤلاء حُرِم الصدقة ؟ قال : نعم [(١)] .

وجاء عند غير مسلم كالترمذي [(٢)] ، وأحمد [(٣)] ، والنسائي في الخصائص[(٤)] ، والحاكم [(٥)] ، وغيرهم زيادة أن النبي ﷺ قال : **« من كنت مولاه فعليّ مولاه »** ، وجاءت زيادات أخرى كمثل قوله : « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار » وزيادات أخرى لا جدوى من ذكرها الآن .

المهم أن الحديث الذي في صحيح مسلم ليس فيه **« من كنت مولاه فعليّ مولاه »** ، ولكن هذه الزيادة عند الترمذي وأحمد والنسائي والحاكم وغيرهم جاءت بأسانيد صحيحة عن النبي ﷺ .

وأما الزيادات الأخرى كقوله : « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » هذه الزيادة صححها بعض أهل العلم والصحيح أنها لا تصح وأما زيادة انصر من نصره واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار ، فهذه زيادة مكذوبة على النبي ﷺ .

وهذا الحديث يستدل به المبتدعة على أن علياً رضي الله عنه هو الخليفة بعد الرسول ﷺ

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة رقم (٢٤٠٨) .

(٢) جامع الترمذي ، كتاب المناقب ، باب من قبل عليّ رقم (٣٧١٣) .

(٣) مسند أحمد (٣٤٧/٥) .

(٤) خصائص عليّ ص ([illegible]) رقم (٧٩) .

(٥) المستدرك (١١٠/٣) .

من باب قول النبي ﷺ « **من كنت مولاه فعليّ مولاه** » ، ويقولون إن قول النبي ﷺ من كنت مولاه فعليّ مولاه ، أي عليّ هو الخليفة والمولى ، بمعنى الوالي أي السيد الذي يجب أن يُطاع هذه هي جهة الدلالة .

وجاء الحديث كذلك عن عليّ رضي الله عنه لما كان في الرحبة في الكوفة أنه قال : من سمع الرسول ﷺ يقول لي يوم غدير خم : « **من كنت مولاه فعليّ مولاه** » [١] ، فشهد بذلك اثنا عشر بدرياً .

ولنذكر أولاً سبب قول النبي ﷺ هذا الكلام لعليّ رضي الله عنه :

يزعمون أن النبي ﷺ إنما أوقف الناس في هذا المكان في الحرّ الشديد أي في الجحفة ، التي فيها غدير خم وكان عددهم أكثر من مئة ألف – وكان مفترق الحجيج – وأنه اجتمع بهم النبي ﷺ ليبين لهم هذا الأمر وهو من كنت مولاه فعليّ مولاه [٢] ، ويزيدون الزيادات التي مر ذكرها .

والصحيح أن هذا الحديث سببه أمران اثنان :

الأول : عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال : أرسل خالد بن الوليد إلى النبي ﷺ ليرسل له من يقبض الخُمس [٣] ، فجاء عليّ وقبض الخُمس ثم اختار جارية من الخُمس ودخل بها ، وقال بريدة : وكنت أبغض علياً وقد اغتسل [٤] ، فقلت لخالد : ألا ترى إلى هذا ؟! ، فلما قدمنا إلى النبي ﷺ ذكرت ذلك له ، فقال النبي ﷺ لبريدة : « **يا بريدة أتبغض عليّاً ؟** » ، فقلت : نعم ، فقال النبي ﷺ : « **لا تبغضه فإن له في الخمس أكثر من ذلك** » [٥] ، وفي رواية [٦] ، أن النبي ﷺ قال لبريدة :

---

(١) انظر السلسلة الصحيحة رقم (١٧٥٠) .
(٢) مسند أحمد (٨٤/١) (١٥٢/٥) .
(٣) وكان النبي ﷺ قد أرسل خالد بن الوليد ليغزو اليمن ، وبعد أن انتصر أرسل إلى النبي ﷺ ليرسل له من يخمّس الغنيمة .
(٤) وذلك أن علياً رضي الله عنه لما خمّس أخذ وصيفة من السبي ، فدخل بها ثم خرج واغتسل .
(٥) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب بعث عليّ وخالد إلى اليمن رقم (٤٣٥٠) .
(٦) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب عليّ رقم (٣٧١٢) .



« **من كنت مولاه فعليّ مولاه** » .

الثاني : أخرج البيهقي من حديث أبي سعيد أن عليّاً منعهم من ركوب إبل الصدقة ، وأمَّر عليهم رجلاً وخرج إلى النبي ﷺ ثم لما أدركوه في الطريق إذا الذي أمره قد أذن لهم بالركوب فلما رآهم ورأى الإبل عليها أثر الركوب غضب ثم عاتب نائبه الذي جعله مكانه .

قال أبو سعيد : فلما لقينا رسول الله ﷺ ذكرنا ما لقيناه من عليّ (من الغلظة والتضييق) وفي رواية أنها كانت حللاً أرادوا أن يلبسوها فمنعهم عليّ رضي الله عنه من لبسها فقال رسول الله ﷺ : « **مه يا سعد بن مالك** (وهو أبو سعيد) **بعض قولك لأخيك عليّ ، فوالله لقد علمت أنه أحسن في سبيل الله** » .

وهذا قال عنه ابن كثير : إسناد جيد على شرط النسائي أخرجه البيهقي وغيره .

وقال ابن كثير - رحمه الله - :

إن عليّاً رضي الله عنه لما كثر فيه القيل والقال من ذلك الجيش بسبب منعه إيَّاهم استعمال إبل الصدقة واسترجاعه منهم الحلل التي أطلقها لهم نائبه لذلك، والله أعلم، لما رجع الرسول ﷺ من حجته وتفرغ من مناسكه وفي طريقه إلى المدينة مر بغدير خم فقام في الناس خطيباً فبرأ ساحة عليّ ، ورفع من قدره ونبَّه على فضله ليزيل ما وقر في قلوب كثير من الناس [1] .

إذاً هذا هو الأمر الذي كان سبب الحديث، هم تكلموا في عليّ ،ولذلك النبي ﷺ أخَّر الكلام إلى أن رجع إلى المدينة ولم يتكلم وهو في مكة في أيام منى أو في يوم عرفة ، وإنما أجل الأمر إلى أن رجع ، لماذا ؟ لأن هذا أمر خاص بأهل المدينة وذلك أن الذين تكلموا في علي رضي الله عنه من أهل المدينة وهم الذين كانوا مع عليّ في السرية .

وغدير خم في الجحفة وهي تبعد عن مكة تقريباً مائتين وخمسين كيلومتراً

---

(١) البداية والنهاية (٥/٩٥) .

والذي يقول إنه مفترق الحجيج كذاب ، لأن مجتمع الحجيج مكة ، ومفترق الحجيج مكة ، فلا يكون مفترق الحجيج بعيداً عن مكة أكثر من مائتين وخمسين كيلومتراً أبداً ، فإن أهل مكة يبقون في مكة وأهل الطائف يرجعون إلى الطائف وأهل اليمن إلى اليمن وأهل العراق إلى العراق ، وهكذا كل من أنهى حجه فإنه يرجع إلى بلده ، وكذلك القبائل العربية ترجع إلى مضاربها فلم يكن مع النبي ﷺ إلا أهل المدينة ومن كان على طريق المدينة فقط ، وهم الذين خطب فيهم النبي ﷺ فقال : « **من كنت مولاه فعليّ مولاه** » ، والاختلاف بين أهل السُّنة والشيعة في مفهوم قول النبي ﷺ لا في الثبوت فالشيعة يقولون « **من كنت مولاه فعليّ مولاه** » ، أي من كنت واليه فعليّ واليه وأهل السُّنة يقولون إن مفهوم قول النبي ﷺ : « **من كنت مولاه فعليّ مولاه** » ، أي الموالاة التي هي النصرة والمحبة وعكسها المعاداة ، **وذلك لأمور :**

﴿ ١ ﴾ للزيادة التي وردت وقلت صححها بعض أهل العلم ، وهي قول النبي ﷺ : « **اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه** » فالموالاة والمعاداة هي شرح لقوله : فعليّ مولاه فهي في محبة الناس لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه .

﴿ ٢ ﴾ إن وقوف النبي ﷺ لم يكن لأجل عليّ وإن كان عليّ يستحق ذلك وأكثر رضي الله عنه وأرضاه ولكن القصد أن وقوف النبي ﷺ كان للراحة ، والسفر من مكة إلى المدينة طويل ويكون من خمسة إلى سبعة أيام ، يستريح فيه النبي ﷺ أكثر من مرة ، والنبي ﷺ ذكّر الناس بكتاب الله وأهل بيته ، وأنه يجب أن يكون لهم الاحترام والتوقير والاتباع أيضاً ، ثم بعد ذلك نبه النبي ﷺ إلى ما وقع بشأن عليّ رضي الله عنه فقال : « **من كنت مولاه فعليّ مولاه** » .

﴿ ٣ ﴾ دلالة كلمة مولاه: قال ابن الأثير : المولى يقع على الرب والمالك والمُنعم والناصر والمُحب والحليف والعبد والمعتِق وابن العم والصهر [1] ، كل هذه

---

(١) النهاية في غريب الحديث (٢٢٨/٥) .

تطلق العرب عليها كلمة مولى .

﴿ ٤ ﴾ الحديث ليس فيه دلالة على الإمامة لأن النبي ﷺ لو أراد الخلافة لم يأت بكلمة تحتمل كل هذه المعاني التي ذكرها ابن الأثير ، ولكان الأولى أن يقول : عليّ خليفتي من بعدي أو عليّ الإمام من بعدي ، أو إذا أنا متُّ فاسمعوا وأطيعوا لعليّ بن أبي طالب ، ولكن لم يأت النبي ﷺ بهذه الكلمة الفاصلة التي تنهي الخلاف إن وجد أبداً ، وإنما قال من كنت مولاه فعليّ مولاه [1] .

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥) ﴾ [الحديد : ١٥] ، فسماها مولى لشدة الملاصقة والاتحاد مع الكفار والعياذ بالله .

﴿ ٥ ﴾ الموالاة وصف ثابت لعليّ في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته وبعد وفاة عليّ رضي الله عنه فعليّ كان مولى المؤمنين في حياة الرسول ﷺ ، وكان مولى المؤمنين بعد وفاة رسول الله ﷺ وهو مولى المؤمنين بعد وفاته رضي الله عنه فهو الآن مولانا كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) ﴾ [المائدة : ٥٥] ، وعليّ رضي الله عنه من رؤوس الذين آمنوا .

﴿ ٦ ﴾ لو كان النبيﷺ يريد الوالي لما قال مولى، ولكن يقول : والي ، فكلمة مولى تختلف عن كلمة والي فالوالي من الولاية وهي الحكم أما المولى فهي من الولاية وهي الحب والنصرة ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ

---

(١) قال النووي الطبرسي أحد كبار علماء الشيعة : لم يصرح النبي ﷺ لعليّ رضي الله عنه بالخلافة بعده ، بلا فصل في يوم الغدير وأشار إليها بكلام مجمل مشترك بين معان يحتاج في تعيين ما هو المقصود منها إلى قرائن ، فصل الخطاب (٢٠٥ - ٢٠٦).

فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤) ﴾ [التحريم : ٤] ، من المحبة والنصرة والتأييد .

﴿ ٧ ﴾ قال الله تبارك وتعالى عن قوم إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ [آل عمران : ٦٨] ، ولم يعن هذا أنهم هم الرؤساء على إبراهيم بل هو إمامهم ورئيسهم ﷺ .

﴿ ٨ ﴾ **قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى عن حديث زيد :** يعني بذلك ولاء الإسلام كما قال الله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَىٰ لَهُمْ (١١) ﴾ [محمد : ١١] [١] .

فالحديث لا يدل على أن علياً رضي الله عنه هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ ، وإنما يدل على أن علياً من أولياء الله تبارك وتعالى تجب له الموالاة وهي المحبة والنصرة والتأييد .

[٢] حديث الكساء :

وقد روته عائشة رضي الله عنها [٢] ، قالت : خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل (وهو الكساء) فأدخل علياً وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ، ثم قال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] [٣] .

يستدلون بهذا الحديث على أن الله تبارك وتعالى أراد أن يذهب عنهم الرجس ، وما يريده الله يقع ، فإذا أذهب الله عنهم الرجس صاروا معصومين ، فإذا صاروا معصومين فيجب أن يكونوا هم الأولى بالخلافة من غيرهم .

---

(١) النهاية في غريب الحديث (٥/٢٢٨) .
(٢) وهذا يبين كذب المدعي من أن الصحابة كانو يكتمون فضائل عليّ ، فهذه عائشة التي يدّعون أنها تبغض علياً هي التي تروى هذا الحديث في فضله ويخرجه مسلم في صحيحه .
(٣) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة رقم (٢٤٢٤) .



وهذا إدعاء باطل لأمور كثيرة منها :

أولاً : هذه الآية وهي التي تسمى آية التطهير إنما نزلت في نساء النبي ﷺ كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤) ﴾ [الأحزاب : ٣٢ – ٣٤] .

فالذي يراعي سياق هذه الآيات يوقن أنها في نساء النبي ﷺ خاصة ، وهم يستدلون بقول الله تبارك وتعالى: ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ﴾، ولم يقل عنكن ، ويطهركم ولم يقل يطهركن ، فيقولون لما جاءت هنا ميم الجمع دل على خروج نساء النبي من التطهير ودخول عليّ وفاطمة والحسن والحسين بدليل الحديث وهذا باطل لأن الآية متصلة وهي قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ ، ثم أتبعها كذلك ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ ، فالخطاب كله في هذه الآيات لنساء النبي ﷺ.

ثانياً : ذكر ميم الجمع بدل نون النسوة ؛ لأن النساء دخل معهن النبي ﷺ « وهو رأس أهل بيته ﷺ » ، كما قال الله تبارك وتعالى عن زوجة إبراهيم ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (٧٣) ﴾ [هود : ٧٣] مع أنهما إبراهيم وزوجته ، وقال تعالى عن موسى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩) ﴾ [القصص : ٢٩] ، وكانت معه زوجته، فقول الله ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ ، وقال هنا : عنكم لدخول النبي ﷺ مع نسائه في هذه الآية لا أن عليًّا وفاطمة والحسن والحسين دخلوا ضمن هذه الآية ، وإنما كان عليّ والحسن والحسين

وفاطمة ﷺ من أهل بيت النبي ﷺ بدليل حديث الكساء لا بدليل الآية ، فحديث الكساء هو الذي يدل على أن علياً وفاطمة والحسن والحسين من آل بيت النبي ﷺ ، وذلك لما غطاهم النبي ﷺ بالكساء قرأ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ فأدخلهم في أهل بيته .

ثالثاً : أن معنى أهل بيت النبي ﷺ يتعدى زوجات النبي ﷺ ويتعدى علياً والحسن والحسين وفاطمة إلى غيرهم كما في حديث زيد بن أرقم وأنه لما قيل له نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته الذين حُرموا الصدقة وهم آل عليّ وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس [(١)] ، إذاً اتسع مفهوم أهل بيت النبي ﷺ إلى أكثر من ذلك ، فهم نساؤه بدليل الآية وعليّ وفاطمة والحسن والحسين بدليل حديث الكساء وبدليل حديث زيد بن أرقم وآل عباس وآل عليّ بن أبي المطلب وآل عقيل بن أبي طالب وآل جعفر بن أبي طالب بدليل حديث زيدابن أرقم ، فكل هؤلاء هم أهل بيت النبي ﷺ بل جميع بني هاشم من آل البيت ، وهم كل من حُرِمَ الصدقة . بدليل حديث عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب قال : اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب فقالا : والله لو بعثنا هذين الغلامين « قالا لي وللفضل بن العباس » إلى رسول الله ﷺ فكلماه فأمَّرهما على هذه الصدقات فأديا ما يؤدي الناس وأصابا مما يصيب الناس قال : فبينما هما في ذلك جاء عليّ بن أبي طالب فوقف عليهما فذكرا له ذلك ، فقال عليّ بن أبي طالب : لا تفعلا . فوالله ما هو بفاعل ، فانتحاه ربيعة بن الحارث فقال : والله ما تصنع هذا إلا نفاسة منك علينا « يعني تحسدنا » فوالله لقد نلت صهر رسول الله ﷺ فما نفسناه عليك .

قال عليّ : أرسلوهما ، فانطلقا واضطجع علي .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة رقم (٢٤٠٨) .

قال : فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر سبقاه إلى الحجرة قال فقمنا عندها حتى جاء فأخذ بآذاننا ، ثم قال : أخرجا ما تصرران ، ثم دخل ودخلنا عليه وهو يومئذ عند زينب بنت جحش . قال : فتواكلنا الكلام ثم تكلم أحدنا فقال : يا رسول الله أنت أبرّ الناس وأوصل الناس ، وقد بلغْنا النكاح وجئنا لتؤمرنا على بعض هذه الصدقات فنؤدي إليك كما يؤدي الناس ونصيب كما يصيبون قال : فسكت طويلاً حتى أردنا أن نكلمه . قال : وجعلت زينب تلمع علينا من وراء الحجاب أن لا تكلماه . قال : ثم قال : « **إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد ، إنما هي أوساخ الناس** »[(١)] .

رابعاً : الآية ليس فيها أن الله أذهب عنهم الرجس لأن هذه الإرادة إرادة شرعية ، إرادة المحبة ، وهي غير الإرادة القدرية يعني يحب الله أن يذهب عنكم الرجس ، ولا شك أن الله أذهب الرجس عن فاطمة والحسن والحسين وعليّ وزوجات النبي ﷺ وآل عقيل وآل جعفر ، وآل عباس ، ولكن الإرادة هنا في هذه الآية هى الإرادة الشرعية ، ولذلك في الحديث نفسه أن النبي ﷺ لما جلّلهم بالكساء قال : « **اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس** »[(٢)] ، فإذا كان الله أذهب عنهم الرجس لماذا يدعو لهم بإذهاب الرجس ؟!! .

دعاء النبي ﷺ دليل على أن هذه الإرادة شرعية ، مثل قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا (٢٨)** ﴾ [النساء ٢٦ – ٢٨] ، كل هذه الإرادات التي ذكرها الله تبارك وتعالى إنما هي الإرادات الشرعية ، فالله يريد أن يخفف عن الناس جميعاً ، ويريد أن يتوب على الناس جميعاً ولكن هل

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الزكاة ، رقم (١٠٧٢) ، وربيعة بن الحارث هو عبد المطلب [illegible] هاشم بن عم النبي ﷺ ، فكل بني هاشم من آل البيت .

(٢) جامع الترمذي ، كتاب المناقب ، مناقب أهل بيت النبي ﷺ رقم (٣٧٨٧) .

تاب الله على جميع الناس ؟! فمن الناس مؤمن وكافر ، ولم يتب الله على جميع الناس ، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [التغابن : ٢] .

خامساً : إن الله تبارك وتعالى يريد إذهاب الرجس عن كل أحد وعن كل مؤمن ، ولذلك أمر النبي ﷺ المسلم إذا أراد أن يصلي أن يتجنب أماكن الوسخ وقال الله : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ ﴾ [المدثر : ٤] ، وأمر بالوضوء وأمر بالاغتسال عند الجنابة .

سادساً : التطهير ليس خاصاً بعليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم بل واقع لغيرهم أيضاً كما قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ⑩③ ﴾ [التوبة : ١٠٣] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ⑥ ﴾ [المائدة : ٦] ، وقال تعالى : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ⑪ ﴾ .

[الأنفال : ١١] .

سابعاً : إذهاب الرجس لا يدل على أنهم الخلفاء بعد رسول الله ﷺ بل نحن نوقن أن الله أذهب عن عليّ الرجس ولذلك صار مولى المؤمنين وكذلك الحسن والحسين وفاطمة ، وكذلك زوجات النبي ﷺ ، ولذلك سماهن أمهات المؤمنين ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ

بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٦) ﴾ [الأحزاب : ٦] .

وكذلك أصحاب النبي ﷺ فإن الله أذهب عنهم الرجس جميعاً بدليل الآيات التي ذكرناها سالفًا فصاروا موالي المسلمين ، ثم إن ذهاب الرجس لا يدل على العصمة ولا يدل على الإمامة من باب أولى [١] .

[٣] آية الولاية :

وهي قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) ﴾ [المائدة : ٥٥] ، ذكروا في تفسير هذه الآية حديثاً عن عليّ رضي الله عنه أنه في الصلاة كان راكعاً ، فجاء فقير يسأل الصدقة وقيل يسأل الزكاة ، فمد عليّ يده وفيها خاتم فأخذ الفقير الخاتم من يد عليّ رضي الله عنه فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) ﴾ [المائدة : ٥٥] ، قالوا : وما أعطى الزكاة وهو راكع إلا عليّ فصار هو الولي فهو الخليفة .

والرد عليهم من وجوه :

أولاً : هذه القصة ليس لها سند صحيح ، ولم يثبت عن علي رضي الله عنه أنه تصدق بالخاتم وهو راكع ، يريدون مدحاً لعليّ رضي الله عنه وهو غني عن مدحهم بما مدحه الله ، وبما مدح رسول الله ﷺ فيذمونه ، فالله تبارك وتعالى يقول : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) ﴾ [المؤمنون : ١ ، ٢] ، وذلك أن النبي ﷺ يقول : « **إن في الصلاة لشغلاً** » [٢] ، فكيف نرضى لعليّ رضي الله عنه وهو

---

(١) انظر تفصيل الرد على هذه الشبهة مختصر التحفة الإثنى عشرية ص(١٤٩) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب العمل في الصلاة ، باب ما ينهى عن الكلام ، رقم(١١٩٩) ، صحيح مسلم ، كتاب المساجد رقم(٥٣٨) .

من رؤوس الخاشعين وأئمتهم أن يتصدق وهو يصلي ؟ أما كان يستطيع أن ينتظر حتى يقضي صلاته ثم يتصدق ، بالطبع كان يستطيع ذلك ، والأولى أن الإنسان يخشع في صلاته قدر ما يستطيع ويؤخر مثل هذه الأمور إلى ما بعد الصلاة .

ثانياً : إن الأصل في الزكاة أن يبدأ بها المزكي ، لا أن ينتظر حتى يأتيه الطالب، فأيهما أفضل أن تبادر أنت بدفع الزكاة ؛ أو أن تجلس في بيتك وزكاتك عندك ، ثم تنتظر الناس حتى يطرقوا عليك الباب فتعطيهم زكاة أموالك ؟ لا شك أن الأول الأفضل .

ثالثاً : إن علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان فقيراً في حياة الرسول ﷺ ولذلك كان مهر فاطمة من عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا درعاً فقط ، لم يمهرها مالاً لأنه لم يكن له مال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه كان فقيراً ومثلُ عليّ لا تجب عليه الزكاة ولم تجب عليه الزكاة في حياة النبي ﷺ .

رابعاً : هذه الآية ليس فيها مدح إعطاء الزكاة في حال الركوع ، وإلا كان كل إنسان يمدح إذا دفع الزكاة وهو راكع ، ولصارت سُنة لأن الله مدح من يدفع الزكاة وهو راكع ، فتكون السُّنة في دفع الزكاة أن يدفعها الإنسان وهو راكع ، وهذا لم يقل به أحد .

خامساً : ذكر الله تبارك وتعالى إقامة الصلاة ، وهي غير الأداء لأن إقامة الصلاة كما يقول عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا هي أن يؤديها كما أداها رسول الله ﷺ أي على الكمال في الطهارة ، على الكمال في الأداء ، في الركوع ، في السجود ، في الخشوع ، في الذكر ، في القراءة ، وهذه هي الإقامة للصلاة فَلِمَ يقول : ﴿ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ، كيف يكرر الركوع بعد ذكر إقامة الصلاة ؟ لا شك أن المراد ركوع آخر المراد هو الخضوع لله تبارك وتعالى ، كما قال الله تبارك وتعالى عن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [ص : ٢٤] ، وهو قد خر ساجداً ، وإنما سماه راكعاً للذل والخضوع لله تبارك وتعالى ، وكما قال الله تبارك

وتعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ (٤٨) ﴾ [المرسلات : ٤٨] ، أي اخضعوا واستسلموا لأمر الله تبارك وتعالى ، وكذلك قال عن مريم : ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٣] ، أي اخضعي واخشعي لأمر الله تبارك وتعالى ، فمريم كانت منقطعة للعبادة وهي ممن لا تجب عليها صلاة الجماعة ، فليس مقصود الله تبارك وتعالى في هذه الآية أن الإنسان يستحب له أن يدفع الزكاة وهو راكع .

سادساً: سبب نزول هذه الآية أنه لما خانت بنو قينقاع الرسول ﷺ ذهبوا إلى عبادة بن الصامت رضي الله عنه كما أخرج ذلك ابن جرير في تفسيره ، وأرادوه أن يكون معهم فتركهم وعاداهم وتولى الله ورسوله ، فأنزل الله جل وعلا الآية : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) ﴾ [1] [المائدة : ٥٥] ، أي والحال أنهم خاضعون في كل شؤونهم لله تبارك وتعالى ولذلك قال الله تبارك وتعالى في أول الآيات : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١] ، يعني عبد الله بن أُبي بن سلول ، لأنه كان موالياً لبني قينقاع ولما حصلت الخصومة بينهم وبين النبي ﷺ والاهم ونصرهم ووقف معهم وذهب إلى النبي ﷺ ، يشفع لهم أما عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأرضاه فأنه تبرأ منهم وتركهم فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [المائدة : ٥١] ، ثم عقب تبارك وتعالى بذكر صفة المؤمنين ،وهو عبادة بن الصامت رضي الله عنه ومن اتبعه ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) ﴾ [المائدة : ٥٥] ،

---

(١) تفسير الطبري (١٧٨/٦) .

فهذه الآية نزلت في عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

سابعاً : إنه يستطيع كل أحد أن يقول مثل هذا الكلام ، فيستطيع محبُّوا معاوية أن يقولوا نزلت في معاوية وأن يأتوا بحديث مكذوب كما أتى غيرهم بحديث مكذوب عن عليّ ، ثم يأتي محبوا عثمان فيقولون نزلت في عثمان ويأتون أيضاً بحديث مكذوب .

ثامناً : على فرض نزولها في عليّ ،فإنها لا تدل على الخلافة بعد رسول الله ﷺ وإنما تدل على أننا يجب أن نتولى عليّ بن أبي طالب ونحن نتولاه رضي الله عنه وأرضاه .

تاسعاً : الآية جاءت بلفظ الجمع وعليٌّ واحد ونحن وإن كنا نقول إنه يمكن أن يذكر الجمع ويراد به المفرد إلا أن الأصل أنه إذا أطلق الجمع أريد به الجمع إلا بقرينة ولا قرينة هنا .

عاشراً : ويقولون في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) ﴾ [المائدة : ٥٥] ، للحصر فتبطل خلافة من سبق يعنون أبا بكر وعمر وعثمان . ونحن أولاً أبطلنا أن تكون هذه الآية نزلت في عليّ رضي الله عنه ، ثم لو فرضنا أن قوله : ﴿ إِنَّمَا ﴾ للحصر وهي تبطل خلافة أبي بكر وعمر وعثمان فهي أيضًا – إذا كانت للحصر – تبطل خلافة الحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومُحمد الباقر وجعفر وغيرهم .

[٤] حديث المنزلة :

خرج النبي ﷺ في غزوة تبوك ، ولم يأذن لأحد أن يتخلف عنه وما تخلف في المدينة إلا ستة أصناف :

الصنف الأول : الذين أمرهم النبي ﷺ بالجلوس .

الصنف الثاني : المعذورون من المرضى وكبار السن والمعاقين والعُمي والفقراء ، ومن شابههم .

الصنف الثالث : النســاء .

الصنف الرابـع : الأطفال .

الصنف الخامس : المخلفون العاصون الذين عصوا أمر رسول الله ﷺ فتخلفوا عنه في هذه الغزوة ، وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وسبعة آخرون .

الصنف السادس: المنافقون .

هذه ستة أصناف فقط وكان عليّ رضي الله عنه من الصنف الأول وهم الذين أمرهم النبي ﷺ بالجلوس في المدينة فتكلم المنافقون وقالوا : إن النبي ﷺ إنما ترك عليّاً في المدنية لأمر في نفسه يعني بغضاً لعليّ [(١)] .

فبلغ عليّاً رضي الله عنه هذا الكلام فتبع النبي ﷺ وهو خارج من المدينة وفي رواية أنه يبكي[(٢)]،رضوان الله تعالى عليه ، فقال: يا رسول الله أتُخلفني في النساء والصبية؟!! .

فطيَّب النبي ﷺ خاطره وقال : « **ألا ترضي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي** » [(٣)] ، قالوا : قول النبي ﷺ ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى دليل على أن عليّاً رضي الله عنه هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ لأن هارون هو الخليفة بعد موسى لما خرج لمقيات ربه ، فعليّ هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ ، **وهذا باطل من وجوه :**

الأول : إن هارون لم يَخْلُف موسى بل المشهور أن هارون عليه الصلاة والسلام توفي قبل موسى بسنة [(٤)] .

الثاني : إن هارون بقي في المدينة لما خرج موسى للقاء ربه ومع هارون العسكر

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣٤٧/١٧) .
(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣٤٥/١٧) .
(٣) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عليّ رقم (٣٧٠٦) بدون تفاصيل القصة . مسلم ، كتاب فضائل الصحابة بدون تفاصيل القصة .
(٤) تاريخ الطبري (٣٠٤/١) ، البداية والنهاية (٢٩٧/١) .

والجيش، وخرج موسى ومعه بعض الرجال للقاء ربه تبارك وتعالى ، أما عليّ فلم يبق أحد من العسكر معه إلا الذين عصوا أمر الله ، أو من أمره الرسول ﷺ بالبقاء فاختلف الأمر .

الثـالـث : إن النبي ﷺ إنما طيَّب خـاطر عليّ رضي الله عنه لأن عليّاً هو الذي جـاء واشتكى ولو لم يأت عليّ للنبي ﷺ ما قال له هذا الكلام .

فبيَّن له أن الأمر ليس كذلك ، فأنا ما خلفتك بغضاً لك ، أتعلم أن موسى لما خرج للقاء ربه ترك هارون ولم يكن هذا منقصة لهارون عليه السلام ، كذلك إذا خرجت أنا وتركتك في المدينة فليس هذا منقصة لك ولذلك لو كان غير عليّ وجاء للنبي ﷺ واشتكى بنفس الشكوى التي اشتكاها عليّ لما كـان يبعد أن يقـول له النبي ﷺ هذا الكلام نفسه ، وإنما اشتكي عليّ ولم يشتك غيره لأن بقية الولاة ما كان النبي ﷺ يتركهم مع النساء والصبية فقط ، بل كان يستخلفهـم على رجـال ، ولم يـكن النبي ﷺ يخرج بالجيش كله ، فعليّ رضي الله عنه لما رأى الأمر كأن فيه منقصة وتكلم المنافقون خرج خلف النبي ﷺ يسأله عن سبب هذا الترك ، فبيَّن له النبي ﷺ أنه ليس من كره ولا كما يدعي المنافقون إنما كما أبقى موسى هارون أنا أُبقيك في أهلي .

الرابع: إن النبي ﷺ لم يبق عليّاً خليـفـة على المدينة في هذه الغـزوة ، بل استخلفه على أهل بيته خاصة ، كما يذكر أهل السير كابن جرير[1]، وابن كثير[2]، وغيرهما أن الوالي على المدينة في تلك الغزوة وهو محمد بن مسلمة وليس عليّ بن أبي طالب .

الخامس : كيف يمكن لنا أن نفهم أن هذا الترك من النبي ﷺ لعليّ منقبة له ، وأنه لا ينبغي أن يخرج النبي ﷺ إلا وعليّ خليفته ، ثم نرى عليّاً يخرج باكياً خلف النبي ﷺ ، أفهمناها ولم يفهم عليّ رضي الله عنه ؟ فلو كان ترك النبي ﷺ لعليّ منقبة بحد

---

(١) تاريخ الطبري (٣٦٨/٢) ، ولكن قال الوالي على المدينة سباع بن عرفطة .
(٢) البداية والنهاية (٧/٥) .

ذاتها لما خرج خلفه ، ولعلم أن النبي ﷺ لا يخرج إلا وهو خليفته من بعده .

السادس : إن النبي ﷺ استخلف غير عليّ بعده فإنه بعد غزوة تبوك خرج إلى حجة الوداع وكان عليّ في اليمن ولم يترك علياً في المدينة .

أما تشبيه النبي ﷺ لعليّ بهارون فنقول إن النبي ﷺ شبه أبا بكر وعمر بأعظم من هارون ففي غزوة بدر ، لما كانت قضية الأسرى واستشار النبي ﷺ أبا بكر ، فرأى أن يعفو عنهم وأن يفاديهم قومهم ، ورأي عمر أن يقتلهم، فقال النبي ﷺ لأبي بكر : إن مثلك كمثل إبراهيم يوم قال : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦) ﴾ [إبراهيم : ٣٦] ، ومثلك كمثل عيسى عليه السلام إذ قال : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٨] ، ثم التفت إلى عمر فقال : يا عمر إن مثلك مثل نوح لما قال : ﴿ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦] ، ومثلك كمثل موسى لما قال : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ (٨٨) ﴾ [يونس : ٨٨] ، فشبه أبو بكر بإبراهيم وعيسى – عليهما السلام – وشبه عمر بنوح وموسى – عليهما السلام –، وأولئك من أولي العزم وهم خير البشر بعد رسول الله ﷺ ، وهم أفضل من هارون بدرجات صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فليس تشبيه النبي لعليّ بهارون بأفضل أو بأعظم من تشبيه النبي ﷺ لأبي بكر وعمر بإبراهيم وعيسى وموسى ونوح عليهم صلوات الله وتسليماته.

[٥] آية ذوي القربى :

وهي قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣) ﴾ [الشورى: ٢٣]، وقالوا : إن النبي ﷺ أمر الناس

بمودة قرابته ، وبعضهم ينقل الإجماع على أنها في قربى آل محمد ﷺ وهذا كذب ، فالحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير قال : سُئل ابن عباس عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾، فقلت أي : « سعيد بن جبير » : إلا أن تودوني في قرابتي [١] ، فالتفت إليَّ عبد الله بن عباس وقال : عجلت فوالله ما من بطن من بطون قريش إلا ولمحمد فيهم قربى ، فقال : إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة [٢] .

ويدل على ذلك أن الله تبارك وتعالى لما ذكر الخُمس قال : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١) ﴾ [الأنفال : ٤١] ، ولم يقل : في القربى وإنما قال : ﴿ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ ، وقال الله تبارك وتعالى عن رسوله ﷺ : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦) ﴾ [ص : ٨٦] .

فالنبي ﷺ لا يسأل أجراً ، فكيف يدَّعون أن النبي ﷺ يقول لهم : أسألكم أجراً واحداً وهو أن تودوا قرابتي ؟! ، أبداً النبي ﷺ لا يسأل أجراً ، بل جميع الأنبياء الذين أرسلهم الله تبارك وتعالى لم يسألوا قومهم أجراً .

- فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه : ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) ﴾ [الشعراء : ١٠٩] .
- وهود عليه السلام قال لقومه : ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧) ﴾ [الشعراء : ١٢٧] .

---

(١) ذكر الأنطاكي في كتابه لماذا اخترت مذهب الشيعة هذا الحديث وبتره هنا ونسب كلام سعيد إلى ابن عباس ، انظر ص (٨٤) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة الشورى ، باب المودة في القربى رقم (٤٨١٨)

■ وصالح عليه السلام قال لقومه : ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧) ﴾ [الشعراء : ١٤٥] .

■ ولوط عليه السلام قال لقومه : ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧) ﴾ [الشعراء : ١٦٤] .

■ وشعيب قال لقومه : ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧) ﴾ [الشعراء : ١٨٠] .

■ والنبي ﷺ أكرم الأنبياء وأفضلهم ، وهو أولى بأن لا يسأل أجرًا ، وهو مصداق قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ .

معنى ﴿ إِلاَّ ﴾ ، هنا إما أن تكون استثناء متصلاً وإما أن تكون استثناء منقطعاً أي بمعنى « لكن » وهو الصحيح بدلالة الآيات التي ذكرناها قريباً ، وهي أن النبي ﷺ لا يسأل أجراً أبداً فيكون قول الله ﴿ إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ ، ولكن وُدُّوني في قرابتي ، أنا قريب منكم دعوني أدعو الناس ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه سأل قريشاً أن يتركوه يدعو إلى الله فإن ظهر كان لهم هذا وإن قتله الناس فيسلمون من دمه ، فالنبي ﷺ ما سأل أجراً أبداً لقرابته ، ثم لو كان يريد أجراً لقرابته كان يقول : « لذي القربى أو لذوي القربى » أما أن يقول « في القربى » فلا يصح ثم إن هذه الآية مكية وعليّ صغير السن والحسن والحسين غير موجودين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

جميع ما في القرآن من التوصية بحقوق ذوي قربى النبي ﷺ وذوي قربى الإنسان ، إنما قيل فيها « ذوي قربى » ولم يقل « في القربى » [1] ، ثم يقال كذلك ليس مناسبًا لشأن النبوّة طلب الأجر وهو مودة ذوي قرباه ، لأن هذا من شيمة

---

(١) منهاج السنة النبوية (٧/١٠١) .

طالبي الدنيا ، ثم إن هذا القول يوجب تهمة النبي ﷺ .

[٦] حديث الثقلين :

حديث : « **تركت فيكم ما إن تمسكتم بـه لن تضلـوا بعدي أبـداً ،كتـاب الله وعترتي** »[١] .

يستدلون بهذا الحديث على أنه يجب أن يتمسك المؤمن بعترة النبي ﷺ ثم قالوا بعد ذلك إذا وجب التمسك بهم صاروا هم أولياء الأمر بعد رسول الله ﷺ وهم الخلفاء من بعده وهذا يُردُّ عليه أيضاً من وجوه :

الوجه الأول : الحديث فيه كلام من حيث صحته وثبوته عن النبي ﷺ والثابت عند مسلم أن الأمر كان بالتمسك بكتاب الله ، والوصية بأهل البيت كما مر من حديث زيد بن أرقم في صحيح مسلم فأوصى بكتاب الله وحث على التمسك به ثم قال : « **وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي** » ، فالذي أمر بالتمسك به كتاب الله ، وأما أهل بيت النبي ﷺ فأمر برعايتم وإعطائهم حقوقهم التي أعطاهم الله تبارك وتعالى إياها .

وقد ثبت من حديث جابر في مسلم ، أن النبي ﷺ لما خطب في حجة الوداع قال : « **قد تركت فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به ، كتاب الله** »[٢] .

فهو الذي إذا تمسك به الإنسان لا يضل أبداً ، ولم يذكر أهل البيت .

الوجه الثاني : مَن عترة النبي ﷺ ؟ .

عترة الرجل هم أهل بيته ، وعترة النبي ﷺ هم كل من حرمت عليه الزكاة وهم بنو هاشم ، هؤلاء هم عترة النبي ﷺ ولننظر من أولى الناس بالتمسك بهؤلاء ؟ السُّنَّة

---

(١) جامع الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب أهل البيت رقم (٣٧٨٦) ، وفيه زيد الأنماطي ، وهو منكر الحديث ، والحديث له أكثر من طريق مع اختلاف ألفاظه ولا يخلو طريق من ضعف .

(٢) صحيح مسلم كتاب الحج رقم (١٢١٨) .

أو الشيعة ؟، الشيعة ليس لهم أسانيد إلى الرسول ﷺ وهم يقرون بهذا أنهم ليس عندهم أسانيد في نقل كتبهم ومروياتهم وإنما هي كتب وجدوها فقالوا أرووها فإنها حق [١] ، أما أسانيدهم فكما يقول الحر العاملي وغيره من أئمة الشيعة إنه ليس عند الشيعة أسانيد أصلاً ولا يعولون على الأسانيد [٢] ، فأين لهم أن ما يروونه في كتبهم ثابت عن عترة النبي ﷺ ؟ بل نحن أتباع عترة النبي ﷺ الذين أعطيناهم حقهم ولم نزد ولم ننقص كما قال النبي ﷺ : « **لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله** » [٣] .

الوجه الثالث : إمام العترة وعالمها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، ويأتي بعده في العلم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وعالمها حبر هذه الأمة ، وكان يقول بإمامة أبي بكر وعمر قبل عليّ رضي الله عنهم بل إن عليّ بن أبي طالب قد ثبت عنه بالتواتر أنه قال : « **أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر** » [٤] .

بل ثبت عنه عند الشيعة أنه قال : أنا لكم وزيراً خير مني أميراً [٥] ، فعليّ يقر بفضل الشيخين وهو إمام العترة .

الوجه الرابع : هذا الحديث مثل قول النبي ﷺ : « **تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً ، كتاب الله وسُنّتي** » [٦] .

وقال النبي ﷺ : « **عليكم بسُنّتي وسُنّة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا**

---

(١) روى الكليني عن محمد بن الحسن قال : قلت لأبي جعفر الثاني : جعلت فداك إن مشايخنا رووا عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وكانت التقية شديدة فكتموا كتبهم ولم ترو عنهم ، فلما ماتوا صارت الكتب إلينا فقال : حدثوا بها فإنها حق . الكافي (٥٣/١) .

(٢) انظر كتابه خاتمة الوسائل فإنه يبين فيه أن الاثنى عشرية ليس لهم أسانيد تصحح على أساسها الروايات ، وأن قضية الإسناد أمر مستحدث ، الفائدة التاسعة .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾ [مريم : ١٦] .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً » رقم (٣٦٧١) .

(٥) نهج البلاغة ص (٩٥) خطبة رقم (٩٢) .

(٦) مستدرك الحاكم (٩٣/١) .

عليها بالنواجذ »[(١)] ، فأمر بالعضّ عليها بالنواجذ .

وقال : « **اقتدوا بالّذين من بعدي ، أبي بكر وعمر** »[(٢)] .

وقال : « **اهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن مسعود** »[(٣)] ، ولم يدل هذا على الإمامة أبداً ، وإنما دلّ على أن أولئك على هدي الرسول ﷺ ، ونحن نقول إن عترة النبي ﷺ لا تجتمع على ضلالة أبداً ، ولكن من أصحاب عترة النبي ﷺ ؟! ، قد فصلنا ذلك فيما سبق .

الوجه الخامس : إن الشيعة يطعنون في العباس[(٤)] ، ويطعنون في ابنه عبد الله[(٥)] ، ويطعنون في أولاد الحسن ، وقالوا : إنهم يحسدون أولاد الحسين[(٦)] ، ويطعنون كذلك في أبناء الحسين نفسه ، من غير الأئمة الذين يدعون كزيد بن عليّ[(٧)] ، وكذلك إبراهيم أخي الحسن العسكري[(٨)] ، وغيرهم فهم ليسوا بأولياء للنبي ﷺ وعترته بل أولياءُ النبي ﷺ وعترته هم الذين مدحوهم وأثنوا عليهم وأعطوهم حقهم ولم ينقصوهم .

الوجه السادس : نظرة المبتدعة ليست نظرة اتباع وإنما هي نزعة شعوبية فارسية ، فالنظر عندهم ليس نظراً في إسلام وكفر ، وإنما النظر نظر فرس وعرب .

وهذا يدل عليه أمور منها :

﴿ ١ ﴾ تعظيمهم لسلمان الفارسي من دون أصحاب النبي ﷺ ، حتى قالوا إنه

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب السُّنة ، باب : لزوم السُّنة رقم (٤٦٠٧) ، وجامع الترمذي ، كتاب العلم ، باب : ماجاء في الأخذ بالسُّنة (٢٦٧٦) .

(٢) جامع الترمذي كتاب المناقب باب مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، رقم (٣٦٦٣)، سنن ابن ماجه ، المقدمة باب فضائل أصحاب النبي ﷺ رقم (٨٦) .

(٣) جامع الترمذي كتاب المناقب ، باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رقم (٣٨٠٥) .

(٤) رجال النجاشي (٥٢) .

(٥) رجال النجاشي (٥٢) ، الكافي (٢٤٧/١) ، وفيه أثر سخيف العقل .

(٦) الكافي (١٥٥/٢).

(٧) بحار الأنوار (١٩٤/٤٦) ، واتهموه أنه كان يشرب الخمر .

(٨) الكافي (٤٠٥/١) واتهموه بأنه فاجر ماجن شريب للخمور .

يوحى إليه (١) ، وذلك لأنه من فارس .

﴿ ٢ ﴾ تعظيمهم لأولاد الحسين دون أولاد الحسن لماذا ؟! ، لأن أخوال أولاد الحسين من الفرس من شهربانو بنت يزدجرد وهي أم عليّ بن الحسين رضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين ، فيرون أن الشجرة الساسانية الكريمة التقَت مع الشجرة الهاشمية (٢) .

﴿ ٣ ﴾ قالوا : كسرى في النار ، والنار محرمة عليه (٣) ، لماذا ؟!! نظرة فارسية تعظيم لكسرى حتى وهو قد مات على الكفر قالوا : النار محرمة عليه .

﴿ ٤ ﴾ ثم جاء متأخرهم ولعله ليس بأخرهم وهو الإحقاقي الحائري ، وقال عن أصحاب النبي ﷺ لما فتحوا بلاد فارس : أولئك العرب الأعراب الأوباش عُبَّاد الشهوات الذي يتعطشون إلى عفة نساء فارس (٤) .

هكذا يصف أصحاب النبي ﷺ ، وهذا يصف نساء فارس في ذلك الوقت ، لما كُنَّ مجوسيات ، يقول عنهن : عفيفات ، ويقول عن أصحاب النبي ﷺ إنهم عطاشا لأعراض نساء فارس ، فالنظرة إذاً ليست نظرة إسلام وكفر ، أو نظرة إمامة عليّ وترك إمامة غيره ، لا ، إنما النظرة نظرة شعوبية بحتة .

[٧] حديث عليّ مني وأنا من عليّ :

قالوا قول النبي ﷺ : « **عليّ مني وأنا من عليّ** » دليل على أن علياً هو الإمام بعد الرسول ﷺ .

ونقول : عليّ من النبي ، والنبي ﷺ منه ، في الاتباع والنصرة ، ولذلك قال النبي ﷺ عن جليبيب لما فقده في غزوة أُحد : « **انظروا إليَ جليبيب** » ، قالوا : ما وجدناه قال : « **ابحثوا عنه في القتلى** » ، فوجدوه قد سقط وحوله سبعة من الكفار

(١) رجال الكشي (٢١) .

(٢) بحار الأنوار (٣٢٩/٤٥) .

(٣) بحار الأنوار (٢١٤/٤١) .

(٤) رسالة الإيمان (٣٢٣) .

فأخبروا النبي ﷺ فقال : « **قتل سبعة وقتلوه ، جليبيب مني وأنا منه** » [١] .

ولما ذكر النبي ﷺ الأشعريين قال : « **هم مني وأنا منهم** » [٢] .

فلا يلزم من قول النبي ﷺ عن عليّ رضي الله عنه إنه مني وأنا منه أنه هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ ، بل هذا للمبالغة في بيان اتحاد طريقة النبي ﷺ وعليّ ، والتزام عليّ رضي الله عنه طاعة النبي ﷺ ، وعليّ له من النبي ﷺ النسب والمصاهرة والإتباع والنصرة والتأييد والقيام بحق الله تبارك وتعالى ، ولذلك قال النبي ﷺ : « **عليّ مني وأنا من عليّ** » .

[٨] يستدلون كثيراً بحديث الاثنى عشر وله ألفاظ عدة في الصحيحين وغيرهما :

- يكون اثنا عشر أميراً كلهم من قريش [٣] .
- لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش [٤] .
- لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثنى عشر خليفة [٥] .
- لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً [٦] .
- لا يزال هذا الدين قائمًا حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليهم الأمة [٧] .

---

(١) صحيح مسلم ، فضائل الصحابة ﷺ رقم (٢٤٧٢) .
(٢) صحيح مسلم ، فضائل الصحابة ﷺ رقم (٢٥٠٠) .
(٣) أخرجه البخاري ، كتاب الأحكام رقم (٧٢٢٢) ، ومسلم كتاب الإمارة رقم (١٨٢١) .
(٤) أخرجه مسلم كتاب الإمارة رقم (١٨٢١) .
(٥) أخرجه مسلم كتاب الإمارة رقم (١٨٢١) .
(٦) أخرجه مسلم كتاب الإمارة رقم (١٨٢١) .
(٧) أخرجه أبو داود ، كتاب المهدي رقم (٤٢٧٩) .

ومن الأدلة على أن الشيعة الاثنى عشرية يعتمدون على شفا جُرف هارٍ وعلى بناء يقوم على أعواد كبريت ، ما يأتي :

﴿**١**﴾ الحديث فيه إن الدين يكون عزيزاً فترة خلافتهم ، ثم يزول هذا العز ، فمتى العز ؟ ، ومتى الذل ؟ .

﴿**٢**﴾ الشيعة تقول لم يكن الدين عزيزاً أبداً في خلافة من سبق ، بل كل أئمتهم مستترين خائفين يتعاملون بالتقية ، بل يرون أن الأمر كان فاسداً زمن أبي بكر وعمر وعثمان ، بل إن عليّا عندهم لم يستطع أن يُظهر الدين الصحيح ، بل كان يعمل بالتقية فما استطاع أن يُظهر القرآن الصحيح ولا منع صلاة التراويح ولا أمر زواج المتعة .

﴿**٣**﴾ الحديث ليس فيه حصر لعدد الأئمة ، بل هو خبر أن الدين يكون عزيزاً وقت حكمهم .

﴿**٤**﴾ ولاية المنتظر إلى يوم القيامة ، فمتى يكون عز ومتى يكون ضعف .

﴿**٥**﴾ قول النبي ﷺ كلهم من قريش يستبعد معه أن يريد عليّا وأولاده ، بل لو قال : من ولد إسماعيل لادعاها الشيعة كذلك ، بأن أئمتهم من أولاد إسماعيل .

﴿**٦**﴾ جاء في صحيح مسلم : « في أمتي اثنا عشر منافقاً » ، فالعدد لا عبرة به .

﴿**٧**﴾ جاء القرآن الكريم بذكر الرسل ورسالاتهم ولم يتطرق للأئمة مع أنهم أفضل وأهم من الرسل عندهم .

﴿**٨**﴾ لِمَ قبل عليّ بالشورى، وتنازل الحسن لمعاوية ، وبايع جميع أئمتهم للخلفاء ، وبايع الحسين لمعاوية .

﴿**٩**﴾ كيف يكون نص على عليّ والنصوص عن عليّ تنافي ذلك ، كما في نهج البلاغة :

■ أنا لكم وزير خير مني لكم أمير ، أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون [١] .

---

(١) نهج البلاغة (١٣٦) .

- لما تولى عليٌّ الخلافة لم يدع نصًا ، بل ذكر أنهم حملوه عليها .
- إنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا ، كان ذلك لله رضى [١] .
- قال البياضي : إن عليًا لم يذكر النص للصحابة « الصراط المستقيم » .

﴿١٠﴾ ولما قام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن « النفس الزكية » سمح الصادق لولديه موسى وعبد الله بالإنضمام إليه [٢] .

﴿١١﴾ لا يعقل وجود كل هذه الأحاديث التي يرويها الشيعة في ذكر الأئمة جماعات أو أفرادًا ثم تغيب جميع هذه الروايات عن رواة الشيعة الكبار وفِرق الشيعة التي كانت تختلف بعد وفاة كل إمام تقريبًا ، مما يدل دلالة قطعية على أن هذه الأحاديث وضعت متأخرًا .

﴿١٢﴾ ولاية الأئمة عندهم سرية : عن الرضا قال : ولاية الله أسرها إلى جبرائيل ، وأسرها جبرائيل إلى محمد ، وأسرها محمد إلى عليّ ، وأسرها عليّ إلى من شاء ، ثم أنتم تذيعون ذلك ، من الذي أمسك حرفًا سمعه . « الكافي » .

﴿١٣﴾ أوصاف الاثنى عشر وزمنهم :

- يتولون الخلافة – الإسلام في عهدهم عزيز – الناس يجتمعون عليهم ، ولا ينطبق على أئمة الشيعة أي وصف سوى العدد ، والعدد مُدَّعى بعد الحديث ، وموت الحسن العسكرى بدون ذرية .

هذه تقريبًا أهم الأدلة التي يستدلون بها على إمامة عليّ رضي الله عنه ، قبل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولعل هناك أدلة أخري أعرضت عنها لأنها لا تدل على المطلوب ، على الأقل من وجهة نظري .

---

(١) نهج البلاغة (٣٦٧) .
(٢) مقاتل [illegible]بيين (٢٤٤) .

أسئلة وأجوبة

[س ١] ما موقف عليّ بن أبي طالب من بيعة أبي بكر ؟ ، وهل صحيح أنه كان يرى أنه أولى بالخلافة ؟ .

[جـ ١] لما وقعت حادثة السقيفة وتمت البيعة وكانت كما قال عمر : فلتة ، بمعنى أنه لم يُحَضَّر لها ، أخذ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في نفسه كيف أنه لم يشترك في الشوري ، أو أنه كان يرى أنه أحق بالأمر ، هذان احتمالان :

الأول : أن عليّ بن أبي طالب كان يرى أنه أحق بالأمر من أبي بكر الصديق .

الثاني : أنه كان يرى وجوب حضوره الشورى .

ولننظر أي الأمرين أصح ، والذي يترجح أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه كان يريد أن له في الشورى شيئًا ، لا أنه يريد الخلافة لأمرين اثنين :

الأول : وهو أن كون الخلافة لأبي بكر كان كالمتسالم عليه بينهم ، وذلك أن النبي ﷺ في مرض موته ما كان يجعل أحد يصلي بالناس غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وكان لا يصلي في ذلك الوقت إلا إمام المسلمين، ولما قال : « **مُروا أبا بكر فليصل بالناس**» قالوا : إنه رجل أسيف، فقال النبي ﷺ : « **مُروا أبا بكر فليصل بالناس**»[(١)] ، وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ لما جاءته امرأة سألته مسألة فقالت : أرأيت إن جئتك في العام القادم ولم أجدك ، قال : « **فَأْتي أبا بكر** »[(٢)] ، وفي صحيح البخاري وصحيح مسلم لما قال النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها : « **ائتيني بكتاب لأكتب لأبيك فإني أخشى أن يتمنى مُتَمَنٍّ** ، ويأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر »[(٣)] ، فهذه بعض الأحاديث التي هي ظاهرة في أن أبا بكر أولى بالخلافة من غيره .

---

(١) ، (٢) ، (٣) سبق تخريجه .

الثاني : أن عليًا نفسه رضي الله عنه في أيام خلافته كان يقول : من فضّلني على أبي بكر وعمر جلدته حد المفتري ، فهو ما كان يرى أنه أفضل من أبي بكر وعمر ، وكذلك حديث في البخاري لما سأله ابنه محمد بن الحنفية : من خير الناس بعد رسول الله ﷺ ؟ قال : أبو بكر . قال : ثم أنت ؟، قال : ثم عمر ، قال : ثم أنت ؟ ، وخشيت أن يقول عثمان ، قال : إنّما أنا رجل من المسلمين .

فهو رضي الله عنه ما كان يرى أنه أفضل من أبي بكر أو عمر رضي الله عنهما ، ولذلك لم يحزن عندما استخلف أبو بكر عمر بن الخطاب ، بل قبل ، وكذلك لما جعل عمر الأمر شورى لم يقل أنا أولى بل قبِل ، إذًا ليس الأمر أمر الخلافة إنما الأمر أمر الشورى ، يعني كيف لا أحضر الشورى، وله حق في هذا ، ولكن كما قلنا إن الأمر جاء فجأة ، كما قال عمر : إنّما هي فلتة ، ولذلك ليس عليّ رضي الله عنه فقط الذي لم يحضر ، فالزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص وكبار الصحابة أيضًا لم يحضروا ، ما حضر إلا أبو عبيدة وعمر وأبو بكر والمهاجرين، والأنصار كذلك لم يحضر منهم إلا بعض الأنصار ، كالحباب بن المنذر وسعد بن عبادة وغيرهما ، وهناك حديث آخر أكثر وُضُوحًا قال البخاري في صحيحه : عن عائشة أن فاطمة رضي الله عنها بنت النبي ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خُمس خيبر ، فقال أبو بكر رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ قال : « **لا نورث ، ما تركناه صدقه** » ، إنما يأكل آل مُحمد ﷺ في هذا المال ، وإني والله لا أغير شيئًا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ ، فأبى أبو بكر رضي الله عنه أن يدفع إلى فاطمة رضي الله عنها منها شيئًا ، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر ، فلما توفت دفنها زوجها عليّ رضي الله عنه ليلاً ، ولم يؤذن بها أبا بكر الصديق وصلى عليها ، وكان لعليّ من الناس وجه حياة فاطمة ، فلما توفيت استنكر

عليّ وجوه الناس فالتمس مصالحة أبا بكر ومبايعته ، ولم يكن يبايع تلك الأشهر ، فأرسل إلى أبي بكر ائتنا ولا يأتنا أحد معك كراهية لمحضر عمر ، فقال عمر : لا والله لا تدخل عليهم وحدك ، فقال أبو بكر : ما عسيتم أن يفعلوا بي ، والله لآتينهم ، فدخل عليهم أبو بكر ، فتشهد عليّ فقال : إنا قد عرفنا فضلك ، وما أعطاك الله ، ولم ننفس عليك خيرًا ساقه الله إليك ، ولكنك استبددت علينا بالأمر ، وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ أن لنا نصيبا حتى فاضت عينا أبي بكر رضي الله عنه ، فلما تكلم أبو بكر قال : والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابتي ، وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فلم آل فيها عن الخير ، ولم أترك أمرًا رأيت رسول الله يصنعه فيها إلا صنعته ، فقال عليّ لأبي بكر: موعدك العشية للبيعة ، فلما صلى أبو بكر الظهر رقي على المنبر فتشهد وذكر شأن عليّ وتخلفه عن البيعة وعذره بالذي اعتذر إليه ، ثم استغفر وتشهد عليّ فعظم حق أبي بكر وحدث أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر ولا إنكار للذي فضله الله به ، ولكنا نرى لنا فيه هذا الأمر نصيبًا فاستبد علينا ، فوجدنا في أنفسنا، فسر بذلك المسلمون وقالوا : أصبت وكان المسلمون إلى عليّ قريبًا حين راجع الأمر بالمعروف [١] .

وقد جاءت رواية صريحة في بيعة عليّ لأبي بكر مع الناس في أول الأمر :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قبض رسول الله ﷺ واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة وفيهم أبو بكر وعمر ، قال : فقام خطيب الأنصار ، فقال : أتعلمون أنا أنصار رسول الله ﷺ ، فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره ، قال : فقام عمر بن الخطاب فقال : صدق قائلكم ولو قلتم غير هذا لم نبايعكم ، فأخذ بيد أبي بكر وقال : هذا صاحبكم فبايعوه ، فبايعه عمر وبايعه المهاجرون والأنصار ، وقال : فصعد أبو بكر المنبر فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير رضي الله عنه قال : فدعا الزبير فجاء قال :

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر رقم (٤٢٤٠/٤٢٤١)

يا ابن عمة رسول الله ﷺ أردت أن تشق عصى المسلمين ؟ .

قال : لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فقام فبايعه ، ثم نظر في وجوه القوم فلم ير عليًا فدعا بعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : يا ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته أردت أن تشق عصى المسلمين ؟ .

قال : لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعه [1] .

وهذا لا يعارض حديث عائشة رضي الله عنها الذي فيه أن عليًا لم يبايع إلا بعد ستة أشهر لأن عائشة حدثت بما علمت وأبو سعيد الخدري حدث بما علم ، ومن علم حجة على من لم يعلم .

[س ٢] هل خلافة أبي بكر رضي الله عنه كانت بالنص أو بالشورى ؟ .

[جـ ٢] خلافة أبي بكر الصديق على ثلاثة أقوال :

- **القول الأول :** أنها بالنص الجلي الواضح من الرسول ﷺ .
- **القول الثاني :** أنها بالنص الخفي كقوله ﷺ للمرأة لما قالت: إذا لم أجدك ، قال : « **فأتي أبا بكر** » ، قالوا : هذا نص خفي ليس بصريح .
- **القول الثالث :** بالشورى .

والذي يظهر أنها بالنص الخفي وليست بالصريح والعلم عند الله .

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٦/٣٠٦) وعزاه إلى البيهقي ، ونقل عن الحافظ أبي عليّ النيسابوري أنه قال : سمعت ابن خزيمة يقول : جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث ، فكتبته له في رقعة وقرأت عليه . فقال : هذا حديث يساوي بدنة . فقلت : يساوي بدنة !! ، بل يساوي بدرة « والبدرة هي كيس الذهب » .

[س ٣] هل هناك كتاب صحيح في التاريخ ؟ .

[جـ ٣] بالنسبة لهذه الحقبة هناك كتاب العواصم من القواصم ، لأبي بكر بن العربي ، فقد اختار الروايات الصحيحة وبين ضعف بعض الروايات أما أنه جاء كتاب يحقق هذه المسائل ؟ ، لا . ولكن ابن كثير والذهبي يتكلمان أحيانًا عن بعض الروايات ويبينان ضعفها ، أما الطبري فيندر جدًا أن يتكلم عن رواية هو فقط ناقل وجامع ، ولا أعرف أنه حُقق أو خرجت أحاديثه ، ولكن هناك كتاب استخلص روايات أبي مخنف من تاريخ الطبري ليحيى اليحيى وهو كتاب جيد ، وهناك كتاب آخر اسمه تحقيق مواقف الصحبة من الفتن من تاريخ الطبري لمحمد امحزون .

ومن الكتب الجيدة في هذا الموضوع كتاب الخلافة الراشدة ليحيى اليحيى وكتاب منهاج السُّنَّة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - .

[س ٤] ما معنى قول النبي ﷺ لعائشة « إنكن صويحبات يوسف » ؟ .

[جـ ٤] لما قال النبي ﷺ مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت عائشة رضي الله عنها إن أبا بكر رجل أسيف ، إذا قرأ لا يكاد يسمع الناس من بكائه فقال النبي ﷺ : « **إنكن صويحبات يوسف ، مُروا أبا بكر فليصل بالناس** » ، يريد كما فعلت امرأة العزيز ، قال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١)** ﴾ [يوسف : ٣١] .

ظاهر الأمر أنها تريد إكرام أولئك النسوة إذا أحضرت الفاكهة والسكاكين ومتكأ ليأكلن ، وحقيقة الأمر أنها تريد أن تريهن يوسف عليه السلام ، فالنبي ﷺ يقول لعائشة أنت تقولين رجل أسيف وأنت ما تريدين أنه رجل أسيف ، ولكن أنت تريدين شيئًا

آخر في نفسك ، فهذا حدس من النبي ﷺ شعر أن عائشة لا تريد أنه فقط رجل أسيف وهي قد صرحت بهذا فقالت خشيت أن يتأثم الناس بأبي ويتشاءمون منه [(١)] ، فهذا معنى قول النبي ﷺ : « **إنكنَّ صويحبات يوسف** » .

[س ٥] هل صحيح أن النبي ﷺ أرسل أبا بكر بسورة براءة وأمَّره على الحج ، ثم رده وجعل مكانه عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنهما ؟ .

[جـ٥] أولاً النبي ﷺ لم يرسل عليًّا ليحج بالناس ، بل الذي حج بالناس في السنة التاسعة أبو بكر رضي الله عنه ، ولما سأل أبو بكر عليّ بن أبي طالب لما جاءه : تابع أو متبوع ؟ ، قال : بل تابع .

كل ما في الأمر أن هناك معاهدة بين النبي ﷺ وكفار مكة ، والله أمره أن يُنبذ إليهم عهودهم ويتبرأ منها ، قال تعالى : ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ۝٢ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ ﴾ [التوبة : ١ - ٣] .

وكان من عادة العرب أن الرجل إذا كان بينه وبين أحد عهد لا يلغي هذا العهد إلا هو أو رجل من أهل بيته ، وأبو بكر حج بالناس وخطب بهم في عرفة [(٢)] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، رقم (٤٤٤٥) ، وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة (٤١٨) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب تفسير سورة براءة ، ونظر كلام الحافظ في الفتح عند شرح هذا الحديث فإنه نافع .

[س ٦] هل كانت هناك عداوة حقيقية بين قرابة رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ؟ .

[جـ ٦] هذا كلام باطل بل كانت هناك علاقات طيبة ومودة ومصاهرات ، أما علاقات المصاهرة بين آل بيت الرسول ﷺ وبين أصحابة فكثيرة جداً .

فرسول الله ﷺ زوَّج ابنته أم كلثوم ورقية لعثمان ، وزوَّج زينب للعاص بن الربيع ، وعليّ بن أبي طالب زوَّج ابنته أم كلثوم لعمر [(١)] ، وعليّ تزوج أرملة أبي بكر الصديق التي هي أسماء بنت عميس ، وتزوج عليّ من أمامة بنت العاص بن الربيع ، ومُحمد بن أبي بكر الصديق هو ربيب عليّ [(٢)] ، ومحمد بن عليّ بن الحسين تزوج أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق .

ولذلك كان جعفر بن مُحمد بن عليّ بن الحسين الذي يلقب بالصادق يقول :

ولدني أبو بكر مرتين [(٣)] ، فأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، وأبان بن عثمان بن عفان تزوج أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب [(٤)] ، وسكينة بنت الحسين بنت عليّ بن أبي طالب تزوجها مصعب بن الزبير بن العوام [(٥)] ، وغير هذا كثير ، والزواج بينهم كثير جداً ، والعلاقة حميمة ، ولذلك عليّ بن أبي طالب سمى

---

(١) تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين (٢٧٥) ، والكافي (٣٤٦/٥) .

(٢) الربيب هو ابن الزوجة من رجل آخر طلقها أو توفي عنها .

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٥٥/٦) .

(٤) الشيعة وأهل البيت (١٤١) .

(٥) الطبقات الكبرى (١٨٣/٥) .

أولاده بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان [١] ، وكذلك الحسن سمى أبا بكر [٢] ، وعليّ بن الحسين سمى عمر [٣] ، وموسى بن جعفر سمى عمر وعائشة [٤] ، ومن أفضل الكتب التي تكلمت عن هذا كتاب الشيعة وأهل البيت لإحسان إلهي ظهير [٥] .

(١) معرفة الصحابة (٣٠٩/١) ، كشف الغمة (٦٧/٢) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٢٧٩/٣) كشف الغمة (١٩٨/٢) .
(٣) كشف الغمة (٣٠٢/٢) .
(٤) كشف الغمة (٢٩/٣ – ٣١) .
(٥) الشيعة وأهل البيت من (١٤٠ / ١٤٤) .

الخاتمة :

وهي رسالة موجهة إلى كل من يطعن في أصحاب محمد رسول الله ﷺ نقول :

إن أولئك القوم الذين تطعنون فيهم عطروا التاريخ بسيرهم وآنقوه بأخبارهم وطرزوه بأعمالهم التي لم ولن تبلغوا معشار ما فعلوا ولو عمرتم ما عمر نوح عليه السلام ، فهذا القرآن يشهد لهم وسُنة المصطفى تزكيهم وتعدلهم .

فقد حفظ الله القرآن بهم فهم رواته وحملته ومفسروه ، وهم نشروا سُنة المصطفى ﷺ ، وبلغوها فهدى الله بهم العباد وفتح لهم وبهم البلاد ، هاجروا في سبيل الله ، فتركوا الأموال والأولاد والبلاد ونصروا الله ورسوله ، حاربوا المرتدين وقهروهم ، وإلى جادة الصواب ردوهم ، فتحوا مصر والعراق وإيران ، وسجستان وما وراء النهر حتى وصلوا إلى الهند والصين ، هذا تاريخهم .

وأنتم أيها الطاعنون قولوا بربكم ماذا قدمتم للإسلام ؟ وما تاريخكم ؟ .

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم ... من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

فإن لم يكن دين فشيء من الحياء

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد ألا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه

أبو محمد التميمي

عثمان بن محمد الخميس

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

فهرس المراجع

[١] أسد الغابة في معرفة الصحابة –عز الدين ابن الأثير – مكتبة الشعب– القاهرة .

[٢] الإصابة في تمييز الصحابة– ابن حجر العسقلاني – دار الكتاب العربي – بيروت .

[٣] أصول مذهب الشيعة ، د . ناصر القفاري ، ط ١ ، ١٤١٤هـ .

[٤] إعراب القرآن وصرفه وبيانه– محمود صافي – دار الرشيد – بيروت – ط ١ – ١٤١١هـ .

[٥] إملاء ما منّ به الرحمن ، أبو البقاء العكبري ، دار العلم ، القاهرة .

[٦] بحار الأنوار– محمد باقر المجلسي – مؤسسة الوفاء – بيروت – ط ٢ – ١٤٠٣ هـ .

[٧] البداية والنهاية – ابن كثير – دار الكتب العلمية – بيروت – ط ١ – ١٤٠٣هـ .

[٨] تاريخ الأمم والملوك ، لابن جرير الطبري ، دار الأعلمي ، بيروت ، ط ٥ ، ١٤٠٩هـ .

[٩] تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

[١٠] تاريخ الخليفة – تحقيق أكرم ضياء العمري – دار طيبة الرياض ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ .

[١١] تفسير الصافي – الفيض الكاشاني – دار الأعلمي – بيروت .

[١٢] تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، تحقيق عبد العزيز غنيم ، محمد عاشور ، محمد البنا ، دار الشعب ، القاهرة .

[١٣] تفسير القمي ، عليّ بن إبراهيم القمي ، مطبعة النجف ١٣٨٧هـ .

[١٤] تفسير النسفي ، أبو البركات ، النسفي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤١٢هـ .

[١٥] تقريب التهذيب – ابن حجر العسقلاني–دائرة المعارف النظامية –حيدر آباد– الهند – ط ١ – ١٣٢٥ هـ .

[١٦] تهذيب الكمال ، أبو الحجاج المزي ، تحقيق د. بشار عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ .

[١٧] التوسل أنواعه وأحكامه ، محمد ناصر الدين الألباني ، الدار السلفية ، الكويت، ط ٣ ، ١٤٠٥هـ .

[١٨] جامع البيان في تفسير القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، دار الريان ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ .

[١٩] الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .

[٢٠] الجامع لبيان العلم وفضله ، ابن عبد البر ، المطبعة المنيرية،دار الكتب العلمية ، بيروت .

[٢١] الجرح والتعديل – ابن أبي حاتم – دار إحياء التراث – بيروت – ط ١– ١٣٧١هـ .

[٢٢] جوامع السيرة ، ابن حزم ، تحقيق إحسان عباس ، إدارة إحياء السُّنَّة ، باكستان .

[٢٣] حقيقة الشيعة ، عبد الله بن عبد الله الموصلي، دار الحرمين ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٢هـ .

[٢٤] حلية الأولياء ، أبو نعيم الأصبهاني ، دار الكتاب العربي ، ط ٥ ، ١٤٠٧هـ.

[٢٥] دقائق التفسير ، ابن تيمية ، تحقيق محمد الجليد ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ .

[٢٦] رجال الكشي ، أبو عمر الكشي ، تقديم أحمد السيد الحسيني .

[٢٧] رجال النجاشي، **أبو العباس النجاشي ، مكتبة الداودي ، قم ، إيران .**

[٢٨] رسالة الإيمان، **ميرزا حسن الحائري الإحقاقي ، مكتبة الصادق، الكويت ، ط٢ ، ١٤١٢هـ .**

[٢٩] رياض الجنة في الرد على أعداء السُّنَّة، **مقبل بن هادي الوادعي، دار الأرقم ، الكويت ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ .**

[٣٠] زاد المسير في علم التفسير، **ابن الجوزي، المكتب الإسلامي ،دمشق ، ط ٣ ، ١٤٠٤هـ .**

[٣١] ضحى الإسلام، **أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١٠ .**

[٣٢] الضعفاء الكبير، **أبو جعفر العقيلي ، تحقيق د . عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ .**

[٣٣] ضعيف الجامع الصغير، **محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ .**

[٣٤] الطريق إلى الجنة، **دار ابن المبارك للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤١٤هـ .**

[٣٥] ظهور الإسلام، **أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٥ .**

[٣٦] العبر في خبر من غبر، **شمس الدين الذهبي ، تحقيق محمد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ .**

[٣٧] العقيدة الواسطية، **ابن تيمية ، شرح د. صالح الفوزان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط ٥ ، ١٤١٠هـ .**

[٣٨] العلل الواردة في الأحاديث النبوية، **عليّ بن عمر الدارقطني ، تحقيق د.محفوظ الرحمن السلفي ، دار طيبة ، الرياض ، ط ١ - ١٤٠٥هـ .**

[٣٩] الغدير في الكتاب والسُّنَّة، **الأميني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٣٩٧هـ .**

[٤٠] فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق محب الدين الخطيب ، تعليق عبد العزيز ابن باز ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، أحمد أمين .

[٤١] فجر الإسلام ، أحمد أمين .

[٤٢] فضل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب ، حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي بعناية محمد رضا الطباطبائي ١٢٩٨هـ .

[٤٣] الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ، تحقيق د . محمد إبراهيم نصر ، د . عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل ، بيروت .

[٤٤] فضائل الصحابة ، أحمد بن حنبل ، تحقيق وصي الله بن محمد عباس ، دار العلم ، جدة ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ .

[٤٥] في ظلال التشيع ، محمد بن عليّ الحسيني ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ مؤسسة الوفاء ، بيروت .

[٤٦] طبقات الشافعية الكبري ، تاج الدين السبكي ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، دار إحياء الكتب العلمية ، القاهرة .

[٤٧] الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، الشوكاني ، تحقيق عبد الرحمن المعلمي ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط ٢ ، ١٣٩٢هـ .

[٤٨] قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، ابن تيمية ، تحقيق ربيع بن هادي المدخلي، مكتبة لينة ، دمنهور ، مصر ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ .

[٤٩] القول البديع في الصلاة والسلام على الحبيب الشفيع ، السخاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٣ ، ١٣٩٧هـ .

[٥٠] الكافي ، أبو جعفر الكليني ، تحقيق علي أكبر الغفاري ، دار الأضواء ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .

[٥١] الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٥ ، ١٤٠٥هـ .

[٥٢] الكامل في ضعفاء الرجال ، أبو أحمد ابن عدي ، دار الفكر، بيروت ، ط٢، ١٤٠٥هـ .

[٥٣] الكشاف ، محمود بن عمر الزمخشري ، دار المعرفة ، بيروت .

[٥٤] كشف الغمة في معرفة الأئمة ، أبو الفتح الأربلي ، دار الأضواء ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ ،

[٥٥] لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت .

[٥٦] لسان الميزان ، ابن حجر العسقلاني ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٦هـ .

[٥٧] لماذا اخترت مذهب الشيعة ، محمد مرعي الأنطاكي ، ط ٣ ، حلب ، مؤسسة الوفاء .

[٥٨] المجروحين ، محمد بن حبان ، تحقيق محمد إبراهيم زيد ، توزيع دار الباز ، مكة المكرمة .

[٥٩] مجموع الفتاوي ، ابن تيمية ، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم .

[٦٠] مختصر تاريخ دمشق ، ابن منظور ، تحقيق روحية النحاس ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ .

[٦١] مختصر التحفة الإثنى عشرية ، شاه عبد العزيز الدهلوي ، اختصار محمود شكري الألوسي ، تحقيق محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٧٣هـ .

[٦٢] المراجعات ، عبد الحسين الموسوي ، تحقيق حسين الراضي ، الدار الإسلامية ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٦هـ .

[٦٣] مروج الذهب ومعادن الجوهر ، أبو الحسن المسعودي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .

[٦٤] المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله الحاكم ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

[٦٥] مسند أحمد ، أحمد بن حنبل ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، ١٣٩٨هـ .

[٦٦] مسند أحمد ، بتحقيق أحمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٧٧هـ .

[٦٧] المعجم الصغير ، سليمان بن أحمد الطبراني ، تقديم كمال يوسف الحوت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .

[٦٨] المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق حمدي السلفي ، ط٢ .

[٦٩] المغني ، موفق الدين ابن قدامة ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

[٧٠] المقاصد الحسنة ، السخاوي ، تحقيق محمد عثمان ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

[٧١] الموافقات في أصول الشريعة ، أبو إسحق الشاطبي ، عناية عبد الله دراز ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

[٧٢] ميزان الاعتدال ، محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق عليّ محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت .

[٧٣] نزهة النظر في شرح نخبة الفكر ، ابن حجر العسقلاني ، مكتبة طيبة المدينة المنورة ، ١٤٠٤هـ .

[٧٤] النهاية في غريب الحديث ، ابن الأثير ، تحقيق طاهر الزاوي، مكتبة العلمية ، بيروت .

[٧٥] نهج البلاغة ، دار التعارف ، بيروت ، ط ١ .

[٧٦] الوافي ، الفيض الكاشاني ، مكتبة عليّ بن أبي طالب ، أصفهان ، إيران ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .

[٧٧] وسائل الشيعة ، الحر العاملي ، تحقيق مؤسسة آل البيت ، قم ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ .

فهرس



فهرس

من مطبوعات دار الإيمان لفضيلة الشيخ

عثمان بن محمد الخميس

كشف الجاني محمد التيجاني

في كتبه الأربعة

ثم اهتديت — فسألوا أهل الذكر

لأكون مع الصادقين — الشيعة هم أهل السنة



